# في البحث عن المذهب العسكري العربي

## بقلم: هيثم كيلاني

في ختام سفره الرائع ، لم يجد الدكتور غوستاف لوبون بداً من ان يقول ، بعد أن رافق العرب في تاريخ حضارتهم ، منذ ان درجوا رحلاً ضاربين في الفيافي والمفازات حتى دقوا أبواب افريقيا وآسيا واوروبا ، وهزوا التاريخ من اعماقه ، ونادوه فاستجاب :

« لقد تم الكتاب . ولنلخصه في بضع كلمات فنقول : ان الامم التي فاقت العرب تمدناً قليلة الى الغاية . واننا لانذكر أمة كالعرب حققت من المبتكرات العظيمة في وقت قصير مثل ماحققوا . وان العرب اقاموا ديناً من اقوى الاديان التي سادت العالم ، لايزال تأثيره اشد حيوية مما لأي دين آخر . وانهم انشأوا ، من الناحية السياسية ، دولة من اعظم الدول التي عرفها التاريخ . وانهم مدّنوا أوروبا ثقافة وأخلاقاً [١] ... »

(١) غوستاف لوبون : حضارة العرب ـ ترجمة : عادل زعيتر ـ ص ٦١٨

وقبل أن يبدأ العرب في مد الحضارة الانسانية بأفكارهم وعبقريتهم ومبتكراتهم ، انطلقوا من جزيرتهم يالفون الرسالة الى مختلف الاجناس والاقوام ، فلم يكد ينقضى القرن الأول من الهجرة ، حتى كانت راياتهم تخفق فوق البلاد الواقعة بين الهند والمحيط الاطلسي ، وبين القفقاس والخليج العربي ، وترتفع فوق هضاب الاندلس ، مشرفة على قلب أوروبا .

ولم يكن دور الفتح هذا سوى وجه من وجوه تاريخ العرب ، ولم يلبث الدور الثاني — وهو دور انشاء الحضارة وازدهارها — ان بدأ بعد ان فرغوا من فتوحهم ، واتجهوا من بذل الجهد والدم في الوقائع والمعارك الحربية ، ليوجهوا الجهد والعرق الى الآداب والعلوم والفنون ، فابدعوا فيها بسرعة واتقان يمثل ماابدعوا في ضروب القتال وفنون الحرب والتكتيك ، واتجهوا الى خلق حضارة جديدة تميزت عن الحضارات التي جاءت قبلها ، بعد ان استمانوا بحضارات الاغريق والروم والفرس .

ان التاريخ ليقف مشدوهاً أمام ذلك اللغز الذي دفع بشعبنا العربي من جزيرته ، ليهز أركان المعمورة يومذاك ، فيصنع التاريخ ، ويطوي صفحات منه ، ليسجل بيده صفحات جديدة ، وليجعل دولاً وممالك وحضارات عريقة تنهار فتصبح ذكريات وعبراً ، في مدة لا تتجاوز القرن الواحد .

لقد كان شعبنا العربي ، القوي في عزيمته ، الشديد في شكيمته ، حامل رسالة ، وباني حضارة . لقد كان اعجوبة من اعاجيب التاريخ .



وأمام هذه الاعجوبة ، لانزال — نحن الاحفاد — مقصرين في البحث والتنقيب عن ذلك الخيط الذي ينتظم مجموعة المعارك والمواقع والاحداث ، منذ ان انطلق اول فارس عربي من كثبان الصحراء الى ان كبا به الجواد فوق صخور بواتيه وعلى شواطىء نهر السند .

لقد سعى أدباؤنا وعلماؤنا ومؤرخونا سعياً حثيثاً مستمراً في الكشف عن كنوز العرب وآثارهم ومخطوطاتهم في الشعر والنثر والقصص ، وفي علوم القرآن والفقه والتفسير والاصول والشريعة ، وفي الفلسفة والتربية والتعليم ، وفي السياسة والحكم والادارة والقضاء ، وفي اللغة والاجتماع والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والفيزياء والكيمياء والطب والأخلاق ، وفي فنون الرسم والحفر والعمارة والزخرفة والرقص والموسيقى ، وفي غير ذلك من الآداب والعلوم والفنون . ولايزال هذا السعي يقدم الينا كل يوم كنوزاً ودراسات وأفكاراً جديدة تعرفنا بمنجزات العرب التي أشادت بناء حضارتهم ومكنت لهم في الارض دهراً طويلاً .

والى جانب هذا السعي المحمود ، نجد تاريخنا العسكري العربي لايزال ضائعاً في غيهب الزمان ، يكتنفه الظلام والسحاب والضباب . فلم تمتد اليه يد تخرجه الى النور ، وتنفض عنه

اغبار الايام السالفات . ولايعني هذا ان تاريخنا العسكري مبتورة اصوله ، ضائعة حلقاته ، مفقودة آثاره . وانما يعني أن النور لم يوجه اليه ، واليد لم تتناوله . واذا كانت الفكرة التي تؤكد ضياع اصول تاريخنا العسكري وفقدان حلقاته وآثاره لاتزال سائدة حتى اليوم ، فان الكشف عن المخطوطات والوثائق العربية العسكرية ومحاولة دراستها دراسة علمية موضوعية منهجة ، وفق الطرائق والنظريات العلمية الحديثة في الستراتيجية والتكتيك والتكنيك ، وتصنيفها ودعمها بالوقائع والشواهد من التاريخ العربي منذ عصر الجاهلية الى ان توقف المد العربي وتشبث بالدفاع للحفاظ على الدول التي اقامها — ان مثل هذه الدراسة لكفيلة بدحض الافكار والنظريات التي لاتزال تشوب تاريخنا العسكري ، والتي يوجهها الينا بعض المؤرخين والعسكريين الاجانب ، قدمائهم ومحدثيهم ، وليس لهم من قصد في ذلك سوى القاء كل محاولة دراسية علمية تسعى الى البرهنة على وجود « مذهب عسكري عربي » كامل في ذاته ، متكامل في اجزائه ، ذي مقومات وعناصر تميزه عن سواه من المذاهب العسكرية التي كانت سائدة يومذاك .

ان الرأي الذي نقول به ، هو ان العرب قد قاتلوا اعداءهم ، وانتصروا عليهم ، وانهزموا في بعض المعارك ، وازالوا من الوجود — بانتصاراتهم العسكرية — اكبر امبرطوريتين كانتا آنذاك — وهما الامبراطورية البيزنطية والامبراطورية الفارسية — بسرعة فائقة مبهرة ، وبمعارك نموذجية حاسمة ، لانهم اتبعوا تخطيطاً استراتيجياً مرسوماً ، وابدعوا تكتيكاً متفوقاً وقاموا بضروب من القتال ابتكروها ، وعبأوا قواتهم تعبئة شعبية واسعة ، ونظموا جيوشهم وقياداتهم تنظيماً يفوق تنظيم اعدائهم ، وحشدوها في الامكنة المناسبة والازمنة المناسبة بحكمة ودراية ، وكافحوا بعقيدة وايمان ، لانهم حملة رسالة ، ونذروا انفسهم لها ولتبليغها الى الناس حتى يؤمنوا بها .

ان هذا الرأي سيبقى في حدود الفكرة القابلة للنقاش والجدل ، فينعقد حوله الحوار ، ويقبله بعض الناس بحماسة وعاطفة ، ويرفضه آخرون ، حتى يبلغ الجدل حده ، وينتهي الحوار الى غايته ، فيخرج على الناس بشكل مذهب عسكري عربي ، قائم بذاته ، متكامل الاطراف متماسك الاجزاء ، له مقوماته وعناصره وميزاته ، فيقف وجهاً لوجه امام المذاهب العسكرية التي اصطدم بها يومذاك .

اننا اذ ندعو المفكرين والمؤرخين والعسكريين الى تحقيق مثل هذه الفكرة ، فاننالانسعى الى غاية تاريخية فحسب ، وانما نهدف الى الدلالة على ان الشخصية العسكرية العربية انما تنتظم في سلسلة مترابطة الحلقات على مدى تاريخنا منذ نشوئه حتى هـذا اليوم الذي نعيشه ، وتمتد فكرة وجهداً وخلقاً من ذلك الفارس الذي اطل على الدنيا من فوق كثبان الصحراء عزيزاً قاهراً الى

ذلك الجندي العربي الذي لايزال متربصاً في خندقه على حدود فلسطين صابرا متحرقاً الى تحرير وطنه العربي وتوحيده ليعيش قومه أعزة مسهمين في بناء الحضارة الانسانية الحديثة .

ولقد سعى بعض المؤرخين الاجانب ، وبخاصة الاوروبيين منهم ، الى تجريد العرب من معرفتهم ضروب القتال وفنون التكتيك والتخطيط الستراتيجي ، موضحين انهم كانوا يقاتلون بحماسة وشجاعة ، تدفعهم غريزة الغزو والسلب ، ولا تنتظم معاركهم مبادىء وقواعد تكتيكية واصول حربية ، وليس لديهم فن حربي خاص بهم . وبالرغم من ان المصنفات التي افردهـا بعض هؤلاء المؤرخين للابحاث العسكرية العربية الصرفة قليلة جداً ، الا ان معظمهم لم يلتزموا بمـا يفرضه عليهم البحث العلمي من دقـة وتجرد وجهد في التنقيب حينما تعرضوا الى بعض النواحي العسكرية اثناء سردهم او دراساتهم للتاريخ العربي واحداثه . ولسنا نود في هذه الدراسة العاجلة ان نسرد أمثلة ونحصي شواهد على ذلك . وانما نكتفي بالاشارة الى كتاب « بتلر » عن « فتح العرب لمصر » (١)، وكتاب « تاريخ العرب » (٢) للدكتور فيليب حتي ، وكتاب « حياة محمد » لدرمنغم (٣) .

والى جانب هذه الكتب التاريخية الكثيرة التي ألفها المؤرخون الاجانب ، نجد عدداً قليـلا من الكتب ذات الصبغة العسكرية التي خصهـا مؤلفوها بدراسة المواضيع العسكرية العربية ، أو أتوا على ذكرها في فصول خاصة بها في كتبهم . ويأتي في مقدمة هذه المصنفات كتاب « الشرق في حكم الخلفـاء » (٤) للدكتور « كريمر » الألماني ، وفيه بيان عن تنظيم الجيوش الاسلامية وتكتيكاتها الحربية التي كانت مفضلة عندها . وقد ابطل الدكتور كريمر بعض التهم التي وجههـا الامبراطور البيزنطي « ليو » الى العرب في كتابه « TACTICA » ورد عليه بحجج قوية بينة . ومع انه اتهم العرب بانهم لم يكن لديهم جيش دائم ، فقد اعترف بوجود « فن حربي » اشتهر به العرب دون غيرهم من الناس حين قال (٥) : « ... وهكذا كان كثير من قادة المسلمين ، الذين

---

(١) ـ فتح العرب لمصر ـ تأليف : الدكتور الفرد بتلر ـ ترجمة : محمد فريد ابو حديد ـ القاهرة ١٩٣٣ .

(٢) ـ تاريـخ العرب ـ تأليف : الدكتور فيليب حتي ـ الطبعة الثانية ١٩٤٩ .

(٣) ـ حيـاة محمـد ـ تأليف : اميـل درمنغم ـ ترجمـة عـادل زعيتر ـ القاهرة ١٩٤٥ .

(٤) Dr . Von Kremer - The Orient under the Caliphs .
Translated by Khuda BUKHCH - Calcutta 1920 .

(٥) الشرق في حكم الخلفاء ـ كريمر ـ ص ٣١٤ من الترجمة الانكليزية .

عرفوا بيمن الطالع ، فكانت شهرتهم تسبقهم ، ويسارع الناس إلى التطوع معهم ، لثقتهم بالنصر في ظلال الفن الحربي الذي اشتهر به هؤلاء الابطال ، وفاقوا به معاصريهم من الاعداء » (١) .

ويكاد يقارب هذا الكتاب في منهجه ومنحاه ، كتاب « تاريخ فن الحرب في العصور الوسطى » (٢) للدكتور « اومان » الذي عقد فيه فصلا مهماً عن حروب العرب مع الروم ، وقد كرر فكرة الدكتور كريم بان العرب لم يعرفوا الجيش الدائم المعد للقتال ، وانما كانوا يجمعون الجند للحرب عند حدوث دواعيها ، ثم يسرحونهم بعدها .(٣) .

واهم كتاب اصدره مؤرخ اجنبي حديث ، هو « الفتوحات العربية الكبري »(٤) للجنرال الانكليزي « جون باجوت غلوب » . وقـــد طلعت صحف الغرب تتلقاه بالاطراء والتقريظ ، فالجنرال غلوب – المشهور بأبي حنيك – في نظر الغربيين خبير في الشؤون العسكرية العربية ، فقد قضى ثلاثين عاماً او يزيد ، يجوب الصحارى العربية وينتقل في مضاربها مختلطاً ببدوها وحضرها ، حتى حط رحاله في الاردن قائداً لجيشه . وعندما اصدر غلوب كتابه هذا ، خيل الينا اننا سنلقى سفراً يبحث في تاريخ العرب العسكري وفق المبادىء والقواعد العسكرية الحديثة . الا أن بعضاً من هذا الذي خيل الينا لم يكن . فالمؤلف لم يزد على ان جمع الوقائع والاحداث والشواهد من كتب التاريخ والسير العربية ، وربط فيما بينها ببعض الاستنتاجات والآراء الخاصة ، قائلا انه حاول « تطبيق القواعد الفنية المعروفة على الحقائق الواقعة » (٥) . الا ان مايلاحظه القارىء ، بشكل واضح ، انه حاول ان يشوه الوقائع ، ليثير الشك في الشخصيات العربية ، وبخاصة القادة العسكريين منهم . وقد استند في حملة التشويه هذه على

---

(١) لقد عزا بعض المؤرخين الاجانب عامل الفتح الاسلامي والسرعة في التوسع الى اندفاع العرب وراء غرائزهم الحربية التي كانت متأصلة فيهم منذ الجاهلية ، او الى ضعف الفرس والروم امام العرب ، او الى الصدفة المواتية ، او الحظ الموفق ، ويكاد يردد معظمهم الفكرة ذاتها ، تلميحاً او تصريحاً ، كما فعل لوبون ، وحتي ، وأومان ، وغيرهم من المؤرخين المستشرقين .

(٢) Dr . Omou - A History of the Art of war in the Middle Ages .

(٣) الفن الحربي في صدر الاسلام – تأليف : عبد الرحمن عون – ص ٢٦ .

(٤) الفتوحات العربية الكبرى – تأليف : الجنرال جون باجوت غلوب – ترجمة : خيري حماد – بيروت ١٩٦٣ .

(٥) الفتوحات الكبرى مقدمة المؤلف ص ٢٠ .

تحليلات وتفسيرات اجتهد فيها أو وجد اثراً منها في بعض الكتب القديمة التي وضعها الشعوبيون في مختلف العصور (١).

هذا عن بعض الكتب الأجنبية، وقد أتينا على ذكر نماذج منها مثلا لا حصراً لها ، فهي جد كثيرة، وفي لغات عديدة. أما الكتب العربية التي تناولت التاريخ العسكري والمذهب(٢) العسكري العربي ، كموضوع مستقل ، دراسة وبحثاً وتفصيلا ، فجديدها لايزال نادراً ، ان لم نقل أنه يكاد يكون مفقوداً، وقديمها ماتزال معظمه مخطوطاً نائماً في خزائن دور الكتب في عواصم العالم ، سوى ما كان منها خاصاً بالسيرة النبوية او المغازي او التاريخ العام .

ويأتي في مقدمة الكتب الحديثة التي حاولت دراسة المذهب العسكري العربي بطرائق علمية منهجية ، كتاب « الفن الحربي في صدر الاسلام »(٣) ، فقد سعى مؤلفه الى دراسة النواحي الستراتيجية والتكتيكية في حروب العرب ، ومقارنتها بنظيراتها عند الامم المعاصرة لهم، ثم كتاب « تاريخ العرب العسكري »(٤)، وكتاب « التاريخ الحربي للامة العربية »(٥).

---

(١) لقد بذل مترجم « الفتوحات العربية الكبرى » السيد خيري حماد جهوداً مشكورة في التعليق والرد على النقاط التي حاول الجنرال غلوب تشويه الحقائق والوقائع فيها والتضليل وبث الشكوك. الا أن الناحية الهامة التي ظلت رقيقة ضعيفة في الرد والتعليق هي الناحية العسكرية، فكان الاوفق ان يتولاها خبير مختص بالشؤون العسكرية ، ليتمكن من وضع الحقائق في موضعها ، والرد على محاولات الجنرال غلوب بدراسة عسكرية تاريخية معمقة مماكسة ، تفضح نوايا المؤلف ، وتصحح اجتهاداته وآراءه .

(٢) المذهب ترجمة لكلمة « Doctrine » . وقد شاع استعمال مصطلح « العقيدة » تجاوزاً، ورأينا أن معنى الكلمة - بالفرنسية والانكليزية - يعطيها ليونة وقابلية للحركة والتطور، وهذا مايتضمنه معنى كلمة « مذهب » بالعربية. أما كلمة «عقيدة» فانها توحي بصلابة الاساس وجمود التطور ، مع ان الموضوع الذي اطلق عليه المصطلح - عقيدة او مذهب - انما هو علوم الحرب وفنونها . وكلاهما - أي العلوم والفنون - تتطور وتتبدل حسب الزمان والمكان وابداع الانسان .

ان رأينا هذا قياس على معاني العقيدة والمذهب في مصطلح الفقه .

(٣) الفن الحربي في صدر الاسلام تأليف عبد الرحمن عون - القاهرة ١٩٦١ .

(٤) تاريخ العرب العسكري تأليف : محمود الدرة - القاهرة ١٩٦١ .

(٥) التاريخ الحربي للامة العربية تأليف : المقدم مفلح علي - دمشق ١٩٥٨ .

وكتاب « العبقرية في غزوات الرسول » (١) ، و « الرسول القائد » (٢) ، و « الجندية في الدولة العباسية » (٣) ، و « السلاح في الاسلام » (٤) ، و « نظم الحرب في الاسلام » (٥) ، و « السلام والحرب في الاسلام » (٦) ، و « الجندية والسلم » (٧) . وهناك كتب كثيرة اقتصر موضوعها على شأن معين من شؤون الحرب عند العرب ، مثل كتاب « آثار الحرب في الفقه الاسلامي » (٨) ، عدا عن الكتب الكثيرة التي بحثت في التاريخ العسكري العربي ، او افردت له فصولا خاصة ، مما يجعلها مرجعاً اساسياً لاغنى عنه لكل باحث.

والى جانب هذا كله ، تبدو الكتب التي صنفها الأقدمون ، وطبعت في العصر الحديث ، مورداً للباحثين عن اصول المذهب العسكري العربي ، مثل كتاب « شرح السير الكبير » (٩) و « الفروسية » (١٠) ، و « آثار الأول في تدبير الدول » (١١) ، و « عيون الاخبار » (١٢) ، ومئات من الكتب المحققة المطبوعة التي جعلت صفحاتها سجلاً لتاريخ العرب العسكري ترويه بالتفصيل والشرح والأسانيد .

سوى ان هذه الكتب المطبوعة ، قديمها وحديثها ، عربيها وعجميها ، ليست سوى روافد لنبع اصيل ، عزيز الدفق ثر المسيل . ذلك ان المخطوطات العسكرية العربية غير

---

(١) العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ـ تأليف : المقدم محمد فرج ـ القاهرة ١٩٥٨

(٢) الرسول القائد ـ تأليف : العقيد محمود شيت خطاب ـ بغداد ١٩٥٨ .

(٣) الجندية في الدولة العباسية ـ تأليف : الرئيس نعمان ثابت ـ بغداد ١٩٣٩ .

(٤) السلاح في الاسلام ـ تأليف : العقيد عبد الرحمن زكي ـ القاهرة ١٩٥١ .

(٥) نظم الحرب في الاسلام ـ تأليف : جمال الدين عياد ـ القاهرة ١٩٥١ .

(٦) السلام والحرب في الاسلام ـ تأليف المقدم محمد فرج ـ القاهرة ١٩٦٠ .

(٧) الجندية والسلم ـ تأليف : امين الخولي ـ القاهرة ١٩٦٠ .

(٨) آثار الحرب في الفقه الاسلامي ـ تأليف : الدكتور وهبه الزحيلي ـ دمشق ١٩٦٢ .

(٩) شرح كتاب السير الكبير ـ تأليف : محمد بن الحسن الشيباني ـ املاء : السرخسي ـ تحقيق : الدكتور صلاح الدين المنجد ـ القاهرة ١٩٥٧ .

(١٠) الفروسية ـ تأليف : الامام ابن القيم الجوزية ـ تحقيق : عزة العطار الحسيني ـ القاهرة ١٩٤١ .

(١١) آثار الأول في تدبير الدول ـ تأليف : الحسن بن عبد الله محمد ـ مطبوع على هامش كتاب « تاريخ الخلفاء » للسيوطي ـ القاهرة ١٣٠٥ هجرية .

(١٢) عيون الأخبار ـ تأليف ابن قتيبة الدينوري ـ المجلد الأول ـ القاهرة ١٩٢٥ .

المنثورة هي النبع الذي لايزال مجهولاً لم تبلغه عين تكتشف كنوزه ، اذلاتزال هذه المخطوطات موزعة في مختلف دور الكتب في العالم . ولقد سنحت لي فرصة للتعرف الى بعض هذه المخطوطات فوجدت فيها ثروة لايقدر ثمنها ، اذ يمكن لها ان تلقي اضواء كاشفة واسعة المدى على تاريخنا ومذهبنا العسكري ، على الرغم من ان اكثرها ليس سوى رسائل موجزة ينقصها التقصي والتنظيم حيناً ، ويجانبها البحث والدقة العلمية حيناً آخر ، وتغلب عليها النزعة الادبية ، مما يجعلها قليلة الغناء من الناحية الفنية . الا انها في مجموعها تشكل مورداً ثراً يفتح أمامنا آفاقاً جديدة مترامية الأطراف ، تطل بنا على تلك المجاهل من التاريخ والمذهب العسكريين العربيين ، وتساعدنا على تقصي الحقائق والوقائع ، وتنتهي بنا الى التعرف الى اسس مذهبنا ومبادىء الحرب وستراتيجية الفتوح وضروب القتال واصول التكتيك والدفاع والهجوم والمناورة والكر والفر واستخدام القوى ومختلف صنوف الاسلحة وغير ذلك من عناصر المذهب .

ولقد بحثت عن المخطوطات في القاهرة ، في دار الكتب المصرية ومكتبات الجامعة الازهرية ، وجامعة القاهرة ، والمتحف الحربي ، ومتحف الآثار القبطية ، ومعهد الدراسات الشرقية للاباء الدومينيكيين ، والمعهد الفرنسي للاثار ، والجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، والجمعية الجغرافية المصرية ، ومكتبة معهد الصحراء (١) ، وغيرها من المكتبات ، فوجدت في معظمها عدداً من المخطوطات المفيدة . الا ان معهد المخطوطات العربية (٢) يضم في خزائنه ثروة عظيمة من المخطوطات المنقولة على افلام صغيرة ، صورها المعهد في مختلف دور الكتب في العالم ، وبخاصة دور الكتب الاسبانية والفرنسية والانكليزية والسوفييتية والايرانية والتركية وغيرها . ويضاف الى ذلك ما اورده ابن النديم في « الفهرست » وحاجي خليفة في « كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون » من الكتب ذات الصبغة العسكرية او التي تبحث في الشؤون العسكرية ، كالوقائع والايام والسير والاعلام ، وتأريخ الأحداث ومقاتل الشهداء والمجاهدين ، والاحلاف والخراج والجزية ، وغيرها فهي تعد بالمئات . ويبدو ان قلتها موجودة وكثرتها مفقودة .

وتبرز في مقدمة التراث الفكري مجموعة قيمة من المخطوطات يجدر التعريف ببعضها ، ومن اهمها :

تحفة المجاهدين في العمل بالميادين : للأمير لاجين بن عبد الله الذهبي الحسامي . وتحتفظ

---

(١) وهي مكتبة الأمير يوسف كمال .

(٢) وهو معهد تابع لجامعة الدول العربية .

مكتبة برلين بنسخة نادرة منه موضحة بالصور والرسوم . كما توجـد نسخة محفوظة منه في مكتبة أوكسفورد .

ـ مختصر في سياسة الحروب : لهرثمي صاحب المأمون . وهو يقع في حوالي ١١٤ صفحة وقد تحدث ابن النديم في « الفهرست » عن هذا الكتاب حديثاً يشعر بأنه كتاب ضخم . وقد فصل المؤلف القول في التنظيم التكتيكي ، وكيفية العمل قبل المعركة وأثناءها . وأورد كثيراً من الآراء والحيل الحربية التي لايصح لقائد ان يجهلها في عصر من العصور . والمخطوطة مصورة في معهد المخطوطات العربية بقم رقم ٨٤٤ .

ـ كشف الكروب في معرفة الحروب : لعماد الدين موسى بن محمد اليوسفي . ويبحث فيه في فن الحروب ونظام الجند . ومن هذه المخطوطة نسخة في المتحف الحربي بالقاهرة تحمل الرقم ١٠٦ ، ونسخة اخرى في دار الكتب المصرية .

ـ الاحكام الملوكية والضوابط الناموسية : لمحمد بن منكلي . وهو يبحث في فن القتال ، ويحتوي على ١٢٢ باباً . وتحتفظ دار الكتب المصرية بنسخة منه ينتهي آخرها عند الباب العاشر بعد المائة . والمؤلف ايضاً « التدبيرات السلطانية في سياسة الصنائع الحربية » وتوجد منه نسختان في ليننغراد وأياصوفيا . وله ايضاً « الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب » والمخطوطة في أياصوفيا ، وهي مصورة في معهد المخطوطات برقم ٦٧٢ .

ـ الأنيق في المجانيق : لأرنبغا الزردكاش . وصف فيه انواع المجانيق وكيفية استخدامها ، وأوضح كلامه بالرسوم . ومن هذه المخطوطة نسخة في دار الكتب المصرية .

ـ الفروسية والمناصب الحربية : لحسن نجم الدين الرماح . وقد أورد المؤلف في كتابه كل ما يحتاجه المدربون والفرسان والزراقون من اشغال الحرب ومعـرفة الرماح والدبابيس والنشاب والمجانيق والجراقات وغيرها . والمخطوطة مصورة في معهد المخطوطات .

ـ المخزون لأرباب الفنون : تحدث فيه مؤلفه عن الاشخاص الذين نبغوا في فنون الحرب . والمخطوطة محفوظة في دار الكتب الوطنية بباريز وتحمل رقم ١١٢٨ .

ـ هداية الرامي الى الأغراض والمرامي : للحسن السنجاري . ويشبه هذا الكتاب كتب فن الرمي الحديثة . وهو مصور في معهد المخطوطات برقم ٥٦ / ١ .

ـ البنود في معرفة الفروسية : لنجم الدين حسن الرماح . ومنه نسختان في رامبور ودار الكتب المصرية .

ـ التذكرة الهروية في الحيل الحربية : لعلي بن ابي بكر الهروي . ومنه نسخة مصورة في دار الكتب المصرية برقم ٢٩٩ ، واخرى في معهد المخطوطات برقم ٢١٠ .

ـ تفريج الكروب في تدبير الحروب : لأبي عبد الله محمد بن محمد الرشيدي . ومنه نسخة مصورة في معهد المخطوطات برقم ٩٠٣ .

ـ رسالة في الجهاد وآداب الحرب : مخطوطة في مكتبة الحجار بحلب .

ـ الحرابات : لأبي سعد العلاء بن سهل ، في دار الكتب الوطنية بطهران .

ـ مشارع الاشواق الى مصارع العشاق ومثير الغرام الى دار السلام في فضل الجهاد والحث عليه : لمحيي الدين احمد بن ابراهيم الدمشقي . وقد تحدث فيه المؤلف ـ بالرغم من غرابة اسمه ـ عن فضل الجهاد والمجاهدين ، والغزو في البر والبحر ، وتجهيز العساكر ، والحراسة ، والمغازي والفتوحات . ومنه مخطوطة في دار الكتب المصرية برقم ٢٤ .

ـ العز والنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع : لابراهيم بن احمد غانم الاندلسي . ومنه مخطوطة في دار الكتب المصرية برقم ٨٦ .

ـ مدخل في فن الفروسية والحيلة الحربية : لم يذكر مؤلفه . ويبحث في حسن سياسة القائد وفضائله ، والتعبئة وتسمية الجيوش ، والسير ، واشكال الصفوف ، واللقاء ، والحملة على العدو ، والطلائع والكمائن . وقد ورد ذكره في دليل الكتب العربية الموجودة في فيينا .

ـ علم الفروسية وآلات الحرب : لم يذكر مؤلفه . ومنه مخطوطة في مكتبة الجامعة الازهرية .

ـ السعي المحمود في ترتيب العساكر والجنود : لابن البنابي . وهو جهد هام في تنظيم الجيوش وتعبئتها . ومنه نسخة في مكتبة الجامعة الازهرية برقم ٧٢٦٠ .



وبعد .

فليست هذه المقالة سوى محاولة لابراز دور العرب في تقدم الفنون والعلوم العسكرية . وما وصل الينا من مصنفاتهم في هذا المجال لأكبر دليل على تفوقهم في التفكير العسكري ، بعد أن انتصروا على اعدائهم في الفتوح ، فألفوا في تعبئة الجيوش وسوقها ، وادارتها وتنظيمها ، وتموينها وتسليحها ، وتدريبها وتحركاتها ، الكتب الكثيرة .

ومما لاريب فيه ، ان مواكب العلوم والفنون والمعارف العسكرية في الوطن العربي اليوم ، تحتاج الى هذه الكنوز الدفينة ، في بنائها المذهب العسكري العربي الحديث ، فتستمد أصوله واسسه واحكامه واخلاقيته من مذهبنا القديم ، فيكون كالنهر العظيم الذي يصدر عن نبع ثر عظيم ، وتغذيه الروافد في مسيرته ، لتعطيه نسغ العصر الحديث ولبان تجارب الامم والتاريخ .

# الأمية في سورية

## محاولة في إلقاء نظرة على المشكلة

بقلم: عصام الزعيم

— باريس



تعلم !
لأن يتعلموا بسيط الأشياء
اولئك الذين آن أوانهم
ليس أمراً متأخراً البتة !
تعلم الأبجدية ، انها لا تكفي
ولكن تعلمها !
ابداً !
عليك ان تعرف كل شيء
عليك ان تأخذ الصدارة
تعلم يا رجلاً في المصنع
تعلم يا رجلاً في السجن

تعلمي يا امرأة المطبخ
عليك ان تأخذ الصدارة
واظب على المدرسة ، دون ماوى
وأمن لنفسك المعرفة .
انت المحس بالبرد
الجائع ، أمسك بالكتاب
فالكتاب سلاح
عليك ان تأخذ الصدارة
لاتهيب طوح الاسئلة
لاتقلق بشأن الحساب ايها الرفيق
انظر نفسك
فما لاتعرفه انت بنفسك
لاتعرفه
اضبط الحساب
فانت الذي تدفعه
ضع الاصبع كل مرتبة
واسأل ماذا يفعل هذا الرقم هنا
عليك ان تأخذ القيادة .

برتولت بريخت

عندما طوت سورية العربية في ١٧ نيسان ١٩٤٦ بنيلها استقلالها ، قرونا طويلة من السيطرة الاجنبية التي شلت قواها المنتجة ونشرت الجهل والتقاليد الميتة في ارجائها وأعاقت تطورها ، ودخلت مرحلة تاريخية من الكفاح جديدة

جابهت مشاكل معقدة مرتبطة بعضها ببعض ، مشاكل تقليدية في العالم العربي وجملة البلدان المستقلة حديثاً .

لقد قادت البورجوازية الوطنية كفاحنا السياسي ، وتسلمت دفة الحكم منذ عشرين عاما وظلت عناصرها وأجنحتها تتعاقب عبر الانقلابات والانتخابات على السلطة ، وهكذا نمت القطاع الاقتصادي الفني ونشطت التجارة واستصلحت منطقة الجزيرة وانشأت كثيرا من المدارس ، ولكنها عجزت عن انجاز المهات الخاصة بالثورة الشعبية الديموقراطية واقتصرت حلولها على تدابير جزئيــة واصلاحية مما ادى الى بقاء عدد من القضايا الاساسيــة في حياتنــا الاجتماعية والثقافية معلقة .

وهكذا حال قضية عظيمة الاهمية كتصفية الامية ، التي ورثناها عن زمن الانحطاط والعثمانيين وفترة الانتداب الفرنسي ، انها لم تطرح على بساط البحث النظري والتبصر ولا بذلت لحلها الجهود الكافيــة المطلوبة ، واذ يستعرض المرء المنجزات التي تحققت بالتأكيد في ميدان التعلم ونشر الثقافة ، يستخلص بان تعليم القراءة والكتابة مازال مهمة اساسية مطروحة على مجتمعنا اليوم .

وقد جاءت مطالعاتنا لمنشورات منظمة اليونسكو وارقامها المستقــاة من من مصادرنا الحكومية تشجعنا على تناول موضوع الامية وتصفيتها في سورية ، وليس في نيتنا القيام بدراسة كاملة هنا وانما نسعى هنــا لطرح المشكلة وتحديد ابعادها والتقدم بحلول مبدئية لها .

ليس القضاء على الامية بمشكلة ثقافية صرفة ، فالامية ظاهرة إجتماعية ذات آثار سلبية على التطور الاقتصادي والنهضة الفكرية ، كما ان تحقيق الاصلاح الزراعي وادخال الاساليب الحديثة في الزراعة ورفع المستوى الصحي للجماهير

الشعبية وانتساب الاناث للمدارس خاصة ، ليست بأمور مستقلة عن تعليم القراءة والكتابة والنشاط الثقافي بين الجماهير الشعبية ، وهذا مايضاعف من أهمية المسألة على ماهي عليه من اهمية .

كانت المرحلة المنقضية اثر الاستقلال السياسي ، عندنا وفي العالم العربي كله بالطبع ، مرحلة تضاعف الذهاب الى المدارس ، وتضاعف المدارس وعدد التلامذة في المرحلة الابتدائية كما يدل الجدول التالي :

| السنة الدراسية | عدد تلامذة المدارس الابتدائية | عدد المدارس الابتدائية |
|---|---|---|
| ١٩٥٢ – ١٩٥١ | ٢٩٧ ١٨٥ | ٢ ١٨٤ |
| ١٩٥٣ – ١٩٥٢ | ٣١١ ٣٣ | ٢ ٣٣٩ |
| ١٩٥٤ – ١٩٥٣ | ٣١٩ ٤٣٨ | ٢ ٥٨٤ |
| ١٩٥٥ – ١٩٥٤ | ٣٣٦ ٢٢١ | ٢ ٦٣٦ |
| ١٩٥٦ – ١٩٥٥ | ٣٤٥ ٣٦٧ | ٢ ٧١٩ |
| ١٩٥٧ – ١٩٥٦ | ٣٥٢ ١٨١ | ٢ ٨٠٨ |
| ١٩٥٨ – ١٩٥٧ | ٣٨٩ ٥٧٠ | ٢ ٩٨٩ |
| ١٩٥٩ – ١٩٥٨ | ٤٢٣ ٨٨٣ | ٣ ٠٨٣ |
| ١٩٦٠ – ١٩٥٩ | ٤٢٣ ٩٥٨ | ٣ ٢٦١ |
| ١٩٦١ – ١٩٦٠ | ٤٨٢ ٥٣٦ | ٣ ٥٠٩ |



ويتركز معهذا التقدم ومعدله ١٫٦ بين السنة ١٩٥١ – ١٩٥٢ والسنة ١٩٦٠ – ١٩٦١ ، في المدن الكبرى كدمشق وحلب وحمص وحماه وفي بعض الارياف كجبال العلويين ، وعلى اطراف مراكز المحافظات ، ويعود هذا التقدم الى التضاعف المستمر في ميزانية التعليم السنوية ، ولكنه لا بد من ارقام الميزانيات

التفصيلية المخصصة للتعليم الابتدائي والمدارس العشائرية والريفية لتكون فكرة دقيقة عن هذا التضاعف ، ونظراً لان هذه الاحصائيات التفصيلية ليست في متناولنا ، فاننا نعرض هنا جدول الميزانية العام لوزارة التربية والتعليم ( والمعارف كما كانت تسمى قبلا ) ، منذ الاستقلال حتى فترة قريبة .

| السنة | ميزانية وزارة التربية والتعليم (بملايين الليرات السورية) | الميزانية العامة | النسبة |
|---|---|---|---|
| ١٩٤٥ | ٩ ٩٥٣ ٥٦٨ | ١٠٣ ٦٧٨ ٠٠٠ | ٩٫٦ ٪ |
| ١٩٤٦ | ١٤ ١٢٧ ٣٨٨ | ١٢٩ ٧٠٤ ٠٠٠ | ١٠٫٨٩ ٪ |
| ١٩٤٧ | ١٦ ٩٦٦ ٤٥٠ | ١٢٥ ٨٢٠ ٥٣٠ | ١٣٫٤٨ ٪ |
| ١٩٤٨ | ٢٠ ٤٥٩ ٤٠٠ | ١٢٧ ٩٠٩ ٠٠٠ | ١٦ ٪ |
| ١٩٤٩ | ٢٢ ٢٧٨ ٢٠٠ | ١٣٠ ٧١٠ ٠٠٠ | ١٧٫٠٤ ٪ |
| ١٩٥٣ | ٣٦ ٦٠٤ ٠٠٠ | ٢٠٥ ٠٠٠ ٠٠٠ | ١٧٫٨٥ ٪ |
| ١٩٥٤ | ٣٧ ٠٩٧ ٠٠٠ | ٢٠٨ ٠٠٠ ٠٠٠ | ١٧٫٧٨ ٪ |
| ١٩٥٥ | ٤٩ ٥٤٠ ٠٠٠ | ٢٦٠ ٥٧٠ ٠٠٠ | ١٩٫٠١ ٪ |
| ١٩٥٦ | ٥٢ ٦٧٨ ٠٠٠ | ٣٢٤ ٠٥٤ ٠٠٠ | ١٦٫٢٦ ٪ |
| ١٩٥٧ | ٥٩ ٣٩٢ ٠٠٠ | ٤١٥ ٥١٤ ٦٢٥ | ١٤٫٢٩ ٪ |
| ١٩٥٨ – ١٩٥٩ | ٦٤ ٠٢٤ ٠٠٠ | ٤٦١ ١١٨ ٠٠٠ | ١٣٫٨٨ ٪ |
| ١٩٥٩ – ١٩٦٠ | ٧١ ٥٥٧ ٠٠٠ | ٤٩٣ ٣٧٥ ٠٠٠ | ١٤٫٥٠ ٪ |
| ١٩٦٠ – ١٩٦١ | ٧٠ ٤٦٩ ٠٠٠ | ٥١٢ ٢٢٥ ٠٠٠ | ١٣٫٧٦ ٪ |
| ١٩٦١ – ١٩٦٢ | ٨٠ ٠٦٨ ٠٠٠ | ٥٥٢ ٥٢٤ ٠٠٠ | ١٤٫٤٩ ٪ |

نلاحظ في هذا الجدول بان الميزانية المخصصة للتربية الوطنية قد تضاعفت اجمالا ثماني مرات ، بينما لم تتضاعف الميزانية السورية خلال نفس المدة الا بنسبة ٣٫٥ ، وان نسبة ميزانية التربية الوطنية الى الميزانية العامة قد بلغت حدها الاقصى وهو ١٩٫٠١ بالمئة في عام ١٩٥٥ ، وانها انحدرت بعدئذ لتستقر بين ١٣٫٦٦ و ١٤٫٥٠ بالمئة خلال سنوات ١٩٥٧ - ١٩٦٢ .

وبالرجوع الى البلدان التي صفت الامية والتي تقوم الآن بقفزة ثقافية حقيقية ، نرى بان من الضروري تخصيص ربع ميزانيتنا لتكوين الجيل الجديد مدرسياً وثقافياً لكي تصلح الآثار الوخيمة التي خلفتها الفترة المظلمة العثمانية والاستعمارية ، وهذا يقتضي مضاعفة ميزانية التعليم كمياً ونسبياً .

## الأمية والذهاب الى المدرسة

بعيد هو التعليم الاولي وان اضحى كاملا عن تقديم حل فعال وسريع للمشكلة ، اذ ينبغي أن يزول نموذج البالغ الامي ، وان تتعلم جماهيرنا الامية كيف تقرأ وتكتب ، فهنا تكمن فرصة مشاركتها مشاركة نشيطة في التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية واختيار المواقف الايديولوجية والسياسية والحلول الاقتصادية ووعي حقائق عالمنا وصفات زمننا الثورية .

تتطابق خارطة الامية في العالم مع خارطة البلدان التي هي في طريق الانعتاق الوطني وتصفية الاستعمار ، فالأمية التي تجعل ثلثي سكان العالم الراشدين خارج نطاق الحياة الحقيقية والثقافية هي اكثر ماتكون انتشاراً في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ، وتنتمي الجمهورية العربية السورية الى مجموعة تعد ٤٥ بلداً من البلدان التي نسبة الأمية فيها مرتفعة ولكن عدد السكان فيها قليل ، ففي سنة ١٩٥٠ بلغ عدد سكانها ٣٫٥ مليوناً منهم ٢٫١ مليوناً من الراشدين (في سن الخامسة عشرة فما

فوق ) ٧٠ — ٧٥ بالمئة منهم أميّون أي مايعادل ١،٥ — ١،٦ مليونا من الاميين في سن الرشد .

وفي عام ١٩٦٠ بلـــغ عدد سكان سورية ١١٨ ٥٦٥ ٤ نسمة منهم ٨٩٦ ٥٢٠ ١ طفلا سنهم دون العاشرة ، لم يقبل منهم في المدرسة الابتدائية سوى ٤٢٣٩٩٥٨ طفلا كما تبين الاحصاءات الرسمية ، اى ان ٩٣٨ ٠٩٦ ١ طفلا قـد حـكم عليهم بان يصبحوا اميين ، وكان هناك عدا هؤلاء ٦٥٢ ٧٥٦ ١ من الأميين سنهم تتجاوز العاشرة، وهذا معناه ان سورية كانت تعد ٨٤٩٥٩٠ ٢ أمياً أي ٦٢،٤ بالمئة من سكانها ، ولم تجر التغيرات الحاصلة منذ ١٩٦٠ في سورية تعديلا كبيرا على هذه المعطيات ، مما يدفعنـا للقول ان القضاء على الامية لم يتحقق بعد وان الحكومات العديدة التي حكمت شعبنا لم تحل هذه المشكلة الاولية في بـلادنا .

ليس الذهاب الى المدرسة مرادفا لتصفية الامية ، او لنقل على الأقل انهما لا يترادفان قبل مرور فترة تاريخية محددة ، فادخال الاطفال الى المدرسة الابتدائية لايمحي الامية البتة ، وانما يحول في خير الحالات ونعني حالة تأمين المدرسة لاطفال الشعب جميعا ـ دون تفاقم الامية ، ولهذا فانه لامر مدهش وبعيد المغزى ان سورية كانت (سنة ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ ) تعد ٨٩٦ ٥٢٠ ١ طفلا سنهم دون العـــاشرة ، لايوجد منهم سوى ٥٦٤٠٠٠ طفلا في المدارس الابتدائية .

ثمة مؤسسات في سورية انيطت بها مهـــام معالجة الامية ، الا ان ظاهرة الامية تظل على خطورتها ، فبموجب تصريح رسمي ادلى بـه وزير التربية والتعليم في نهاية كانون الثـــاني ١٩٦٤ كانت سورية تعد من الاميين الذين تجاوزت سنهم العاشرة ٦٥٠ ٧٥٢ و١ شخصا وذلك في سنة ١٩٦٠ التي اوضح الاحصـــاء

الذي جرى خلالهـــا بان عددهم بلغ ١١٨ ٥٦٥ ٤ نسمة ، وبالطبع فان عدد الأميين قد تضاعف تضاعفاً محسوساً خلال الاعوام الثلاثة الماضية .

نستنتج من ذلك ان الامية مشكلة من مشاكل الساعة لم تحلها الحكومات العديدة التي تعاقبت على السلطة في البلاد خلال عشرين عاما انقضت ، وهذه الحقيقة القائمة في سورية التي كانت مهد الابجدية في التاريخ القديم ، محزنة حقـا لاسيما وان الوسائل والحلول لاتعوزنا موضوعيا شأننا في ذلك شأن سوانا من الشعوب.

## الحل المزدوج

يحول فقـدان الاحصائيات دون تحديد عدد الاطفال الاميين في سورية تحديداً دقيقا ، بيد اننــــا نعلم بان عدد الاطفال الذين هم في سن المدرسة ، يقدر بـ١٥٫٣ مليونا في خمسة عشر بلدا في العالم العربي ، وبان ٦٫٥ مليونا فقط من أصل الرقم السابق مسجلون في المدرسة ، وهذا يعني ان هناك ٨٫٦ مليونا من الاطفال محرومون من التعلم في المدارس العربية .



حرصنا في الافكار التي ادرجناها اعلاه على ابراز الحقيقة وطرح معطيات المشكلة ، واذا فعلنا ذلك فانما لنجذب انتباه الشبيبة العربية السورية وانظار مثقفينا الذين يستعدون لحياة الغد العملية ، ولنقترح كذلك وعلى الاخص سبل حل هذه المشكلة وطرح مبادئه .

ان المهمة العاجلة التي ينبغي ان تشغل المربين والمسؤولين في جهاز التعليم هي بالتالي وضع حد للامية بتأمين المدرسة لجميع الاطفال تأمينا تاما ، والمقصود بذلك ادخال جميع الاطفال الذين تقل سنهم عن سبع سنين ، في بدء كل عـام ، الى المدرسة الابتدائية التي كرستها قوانيننا المكتوبة مجانية والزامية .

وان ادخال جميع اطفال سورية الى المدرسة ليقتضي :

**أولاً** : مضاعفة عدد الصفوف والمدارس الابتدائية ودور الحضانة .

**ثانياً** : مضاعفة اعداد المدرسين الابتدائيين بتوظيف حملة الشهادة الثانوية الذين يرغبون في ممارسة التعليم ، من جهة وتكوين عدد اكبر فاكبر من ملاكات التعليم الاولي من جهة اخرى .

وبالقيام بهذه المهمة العاجلة نكون قد بدأنا بالحد من اتساع المشكلة ، والحيلولة دون تفاقمها وانقصنا بالتالي انقاصاً تدريجيا النسبة العالية من الامية التي يتصف بها وضعنا الراهن .

**طريق القضاء على الأمية**

ينبغي علينا لكي نحل هذه المسألة الحادة ، ان نعتمد بالاساس تحليلا دقيقاً لظروفنا الموضوعية الخاصة ، لامكاناتنا المادية ولحاجاتنا الاقتصادية وطاقاتنـــا البشرية ولمفاهيم مجتمعنا وتقاليد شعبنا ، فنظراً لكون سورية بلداً متخلفاً ، عليه ان يرعى جيشاً دفاعياً ، وينفذ مشاريع انمائية تكلف غالياً ، فان الموارد المالية المخصصة للتعليم العام تصبح لهذه الاسباب محدودة ، وبصرف النظر عن رواتب المعلمين ، فهم أصلاً قليلو العدد نسبياً . كما انه ليس بصدفة ان يمثل فلاحو المناطق المعزولة نسبياً ، والعمال العاديون من جهة والنساء بصورة عامة من جهة أخرى العنصر الأساسي من أميينا الراشدين ، فالتركيب الاجتماعي التقليدي في الريف والبادية والمفاهيم الاجتماعية كلها من أصول هذه الظاهرة .

على انه من الضروري والمفيد غاية الافادة ان نستفيد من تجربة بلدان عديدة سبقتنا الى تصفية الأمية لدى شعوبها وتشابه لبعض ظروفها أوضاعنا ببعض المشابهة ونعني بذلك بلغاريا مثلا ، كذلك فان القضاء على الأمية بين مليون من السكان الراشدين في كوبا منذ انتصار ثورتها لهو تجربة لا تخلو من فائدة للعـالم العربي المتطلع الى التطور .

لكي نقوم بحملة على صعيد البلاد كلها ، ينبغي علينا ان نجهز مواردنا ونعبيء شبابنا المتعلم ونجند وسائلنا الاعلامية ، وسيتوقف طول العملية على فعالية الوسائط المستخدمة ، كما ستعتمد التكاليف على المدة الموضوعة وعلى الوسائط المستعملة التي تتوقف بدورها على امكانياتنا وعلى حاجاتنا الملموسة .

يعتمد اختيار أي حل من حلول القضاء على الأمية ، على اعتبارات موضوعية وذاتية محددة ومن المهم ان ننظر الى الامكانات المادية من الزاوية الاقتصادية ، فيجب أن تزاد الميزانية المخصصة للتربية الوطنية وخاصة للتعليم الابتدائي بحيث تؤمن الدراسة الابتدائية ، كمرحلة اولى ، لكل اطفال البلاد .

ومن حيث الجوهر يجب اللجوء الى الحلول التالية :

**اولاً** : ليس لمكافحة الأمية حتى الآن جهاز حقيقي قائم بذاته في جميع البلاد العربية ، فلذلك يجب أن تنشأ ادارة خاصة ، مرنة التركيب يستطيع موظفوها وافراد ملاكاتها الشبان الديناميكيون ان يتنقلوا في البلاد بسهولة ، وان يدير هذا الجهاز مجلس وطني يضم ممثلي السلطة العامة ونقابات المعلمين واتحادات الفلاحين وروابط الطلاب والعمال وقادة المنظمات النسائية واعضاء الجهاز الذي عليه ان يسهر على البلوغ بمكافحة الأمية غايتها .

**ثانياً** : تطبيق الطرق السمعية البصرية والدروس النموذجية الموحدة في تصفية الأمية لدى الشعب ، وأناطة وضع الدروس والطرق المذكورة بمربين ومختصين يطبقون تجارب البلدان الاخرى منقولة بفضل منظمة اليونسكو أو الاتصال المباشر .

**ثالثاً** : فتح صفوف قصيرة في تعليم الأميين لملاكات التعليم الابتدائي ،

وادخال درس اضافي عن تصفية الأمية الى برامج دور المعلمين والمعلمات ، لاعداد مدرسي ومدرسات الغد لهذه المهمة ، كذلك فان تجنيد طلابنـــا الجامعيين وفي الصفوف الثانوية الاخيرة ، يؤمن لنا الاساسي من الملاكات الضرورية لاكمال هذه المهمة بتكاليف معتدلة .

**رابعاً** : انشاء أبنية ومراكز لمكافحة الأمية في المناطق الجبلية وشبه المعزولة ، وايضا في قلب الاحياء الشعبية وتحويل اقسام من جوامعنا وكنائسنـا وانديتنا ومراكز النواحي والاقضية ، الى مراكز لمكافحة الامية ، لكي نسهل هذه المهمة ونقلل من نفقاتنا .

## الطاقات البشرية المعبأة

نشير الى جانب تجنيد الموارد الاقتصادية والتكوين المهني او لنقل الفني ، الى الدور الهائل الذي تستطيع طاقاتنا البشرية المختصة أن تضطلع به ، وقوامه تعبئة جهاز التعليم ولكن ايضا كل الشبيبة المتعلمة وعلى الاخص طلبة الجامعات ، وطلبة الصفوف الثانوية الاخيرة ، وكذلك اعضاء المنظمات الثقافية والاجتماعية كالفتوة طبعا والفرق الكشفية .

وينبغي ان يصدر تشريع ينص على تعبئة كل شاب انهى مرحلة التعليم الابتدائي ، وتتراوح سنه بين ١٧ و ٣٥ عاما ، في معركة القضاء على الامية . ونؤكد هنا فكرة التكوين السريع خلال مدة تتراوح بين شهر واربعة شهور ، لتمكين المتطوعين من تحصيل الطرق والخبرة الضرورية ، وانه لمنطقي والحالة هذه ان تشن الحملة بصورة رئيسية خلال العطل واثناء اشهـــر الصيف بين موسمي القمح والقطن .

## الصحافة ووسائل الاعلام

تستطيع الصحافة بالتأكيد ان تقوم بدورها في هذا الميدان ، كما تشهد تجربة الجزائر ، بنشر الدروس النموذجية الاوليـة والمبسطة ، ولكن دورها الفعلي يبدأ في المرحلة التي تتلو تعليم الاميين مبادىء القراءة والكتـابة ، وبدء تنويرهم الثقافي .

## الحماس والعامل النفسي

يستوجب القضاء على الامية وهو الشرط الاول لأي نهضة ثقافية ، ان يجري تبدل واسع النطاق ، كما في اي تغيير جذري لتركيب الاقتصاد او المجتمع، في نفسية الشعب وان يلهب الحماس الجماهيري تماما كما في أي تغيير جذري في بنيان الاقتصاد او تركيب المجتمع ، ونستطيع ان نخلق حماسا حقيقيا لدى جماهير الشعب بوسائلنا الاعلامية وبحملات التنوير وتحقيق الديموقراطية .



وعندما نختار موضوعات سياسية او اجتماعية كما فعلت كوبا ثم الجزائر ، فان الهاب الحماس الشعبي يعطي ثمراته بصورة اكثر يسرا ، ونكتفي بمثال واحد فنقول ان تحرير المرأة يصلح لان يكون موضوعا حسنا لدروس تصفية الامية بين مئات الالوف من نساء بلادنا .

## من اجل محو الامية نهائيا

لا تضع عملية محو الامية حدا نهائيا للجهل ، اذ ينبغي عند انجـازها ان تتبع بدروس تكميلية في الثقافة العامة بنية استئصال اي احتمال للجمود في حال مجاورته للامية ، استئصالا نهائيا ، وهذا معناه تطوير انتشار الصحافـة وتنظيم المحاضرات والندوات الشعبية على مستوى مبسط .

وبينما كان الهدف المبتغى من محو الامية هو ادخال الأميين الى عالم الكتابة وفك رموزها بالقراءة ، فان مركز الاهتمام هنا هو التكوين الثقافي وتوطيد النتائج التي نجمت عن محو الامية .

## محو الامية باعث على التقدم

من المتعارف عليه ان محو الامية يرتبط ارتباطا وثيقا بتزايد الدخل القومي ، فالوتيرة التي بها يتم النهوض الاقتصادي تتوقف على الانتهاء من الامية ، اذ ان الامية تعرقل عندما تكون عالية النسبة ، ازدياد الرخاء العام ، كما ان توزيع الدخل توزيعا اكثر انصافاً بين الناس يصحبه بالمقابل عادة انخفاض في نسبة الامية ، وذلك لأن العوائق المادية التي تصطدم الاسر الشعبية بها تختفي عندئذ ، مما يساعد هذه الاسر على ارسال اطفالها الى المدارس اكثر فاكثر .

وهذا يبين لنا كم هي وثيقة الصلة بين الاصلاحات الجذرية الواجب تحقيقها في تركيب زراعتنا وفي تطورنا الاقتصادي بالتصنيع وتنفيذ المشاريع الكبرى من جهة ومحو الامية في بلادنا من جهة ثانية .

لقد حافظت سورية وسواها من البلاد العربية على صورة كتاب العرائض العموميين الذين بالرغم من تسهيلهم المهات التي تصادف جماهيرنا الشعبية في حياتها اليومية ، هم الأولاد الشرعيون للامية وللتأخر الثقافي والاجتماعي ، ولهذا يجب علينا ان نعمل لمحو الامية من الوجود ومعها ايضا تلك الظاهرة الاجتماعية التي نسميها « الكتاب العموميين » .

## مراجع البحث

1 — Syria - Social & Cultural Book - Damascus 1959.

2 — Statistical Abstract of Syria (1961) - Damascus 1962.

3 — History of Education in the Arab World - by Bayard Dodge.

4 — Campagne mondiale pour l'alphabétisation universelle -UNESCO- 1963.

5 — L' Education dans le monde ( tome III ) - " L'enseignement du 1er degré " -UNESCO - 1960.

6 — L' Analphabétisme dans le monde au milieu du XXe siécle - UNESCO - 1957.

# عند ابن العبري

للأب صليبا شمعون (*)

لم يكن الفيلسوف ابن العبري أحد قادة الفكر السرياني في القرن الثالث عشر فحسب، بل كان رائداً للثقافة العالمية عامة، فقد امتلكته البشرية قبل ان تتملكه امته. فبالاضافة الى انه كان يمثل ذروة الثقافة السريانية، فقد أحاط بمختلف العلوم والمعارف الشائعة. واذا تكلمنا عنه انما نتكلم عن رجل خدم البشرية بكل جوارحه وبكل ما أوتي من علم وحكمة ومعرفة. ونحصر موضوعنا هذا في النقاط التالية:

١ — حياته ٢ — فلسفته ٣ — ابن العبري والثقافة العربية.

(*) أمين سر بطريركية انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس – دمشق

## ١ — حياته

ابصر علامتنا نور الوجود في ملطية عام ١٢٢٦ متحدراً من اسرة مسيحية عريقة . ونشأ في بيت يتضوع منه عبير الايمان والمعرفة ، فبدت عليه امائر الذكاء الوقاد منذ ميعة صباه، فتولى والده الطبيب هرون تلقينه الدروس الطبية والفلسفية ، ثم جاء بـه الى ابرع اساتذة المدينة واعلام كمباً في اصول العلم والمعرفة .

ولما اتسع افق مداركه وتشعبت مطاليب نفسه الكبيرة ، انكب يدرس مختلف العلوم ؛ فدنا من منهل اللاهوت يروي منه غليله ، ثم انقلب الى خضم الفلسفة يخوض غماره بكل جرأة ورباطة جأش . وفي تلك الفترة اغار التاتار على ملطية فملأ الهلع قلوب اهلها فهجرها الكثيرون ويخبرنا ابن العبري نفسه ان والده اجتمع بالمطران ديونيسيوس واخذا يوالفان بين قلوب المسلمين والمسيحيين فصاروا جميعاً صفاً واحداً وقلباً متحداً ، فنظر الله الى حسن نواياهم ودفع العدو عنهم . غير ان المدينة لم تسلم من عبث التاتار في السنة التالية فاضطر هرون الى الرحيل بأسرته الى انطاكية مدينة السلام والاستقرار يومذاك ، وكان الفيلسوف قد بلغ الثامنة عشرة. فحدثته نفسه بالتنسك ، فانكفأ الى غار بجوار انطاكية زاهداً في الدنيا مقتنصاً منها بالحكمة . وبعد سنة انقلب الى طرابلس ليتعمق في الرياضيات والطب والادب على العالم الذائع الصيت يعقوب النسطوري . وهكذا انتجع موارد العلم حيثما وجدت ، وكثيراً ما عانى المشاق سعياً في طلبه ، وكأني بالشاعر العربي يعنيه عندما قال :

**اذا كانت النفوس كـبـاراً تعبت في مرادهـا الاجسام**

ولما طارت لعلمه الغزير شهرة مستفيضة ، زاره في منسكه بطريركه ماراغناطيوس الثالث ، ونظرا الى رجاحة عقله وغزارة علمه وتقاه رسمه سنة ١٢٤٦ اسقفاً لجوباس، احدى ضواحي ملطية ، وهو في العشرين من عمره ؛ ولعله اول أسقف في تاريخ الكنيسة السريانية يتولى هذا المنصب في مثل هذا العمر . وفي سنة ١٢٥٢ ارتقى الى مطرانية حلب فكان حظها به سعيداً . وفيها تضلع من اللغة العربية ، كما اتقن فيا بعد الفارسية ، ويعتقد انه الم باليونانية.

وفي سنة ١٢٦٤ اعتلى كرسي مفريانية المشرق ، فصرف همـة لا تجارى في اصلاح شؤون ابناء رعيته . وكان اذا زار مدينة أو قرية وعرف ان فيهـا مكتبة لايغادرها حتى ينال منها قسطه .

### نسبه

لقد اخطأ بعض المستشرقين حـين قالوا ان ابن العبري هو من أصل يهودي ، مستندين بذلك الى كنيته واسم والده هرون . والعجيب الغريب ان يأخذ برأيهم هذا الواهي بعض المؤرخين الشرقيين . وهنا لسنا في معرض الرد على هؤلاء أو أولئك ، انما نبغي جلاء الحقيقة عن فيلسوفنا الكبير فنقول :

إن أول من سفه مذهبهم من السريان ، هو الطيب الذكر البطريرك افرام الأول برصوم في مجلة الجامعة الاميركية في بيروت وفي كتابه اللؤلؤ المنثور . ومؤخراً نشرت المجلة البطريركية في دمشق مقالين نفيسين بهذا المعنى فيهما التعليل الكافي والتحليل الشافي لأصل ابن العبري ، احدهما لقداسة البطريرك ماراغناطيوس يعقوب الثالث ، والآخر لنيافة مارغريغوريوس بولس مطران بغداد ، وفيما يلي نلخص آراءهم القيمة في هذا الصدد .

ان ابن العبري مسيحي سرياني لاغبار عليه ، وقد دعي بابن العبري نسبة الى « عبرا » وهي قرية بجوار ملطية على نهر الفرات سكنتها اسرته قبل نزوحها الى ملطية . وعادة نسب الاشخاص الى المدن والقرى جارية لدى جميع الامم ، هـذا على رأي احدهم . بينما ذهب آخر الى ان النسبة ناجمة عن ولادته او ولادة احد اجداده في اثناء عبور اسرته نهر الفرات .

أما استدلال المستشرقين من اسم والده فهو الآخر واه ، لأن المسيحيين لاسيما السريان منهم ، اعتادوا ان يسموا بهذا الاسم منذ فجر وجودهم ، ولو كان هذا دليلا على يهوديته اذن لكان يهودياً كل من تكنى بهذا الاسم ، ومنهم مثلا هرون الرشيد . فالبون اذن شاسع بين الحقيقة وبين هذا الرأي .

## وفاته

في سنة ١٢٨٦ توالت هجمات المغول على الموصل حيث كان يقيم الفيلسوف ، فاضطر الى مغادرتها الى مراغة في اذربيجان . وهناك عرب كتابه « مختصر الدول » اجابة الى رغبة بعض المسلمين العرب .

وفي مراغة شعر بالمرض ، فأشار اليه الاطباء بتناول الدواء فأبى قائلا « قد اعيى الداء عن الدواء » ، ولما اراد ان يكتب وصيته الأخيرة كانت انامله قد عيت عن القبض على القلم ، فاستدعى تلميذاً له واملى عليه كلمته الوداعية ، اودع فيها عصارة جهاده الطويل المثمر من نصائح وارشادات في المحبة والالفة وغيرها ، وهكذا كانت شمس حياته تسارع نحو المغيب قبل شمس النهار ، حتى دنت اللحظة الاخيرة حيث فاضت روحه الطاهرة في تموز سنة ١٢٨٦ . فوقع نعيه وقع الصاعقة على اهل المدينة وبخاصة على العلماء والفقهاء . فأمر جاثليق النساطرة جميع تابعيه أن يمتنعوا عن العمل في ذلك اليوم ، وان يلبسوا الحداد ايذاناً بالخطب الجلل الذي حل بالنصرانية لوفاة هذا الرجل الكبير .

## آثاره

لابد لنا من نظرة خاطفة نلقيها على مؤلفاته المتعددة لنقف على مدى علو كعبه في العلوم ، وما انتجته عبقريته الخصبة في نيف وستة وثلاثين كتابا ومقالا تتراوح صفحات معظمها بين الخمسمائة والألف من الحجم الكبير . اما بحوثه فقد شملت التاريخ الكنسي والمدني ، اللاهوت ، التفسير ، الطب ، الطبيعيات ، الرياضيات ، الفلك ، الاقتصاد ، السياسة ، الاخلاق والمجتمع ، الادب ، النحو ، التصوف ، الشرع وما اليها .

**مكانته الاجتماعية** : امتاز فيلسوفنا بهيبة في النفوس ، كان يفرضها على من يجالسه او يحادثه فرضاً ، واذا تكلم نفذت كلمته الى القلوب . وقد قال عنه احد فضلاء المسلمين أمام الجماهير في مراغة « اني اذا سمعت بحثاً من المفريان كأني اسمع الحكمة من فم ارسطوطاليس فلله دره حكيماً مدققاً وفيلسوفاً محققاً » . وقد اكسبته حكمته مكانة رفيعة لدى السلاطين والولاة الذين كانوا يعرفون للعلم قدراً فيفتحون امام العلماء ابواب قصورهم . فكان يتردد اليهم نظراً الى غزارة علمه وحسن سياسته ، هذا من جهة . ومن جهة أخرى ، ان دنحا جاثليق النساطرة ، وهو على خلاف مذهبي مع الفيلسوف ، نراه يحيطه عند زيارته لبغداد بكل تجلة واكبار حتى هتف امام الجماهير المحتشدة لاستقبال الفيلسوف قائلا «طوبى لشعب له مثل هذا» . يتبين من هذا أن العلم يتنزه عن كل تعصب ، فالرجل المدرك لايرى في العالم الا شخصاً مثالياً كرس نفسه لخدمة الانسانية ، فينظر اليه نظرة أعجاب وتقدير بغض النظر عن جنسه او دينه او مذهبه . ومن هنا يكون العلم سبباً للتآلف والتآخي والتفاهم ، فمن عرف قيمة العلم والعلماء ، لايعرف التعصب الى قلبه سبيلا .

ومما ضاعف مكانته في القلوب اخلاصه للعلم وتنزهه عن المادة ، فكان يقصده الطلاب من كل حدب وصوب ، ويتألبون ذريعة للوصول اليها ، نراه ينحي باللائمة على أحد معاصريه يدعى يعقوب الدمشقي الذي كان اذا قصده طالب يدرس عليه او يستعير منه كتابا ، يشاطره قبل ان يفعل ، فيقول عنه الفيلسوف « ان هذه خساسة مباينة للاخلاق الفاضلة » :

## ٢ — فلسفته

اعتلى ابن العبري عرش الفلسفة وهو مازال فتى في العقد الثاني . وهنا سنستعرض بعض آرائه الفلسفية في النقاط التالية : أ ـ نظرية المعرفة ب ـ علم النفس ج ـ المجتمع د ـ السياسة .

### أ ـ نظرية المعرفة :

لقد هام ابن العبري بحب المعرفة وشغف بجمالها واستعذب صوتها فراح يغذ السير نحوها إناء الليل واطراف النهار ، حتى اذا بلغ معينها أخذ يرتشف افاويقها الرقراقة الدفاقة ما يشاء وهو لما يزل يشعر بظمأ الى المزيد ، لأن روحه الكبيرة كانت تنشد الكمال وقد ادركت ان لاسبيل اليه الا عن طريق المعرفة والمعرفة فحسب ، لأنها كمال العقل كما يقول ، وهكذا سار في هذا الطريق حتى وصل .

لقد تبنى في بحوثه عن المعرفة وشرحها وتقديمها للجمهور ، النهج المألوف عصرئذ والذي كان قد سلكه الفلاسفة الاغريق ونقله السريان الى الشرق وتبناه الفلاسفة العرب ، واضاف

اليه امورا اخرى جديدة اوحت بها اليه عبقريته الفذة وقريحته الخصبة . فبالاضافة الى ما شرحه من كتب الفلاسفة المتقدمين وما اغناها به من تعليقات وهوامش وما نقل منها من لغة الى اخرى ، له آراؤه الخاصة المبتكرة في هذا المضمار . وكثيرا ما يناقش آراء الفلاسفة غير المستندة الى المعرفة الصحيحة والمنطق السليم فيكشف عن مواطن الضعف فيها ويظهر زيفها . ففي مقدمة كتابه « منارة الاقداس » مثلا ، نراه يرد على بعض الفلاسفة اليونان كهرقليطس وابندقليس وبرمينس الذين انكروا حقيقة المعرفة الحسية وقالوا بالمعرفة العقلية فقط ، وذلك ببراهين قوية لاتقبل الجدل .

ومن هنا فهو يقسم اراء الفلاسفة الأقدمين قسمين يأخذ بالنافع والمقبول منها ويدحض الواهي والغث الذي لايرتكز على اسس المعرفة الحقة . بل هو مجرد اجتهاد ساقتهم اليه عقليتهم التي لم تكن قد استنارت بنور المعرفة السماوية الأزلية . واحيانا يتعدى هذا الحد فيثور على بعض آرائهم ثورة عارمة ويخوض معهم معركة حامية يقارعهم بنفس السلاح ، من ذلك ماذهب اليه الفلاسفة عن المادة فقالوا بازليتها ، وكنتيجة لذلك بأزلية العالم الذي جعلوا تكوينه من عناصر النار او الرطوبة وغيرها وهي أزلية بحسب زعمهم . وهنا يقف لهم فيلسوفنا بالمرصاد وقد تشبث روحه من تعاليم الوحي الالهي . فيسفه رأيهم ببراهين عقلية ونقلية دامغة . وحيث أن المجال هنا لايفي بسرد جميع تلك البراهين ، نكتفي بواحد منها كنموذج لقوة حجته ورجاحة تفكيره . يقول ابن العبري « ماكان أزليا فهو غير قابل للتغير أو الحركة ، ولما كان العالم مركبا من اجزاء ، ولما كانت هذه الاجزاء قد اتحدت لتكوينه ، فصارت له بذلك حركة وتغييرا ، وحيث ان كل ماهو متغير له بداية ونهاية ، فيكون العالم اذن غير أزلي » .

نعود الآن الى تبيان ثمار المعرفة التي هي ، كما يقول ابن العبري ، كمال العقل ، والعقل لايثمر بالمتعة الا في المعرفة . ولما كانت المعرفة اساسا للذة فهي اذن مصدر سعادة الانسان ، ذلك ان الانسان « لكونه ناطقا وعالما يدعى انسانا وليس لانه يأكل ويشرب ، لان هذه يشترك فيها معه غيره من الحيوانات غير الناطقة » فالانسان الكامل لايمكن ان يكون الا بكمال المعرفة ، ومن عدم المعرفة كليا فهو شبيه بالحيوان ولا يملك من الصفات البشرية غير الاسم .

اما الذي يجد في طلب الكمال فعليه ان يتجه بكليته وبشوق دائب الى المعرفة ، وبذلك يسفه ابن العبري آراء الفلاسفة المتشائمين الذين يقولون « اذا أردت اسعاد الناس فلا تعلمهم » معتبرين المعرفة سببا لشقاء البشر وتعاستهم ، غير انه يرى عكس ذلك ، فالجهل عنده هو سبب شقاء البشر ، والمعرفة مصدر سعادتهم ورفاههم ، فهو والحالة هذه يقول « اذا اردت سعادة الناس فعلمهم » . وبعد ان يبسط آراءه هذه يدعمها بشهادات من الكتاب المقدس .

يتضح لنا مما تقدم ان جميع آرائه الفلسفية يستند فيها الى مصدرين هامين ، هما : الوحي الالهي والعقل المدرك .

## ب ـــ علم النفس :

يختلف علم النفس في عصرنا عما كان عليه في عصر ابن العبري وما قبله . فعلم النفس الحديث يتناول دراسة قوى النفس وميولها ومفاعيلها او بعبارة اخرى هو « دراسة الحوادث النفسية او ما يسمى بـ « السايكولوجيا » . اما علم النفس القديم فقد تناول البحث عن النفس كوحدة أي من حيث ماهيتها وجوهرها ووجودها وما الى ذلك . وقد تبنى هذه الدراسة الفلاسفة الاغريق . ولما نبغ فلاسفة عقائديون أي الذين ينتمون الى الاديان السماوية التي تعتقد بالقيامة واليوم الآخر ، اضافوا الى مفهوم هذا العلم ، استناداً الى الاسفار الوحية ، روحانية النفس وخلودها ايضاً ، اولا : لكونها صادرة عن الله جل جلاله مباشرة ، ثانياً : لاعتقادهم بالعقاب والثواب لكي تنال عقابها او ثوابها بحسب أعمالها ومآتيها في الحياة الدنيا .

وهكذا فقد ركزوا دراستهم لعلم النفس على هذه النقطة الجوهرية ، وكنتيجة لذلك فقد دخل ضمن دراستهم لعلم النفس علم الاخلاق ، باعتبار ان قوى النفس لها اثر بالغ في توجيه الانسان الى عمل الخير او الشر .

وابن العبري كغيره من الفلاسفة العقائديين يدرس النفس من حيث ان الله مصدرها واليه ينتهي مصيرها ، فبعد ان يدلل على وجودها بقوله : « ان الانسان يعقل ويعلم ويفهم الاشياء التي لا تدركها سائر الحيوانات ، واذا فارقته النفس عدم تلك الافعال ، فاذن تلك الافعال كانت بنفسه » ، ويعود فيعرف النفس بقوله « قال ارسطوطاليس : ان النفس هي كمال اول لجسم طبيعي ذي حياة وفكر وعقل بالقوة » ثم يكمل هذا التعريف قائلاً « وهي جوهر روحي حي غير مجسم عالم مضيء لطيف متحرك بذاته خلق ليتحد بالجسم ويكمل به ويكمله » . ويؤيد قوله هذا ببراهين منطقية سديدة . فيقول عن النفس جوهراً « ان الجوهر قابل للاضداد وحيث ان النفس تقبل العلم والجهل والفضيلة والرذيلة والخطأ والصواب وهذه اعراض لا توجد الا بموضوعها ، وحيث أن النفس هي موضوعها ، اذن النفس جوهر » . وعن كونها روحاً يقول « أن الجسم محسوس والنفس غير محسوسة ، اذن الجسم يقبل الاعراض المحسوسة والنفس تقبل الاعراض المعقولة كالمنطق والطبيعيات والرياضيات ، وهذه معقولة ، فوجب اذن ان يكون محلها معقولاً ، ولما كانت النفس هي محلها ، اذن النفس ليست جسماً وبالتالي فهي روح » . اما عن كونها ذاتية الحركة فيقول « حيث ان الانسان مركب من نفس وجسد فقط ، وحيث ان الجسد لا يتحرك بذاته من دون النفس ، والا لتحرك بعد موته ، فحركته اذن هي بنفسه ، واذا كان الامر كذلك وجب القول ان حركة النفس ذاتية .

اما اصل النفس فقد تباينت فيه اراء الفلاسفة ، فذهب فريق الى انها من كيان الله وجوهره. وقال غيرهم ان النفوس تتولد بعضها من بعض الخ . غير ان ابن العبري يكشف القناع عن الحقيقة فيقول « ان النفس مخلوقة وليست ازلية وان الله خلقها من لا شيء يسبقها وذلك مثلما اوجد المعقول المجرد اي الملائكة » . اما كيفية خلقتها فلا امر لها الا عن طريق الوحي الالهي فقط ، وان الله خلقها خصيصاً للاتحاد بالجسد ، وبهذا الاتحاد يتكون الانسان ، فالنفس اذن لا تكمل الا بالجسد لانها خلقت لتعمل ، ولا يظهر عملها الا باتحادها بالجسد والجسد هو الاخر يكمل بالنفس فهو بدونها مادة جامدة لا تقوى على أبسط الافعال ، وكما ان الجسد يكتسب كمالا وشرفاً عظيماً باتحاده مع النفس ، كذلك النفس لا تبلغ غايتها في تحصيل الفضائل ودفع الرذائل الا باتحادها بالجسد ، كما انها لا تبلغ معرفة الكائنات الا بواسطة حواس الجسد ، اذ تجردها بواسطة العقل عن خواصها الهيولية وتدركها .

## ج ـ المجتمع

يقوم المجتمع البشري على اساس المصالح المتبادلة ، فلا يمكن للفرد والحالة هذه ان يعيش لوحده ، كما لا يمكن للجميع ان يكونوا صنفاً او طبقة واحدة او يمتهنون مهنة واحدة.

وعندما تحدث قدماء الفلاسفة عن الحياة الاجتماعية اتخذوا لهم مدينة مثالية كناية عن المجتمع الصالح ـ فاسموها « المدينة الفاضلة » . فلكل من افلاطون والفارابي وابن العبري مدينته الفاضلة ، يشرح فيها آراءه الاجتماعية فيتحدث عن تكوينها وطبيعة سكانها وكيفية ادارتها . ولكل من هؤلاء الفلاسفة مذهبه الخاص في هذه الامور . واذا قارنا ما بينهم وجدنا ان المدينة التي يطلبها ابن العبري اكثر واقعية وايسر وجوداً من التي يطلبها الاخران . فافلاطون والفارابي مثلا يريدان سكان مدينتهما ان يكونوا من الروحانية بمكان بحيث يصبحون مثل الملائكة في السماء طهراً وخلقاً ، وهذا لعمري بعيد عن الواقع والحقيقة ، بينما ابن العبري يريد سكان مدينته اناساً عاديين ترتبط بعضهم ببعض اواصر المحبة الصادقة ويتحلون بالمثل العليا والاخلاق الرفيعة ، الامور التي تدعم الاستقرار والتفاهم والسلام ، وتوجد السعادة . وهذا النوع من المجتمع وان بدا عسر الوجود الا ان وجوده ليس مستحيلا .

والمجتمع عند ابن العبري نوعان : صالح وشرير . فهو يقول « كما انه لكل مركب خواص لا توجد كلها في كل جزء من اجزائه ، كذلك المجتمع البشري فـان هنالك صفات خاصة فيه لا توجد كلها في كل فرد من الافراد ، وبما ان اعمال الانسان الارادية اما ان تكون صالحة او شريرة ، لذلك تكون علة المجتمع البشري اما صالحة او شريرة » . اما افراد المجتمع الفاضل او سكان المدينة الفاضلة ، كما يسميها ، فاناس طيبون مدركون تخصص كل فريق منهم لادارة ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية ، ولكي تسير امور مدينتهم سيراً طبيعياً فهو يصنفهم خمسة اصناف وهي :

١ – صنف المرشدين وهم الفلاسفة والادباء الذين يغرسون الايمان القويم في نفوس الناس ويعلمونهم ان يأتوا اعمالاً صالحة .

٢ – الولاة والحكام الذين يزدهر بسلطتهم المعتقد القويم ويجتذبون الجمهور الى السلوك الحسن ويقاصصون الاشرار .

٣ – المهنيون الذين يسدون حاجة الشعب .

٤ – الجيش الذي يحافظ بقوته على المدينة من الغزاة .

٥ – الموظفون والجباة والكتاب الذين يجبون الضرائب للدولة لتنفق على رواتب الموظفين الذين يخدمون الشعب .

اما المجتمع الشرير او المدينة الشريرة ، فان الفوضى ضاربة اطنابها بين سكانها وليس من يردعهم عن غيهم . فهم يسلكون كما تملي عليهم اهواؤهم الشريرة وميولهم الرديئة ، فهم والحالة هذه اشبه بالوحوش الضارية لا يهمهم شيء سوى اشباع شهواتهم مهما كانت الوسيلة الى ذلك .

ينتج من هذا ان ابناء المجتمع متباينون في الصفات والطبائع والاعمال . لذا فان الفيلسوف يصنفهم من حيث طبائعهم واثرهم في المجتمع خمسة اصناف هي :

١ – الذين هم خيرون طبيعياً ويتعدى خيرهم الى الاخرين ، وهؤلاء جديرون بالرئاسة .

٢ – الذين هم خيرون طبيعياً غير ان خيرهم لا يتعدى ذواتهم .

٣ – الذين هم غير صالحين طبيعياً ولا اشرار .

٤ – الذين هم اشرار طبيعياً غير ان شرهم لا يتعدى الى غيرهم .

٥ – الذين هم اشرار طبيعياً ويتعدى شرهم الى الآخرين ، وهؤلاء يجب ان يسجنوا ويربطوا بالسلاسل ثم يسدى اليهم النصح فان لم يرعوا فليبادوا .

ولما كان المجتمع يقوم على اساس تبادل المصالح والخدمات كما قلنا ، كان لا بد لكل فرد ان يعمل ليكون عضواً صالحاً فيه ولكي يستحق الحياة . لان « من لا يعمل لا يستحق الحياة » . غير ان هنالك بعض الافراد يركنون الى الكسل والبطالة غير آبهين لما يقضي به عليهم الواجب ، فيحيون عالة على مجتمعهم . فمن هؤلاء يقول ابن العبري بصراحة « هنالك افراد ينعمون بالكسل والبطالة ولا يعملون اي عمل قائلين اننا متكلون على الله فهو يقوتنا ويكسونا مثل طيور السماء وزنابق الحقل ، ومثل هؤلاء البشر ما داموا يقتاتون بما في العالم ويسدون رمقهم منه اذا لم يدفعوا ثمن بطالتهم للحياة ، فانهم ظالمون ، واذا سدوا رمقهم بعملهم ولا يكونون عالة على غيرهم فانهم سعداء » ثم يردف قائلاً « على كل فرد في المجتمع ان يعمل ومن لا يعمل ولا يقدم عذراً شرعياً عن عدم عمله . فهو ظالم في حق مجتمعه بل عالة عليه ، فمثل هذا الرجل لا يجب ان يطعم خبزاً » .

وعند ابن العبري وغيره من الفلاسفة تثبت اركان المجتمع على اساس الفضائل واخصها عند افلاطون والفارابي مثلاً « العدالة » غير ان ابن العبري يخالفها بهـــذا جاعلاً « المحبة » اساساً لكل الفضائل قائلاً « لو وجدت المحبة بين الافراد لسادت العدالة الاجتماعية بداهة » - ورأيه هذا مستمد من روح الكتاب المقدس الذي يصرح بان الفضائل الكبرى ثلاث « الايمان والرجاء والمحبة واعظمهن المحبة . »

## د ــ السياسة

لكي ينتظم تبادل المصالح في المجتمع يجب ان يبنى على اسس راسخة وقواعـــد ثابتة تدعمه قوانين معينة تصون حقوق كل فرد وتدفعه على القيام بما عليه من الواجب . ولاغرو فلكل دولة قوانينها وتشريعاتها الخاصة تستند اليها سياستها في مختلف النواحي .

وهذه القوانين لابد من سلطة تحميها والا آلت الى الزوال . وحامي القانون في نظر الفلاسفة القدماء ومنهم ابن العبري هو « الملك » باعتباره ممثلا للدولة آنذاك . ولكن اليوم اذا تحدثنا عن هذا « الملك » عنينا به السلطة الحاكمة المسؤولة عن ادارة البلاد ، سواء اكانت هذه السلطة ملكا ام رئيساً ام جماعة .

ولنستعرض هنا بعض آراء ابن العبري في « الملك » وسياسته . يقول « ان الملك ليس من اقتنى الخدم والحشم والاطيان والاموال ، بل من كان جديرا بالسلطة » ثم يشرح معنى هذه الجدارة فيقول « من يستطيع ان يقود شعبه الى مروج العز والكرامة والسعادة » . فاذا تحلى الملك بهذا كانت سياسته رشيدة حكيمة تهدف الى رعاية الشعب رعاية صالحة ونتيجتها الاستقرار والرخاء . اما اذا انحرف عن هذه المبادىء فيكون عاتيا باغيا ولا يكون هدفه من تملكه سوى التسلط على الشعب ونتيجته الاضطراب والتعاسة وفقدان حبل الامن » ثم يورد بعض المزايا التي يجب ان يتميز بها الملك كي يكون صالحا وجديرا بالملك ، منها ١ ــ سعة الادراك ٢ الادارة الحسنة وتتم بالتفكير العميق والخبرة والتجربة والوقوف على اعمال الملوك السابقين ٣ ــ اصالة الرأي وتنتج عن العقل الكامل ٤ ــ الصبر والاحتمال عند الخطوب والشدائد ٥ ــ الثروة لان المحتاج غالبا مايظلم ٦ ــ كثرة الاصدقاء والاعوان . وصفوة القول فان الملك الحقيقي هو كالطبيب بالنسبة الى صحة الشعب ، فهو يحافظ على العدالة وبذلك يتمكن من شفاء دائهم الذي هو الظلم .

اما علاقة الملك بالشعب فيجب ان تكون كعلاقة الأب باولاده . فالاب يحب اولاده الى درجة لو فضلوا عليه لما تأثر بل لسر وافتخر . لذا فان الشرائع تأمر الاولاد بمحبة آبائهم وليس الآباء بمحبة بنيهم لان ذلك امر طبيعي . وكما يطيع الاولاد آباءهم كذلك يجب ان

يطيع الشعب رئيسه . اما المواطنون فيجب ان تشد بعضهم الى بعض اوامر المحبة ليتمكنوا من العيش بالهناء والسعادة .

ولما كان الملك قد وجد لاجل كرامة الشعب وسعادته ورخائه ، ولكي يحافظ على استمرار محبة الشعب له وعلى ملكه في الوقت نفسه وجب ان تكون سياسته للشعب مرنة كينة ، فيلقى ابناء رعيته ببشاشة ويتقبل شكاوى المظلومين بسرور ورحابة صدر ويقضي فيها ويعطي لكل ذي حق حقه ولايدع مجالا للمامين والمنافقين ان يعيثوا فسادا ، ويطهر المسالك والطرق من اللصوص والعابثين اي يحافظ على الامن الداخلي ، ويكثر اجتماعاته مع الفلاسفة والحكماء ويبتعد عن الشهوات والترف ولايهتم بالابهة الفارغة ، مفكرا دوما في سبل الحفاظ على مملكته ومجابهة اعدائه ، لان حكمة الملك افضل لثبات المملكة من سلطان القوة والسلاح . اما اذا اشرف في البذخ والتنعم قائلا ؟ ماذا يجديني الملك اذا لم اشبع رغباتي ، فان اسس مملكته تنهار بسرعة فائقة ، والكل يتوخى زواله وقيام غيره . وهكذا يريد ابن العبري هـذا « الملك » ان يكون ديموقراطيا غير مستبد ، يتفهم قضايا الشعب ويحبهم محبة الاب لاولاده .

## ٣ — ابن العبري والثقافة العربية

من المسلم به ان الثقافتين السريانية والعربية شقيقتان توأمتان صادرتان عن معين واحد . وقد تكاتفتا منذ القديم على رفع مشعل العلم والحضارة العالمية . وتعتبران بلا منازع ، حركة كبرى في تاريخ الفكر العالمي بل جسراً مرت عليه الحضارة الشرقية الى الغرب . فلا غرو اذن ان تتأثر احداهما بالاخرى . وهنا سنقتصر على تبيان بعض آثار الثقافة العربية في ادب ابن العبري وفلسفته .

لقد مر بنا القول ان ابن العبري اتقن اللغة العربية اتقانه للسريانية ونال من الثقافة العربية قسطاً وافراً ، حتى برز اثرها في مناحي متعددة من ادبه وفلسفته . ولغته العربية هي من الفصاحة بمكان ، وهو يعد من البلغاء المبرزين فيها . فهو يختار الالفاظ ببراعة فائقة حتى اذا قرأت له خيل اليك انك تقرأ لأعظم فقهاء الضاد . والى القارىء الكريم مطلع احدى عظاتـــه البليغة التي دبجها بالعربية ، قال « الحمد لله على ما أولانا من ذخائر مواهبه السنية ، وحبانا من اخاير رغائبه السموية ، واستنقذنا من بحور الجهالة بالطاف قدسه ، وهـــدانا من ديجور الضلالة الى اكناف انسه ، وجرد عن القلوب درن الشكوك والتادي بايماض همه ، ومهد للجمهور سنن السلوك الهادي الى رياض نعمه ، وحسم عن خلقه مواد الشرور وجوازم الشيطان ، وقصم من طرقه إجياد الغرور بصوارم الامان . نحمده حـــداً نقطع بتكراره

منازل المخاوف والاخطار وتقرع في ايثاره الى معاقل المعارف والمنار » . وقد وضع ابن العبري بعض مصنفاته بالعربية كما نقل العديد من المصنفات العربية الفلسفية والطبية الى السريانية. وادخل مصطلحات عربية كثيرة الى السريانية .

وفي النحو حذا في وضع كتابه النحوي النفيس المرسوم بـ « اللمع » حذو الزمخشري النحوي الشهير اذ قسمه الى اربعة اقسام بحث فيه عن الاسماء والافعال والحروف والمشترك من احوال الثلاثة ، بينا كان النحاة السريان يقسمونها قبلا الى سبعة اقسام على الطريقة اليونانية ، فجاء اجود ما صنف في النحو السرياني.واصبح دستوراً للدارسين وحجة للنحويين ، وله كتاب نحوي آخر اسمه « المدخل » صنفه شعراً على طريقة الفية ابن مالك .

ومن الناحية الشعرية فاننا نجد في ديوانه ابياتاً عديدة تشابه ابياتاً عربية معنى ومبنى . من ذلك ما قاله نصر ابن سيار :

**ارى خلل الرماد وميض نار واخشى ان يكون لها ضرام**
**فان لم يطفها عقلاء قوم بصير وقيدها جثث وهام**

فيقول ابن العبري « اني ارى شرارة تتوهج تحت الهباء ، ولا بد انها ستلتهب ، فان لم يطفها العقلاء بحكمة سيكون وقودها جثث الناس وهاماتهم » .

والمتنبي قوله :

**ومن يـك ذا فم مر مريض يجد مراً بـه الماء الزلالا**

يقابله قول ابن العبري « انك يابني مريض ، لذا تجد الحلو مراً »

ولأحد الشعراء العرب قوله :

**فلو كان النساء كمثل هـذي لفضلت النساء على الرجـال**

يقابله قول ابن العبري « لو شاهدت امرأة اخرى مثل هـذه في جنس النساء ، لقلت ان جنس النساء افضل من جنس الرجال . »

ولابن العبري قصيدة خمرية في المحبة الالهية كما اسلفنا ، تتخللها ابيات تشبه الى حد بعيد خمرية عمر بن الفارض احد ائمة الطريقة الصوفية . ومن ذلك قول ابن الفارض :

**هنيئاً لأهل الدير كم سكروا بها وما شربوا منها ولكنهم هموا**

يقابله قول ابن العبري « هنيئاً لسكان الدير ما اسعدهم ، فقد اسلموا نفسهم للموت في سبيل حبها ، وسكروا من دون ان يشربوا منها قطرة واحدة » .

ويقول ابن الفارض ايضاً :

صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا ونور ولا نار وروح ولا جسم

يقابله قول ابن العبري « لطيف ، صاف ، وانقى من الهواء والنار ، ولا يدركه النظر عند تسكابه » .

وهنالك ظاهرة في ادب ابن العبري لا اثر لها في الادب السرياني وهي كتابه «الفكاهات» فهذا الكتاب بعيد كل البعد عن التقليد السرياني ، بينما نرى العديد من ادباء العرب يجمعون النوادر والطرف والفكاهات في مجلدات ضخمة ، فيكون ابن العبري قد اعجبه هذا اللون من الادب العربي فنسج على منواله ووضع في شبابه كتابه المشار اليه .

أما في الحقل الفلسفي فاننا نرى اثراً بارزاً للثقافة العربية لدى ابن العبري ، ففضلاً عن بعض المصطلحات المنطقية العربية التي ادخلها الى السريانية ، فهو يعتمد في كثير الاحيان اراء الفلاسفة العرب ولا سيما ابن سينا ، حتى يقتبس منه احياناً قضية او برهاناً بحذافيره . ومن ذلك برهان ابن سينا في تنفيذ عقيدة التناسخ حيث يقول « اذا فرضنا ان نفساً تناسختها ابدان وكل بدن فانه بذاته يستحق نفساً تحدث له وتتعلق به ، فيكون البدن الواحد فيه نفسان » . نرى هذا البرهان لدى ابن العبري بمبناه ومعناه اذ يقول « ان وجود النفوس بوجود ابدانها ، فاذا وجد بدن انساني استحق نفساً تفيض عليه ، فلو حلت فيه نفس اخرى متناسخة لوجد في البدن الواحد نفسان وذلك محال ، لأنه لا يشعر احدنا باكثر من نفسه ، فاذن القول بالتناسخ محال » .

وللكندي نظرية في النفس غير الطاهرة بعد مفارقتها البدن وتوقف سعادتها على اعراضها عن الشهوة ، نجد اثرها بيناً لدى ابن العبري حيث يقول « اذا كانت النفس قد شغفت بشهوة الجسد ... تطلق الى جنة عدن ، وهناك بعد ان تنفه شهواتها المادية رويداً رويداً ترتفع الى الملكوت يوم البعث » .

بهذا آتي على نهاية هذا البحث عن العلامة الكبير ابن العبري وآفاق معارفه .

# رؤية اللون بواسطة الأصابع

بقلم : ALBET ROSENFELD
ترجمة احمد عنبر عن مجلة LIFE
— لندن —



أخذت روزا كوليشوفا Rosa Kuleshova وهي امرأة فتية ، صغيرة الحجم ، الا انها تملك موهبة منحتها الشهرة في بلدها - أخذت يد بوب بريكام Bob Bigham ، مـــراسل مجلة لايف ، ووضعتها فوق عينيها بعناية وقوة ، ثم وضعت يديها فوق يـــده ، وضغطت بشدة قائلة : هذا أفضل ، لأن النور يشتت فكري .

كان على الطاولة أمام روزا مجلتان لها أغلفة ملونة ، وكان الغطاء محكما على عينيها ، فمسحت بلطف بأنامل يدهـا على المجلة الأولى ، ثم على

المجلة الثانية ، وقالت بصوت ملؤه الثقة : هذا اللون برتقالي ، وهذا أزرق . لقد أثارت دهشة بوب بريكام لأنها أصابت في معرفة اللونين .. ثم شرحت الأمر فقالت انني أحس الحرارة تنبعث من اللون الأول ، أما اللون الثاني فهو فاتر . ثم بدلت المجلتان ، وفي هذه المرة أيضاً عبرت روزا عن مهارتهـا الفائقة بتسمية الألوان دون أن تعتمد على عينيها ، وكان ذلك بطواف يدها فوق المجلتين في مسافة ست بوصات ( حوالي ١٥ سم ) دون أن تمس يدها المجلتين على الاطلاق .

سحب بريكام بطاقة عمله من جيبه ، وقد ناله اعجاب مشوب بالشك . لقد قرأت روزا — وهي التي لم تر البطاقة من قبل ، وهي التي ما تزال غير قادرة على رؤيتها لحظة الاختبار — قرأت الطباعة الناعمة فيها كلة كلة دون أي خطأ . وفوق ذلك ، فهي لم تقرأ بأناملها وانما قرأت بمرفقها . يقول بريكام لو أرادت روزا عندئذ أن تنظر بطرف عينها لترى البطاقة لما كان ذلك ممكنا لأن البطاقة كانت خلف ساعدها .



وبعد عدد من هذه المشاهدات ، طلبت روزا من بريكام أن يحاول معرفة الألوان بأنامله ، فلما فشل ، هونت الأمر عليه قولها : لا عليك ، فالأمر يحتاج الى مزيد من التمرين والوقت ، فمن يحاول التعلم جدياً يستطع الأداء .

قد تبدو قدرة روزا على الرؤية بواسطة جلدها كما لو كانت نوعاً من الحيل التي تظهر في الكرنفالات ، الا أن بعضاً من كبار العلماء في الاتحاد السوفييتي ، من الذين كانوا هم أنفسهم شاكين بهذه النتيجة ، قد أضحوا الان على قناعة تامة بان الادراك الجلدي البصري Dermo - optical perception ظاهرة حقيقية . لقد أطلق على هذه الظاهرة اسم الحاسة السابعة وهذا يتخطى ما سمي بالحـــاسة

السادسة — حاسة الحدس — لم يشرح أحد الـ ( ا . ج . ب )(١) . شرحـــا مرضيا بعد . وقد أثارت تقارير الأبحاث حول الظاهرة كثيرا من الجدل في الدوائر العلمية في جميع انحاء العالم . وتتدرج الاراء بين علماء الاتحاد السوفييتي من عدم التصديق المشوب بالاحتقار ، الى التبني المتحمس والالتزام التـام . بين الملتزمين الاوفياء عالمان سوفيتيان ، يعتقدان بعد التجريب على أكثر من مثتي مفحوص بأنهما قد كشفا عما أشارت اليه روزا ، وهو امكانية تعلم الـ ا . ج . ب .

ويشاركهما في هذا الاعتقاد من السيكولوجيين الامريكيين الدكتور رازاران Gregory Razran . كان رازاران في جامعة كولومبيا سابقا . وهو الان رئيس قسم علم النفس في كوينز كولج بجامعة نيويورك الذي يضم ( ٣٠) باحثا. ولا زال رازاران في روسيا ، وهو مرجع ثقة بالنسبة للسيكولوجيا الروسية . وقد ظل يتتبع خلال سبع السنوات الاخيرة الابحاث السوفيتية في هذا الميدان لمصلحة الحكومة الامريكية . لم يبدأ رازاران مؤمنا ، وانما شك كغيره من الموجودين عندما سمع بالـ ا . ج . ب أول مرة ، وذلك في الاجتماع الذي عقد في مدينـة لينتغراد في السنة الماضية . وهو يعترف الان بقلة اهتمامه بالموضوع حينئذ حتى انه لم يبادر الى الاستماع من مكان قريب عندما افتتح ابرام نوفومسكي Abram Novomeysky وهو من الرواد في ابحاث الـ ا . ج . ب الموضوع ، وذلك بفضل ما فطـر عليه رازاران من تحيز ضد مثل هذه الابحاث الغريبة المستهجنة . ان هذا الموضوع ، كما يقول ، هو من الموضوعات التي ينساق فيها الانسان الى عدم التصديق بصورة آلية . أما الان ، فليس عنده أي شك بقيمة هذا البحث . ويستطرد رازاران فيقول لا أذكر شيئا أثار حماستي خلال سنوات عمري اكثر من هذا الامل بفتح

(١) ا ج ب هي اختصار للادراك الجلدي ـ البصري والتقابل Dop

أبواب جديدة لادراك الانسان . ثم يقول . نادرا ما كنت أستطيع النوم ليلاً ، ونادرا ما كنت اقوى على الصبر حتى اعود الى تجاربي فأبدأها في اليوم التالي . ويقول ايضا . عندما يشرع الناس بتقدير هذا الحدث العلمي الكبير ، فاننا نشهد انطلاقا يشبه الانفجار في هذا الميدان من البحث ، ويغلب ان تكون النتائج ثورية . تصوروا ما يمكن ان تعني الرؤية دون عينين بالنسبة للمكفوف .

بين العلماء الامريكيين الذين سمعوا بالابحاث السوفيتية في موضوع الـ ا . ج . ب من يعتبر تفاؤل رازاران تفاؤلا ينقصه الاحكام والنضج . ويضيفون اذا كنا لا نريد أن نحط من قدر نوعية العلم السوفييتي بصورة عامة ، فاننا نعتقد بأن اكثر ابحاث الروس في هذا الموضوع ، بما في ذلك الابحاث المطبقة على روزا كولشيوفا، تحتاج الى درجة في التحقق والتأكد تعتبر ضرورية في هذا البلد (امريكا).

بدأ أول اهتمام حقيقي للولايات المتحدة الامريكية في موضوع الـ ا.ج.ب في العام الماضي ، عندما كتب الدكتور ريتشارد ٠ب يوتز Cr · Richarb P . youtz - وهو عالم أمريكي ، وأستاذ في السيكولوجيا في بارناد كولج Barnard College بنيويورك ، كتب تقريراً عن تجاربه الاولى على مفحوصة أمريكية . لقد وصف التقرير القدرة المدهشة لسيدة في الثانية والأربعين من عمرها هي السيدة باتريشيا ستانلي Patricia Stanley من مدينة فلنت بميتشيغان . وصف قدرتها على ادراك اللون بأناملها . لقد اختبرت هذه السيدة لمدة /٦٠/ ساعة تقريبا . والدكتور يوتز واثق كل الثقة من أن شروط اختباره صارمة الى حد يبعد كل امكانية للهزل او الضحك. لقد تناقص فيما بعد ، الاهتمام الكبير بالسيدة ستانلي ، وبموضوع الـ ا.ج.ب بين العلماء والناس تناقصاً كبيرا ، عندما تبين انها قد فقدت قدرتها في الاختبارات الاخيرة .

ويتنبأ رازاران فيقول . ان المعلومات التي كشف عنها في روسيا حديثا ،

سوف تبعث موضوع الـ ا.ج.ب بعثا جديدا . واذا كانت مجلة لايف تستطيع الآن ان تروي لنا ، لأول مرة ، وببعض التفصيل ، القصة الرائعة للأبحاث الروسية في ميدان الـ ا.ج.ب ، فان الفضل في ذلك يعود الى التنقيب العلمي المتحمس الذي قام بـه رازاران .

يبدو أن الرؤية بواسطة العين تختلف اختلافا جذريا عن كل ماقيل سابقا عن طريقة ادراك العضوية الحية العالم من حولها . وعلى هذا ، فانه ينبغي الا يصدمنا وجود ظاهرة الـ ا.ج.ب ، اذ ليس فيه مايخالف المنطق فعلا .

لقد عرف العلماء من قديم بأن للكائنات البشرية أكثر من الحواس الخمس المعروفة تقليديا . ان حاسة كحاسة اللمس على وجه الخصوص تشتمل على اكثر من حاسة واحدة . ان ادوات الحس التي تميز الحار من البارد ، تختلف عن تلك التي تخبرنا عن القاسي والهش . يشير رازاران الى أننا نعلم بأن اعضاء الحس بالنور عند عدد من العضويات الدنيا موزعة على كل أجسادها . فاذا كان الانسان يملك آلية ما ، تحس بالنور ، موجودة داخل جلده وهو لايدري بها ، آلية حسية قد تكون اثرا باقيا يدل على مرحلة سابقة من التطور ، فلاينبغي ان يؤخذ هذا الامر على أنه مفاجأة كبيرة .

وليس الـ ا.ج.ب ظاهرة لم يسمع بها عبر التاريخ حتى عند الكائنات البشرية . فثمة عدد من الوقائع التي ذكرت خلال القرن التاسع عشر تشير الى اشخاص وهبوا هذه القدرة . يتحدث احد التقارير عن شخص استطاع ان يرى بأصابعه ، وجبهته ، وأعلى صدره . وعن شخص آخر كان يعرف أوراق اللعب الموضوعة على معدته .

لقد نشر رازاران مؤخراً عن بحث روسي مؤلف من ٧٩ صفحة ، طبع

في سانت بتسبرغ ١٨٩٨ ، وهو يصف امرأة كانت تقوم حينئذ بما يشبه ما قامت به روزا كوليشوفا وغيرها من المفحوصين الروس الذين اختبروا عام ١٩٦٣ وعام ١٩٦٤ . ولكنها استطاعت ، فوق ذلك ، كما يفترض البحث ، أن تتذوق الطعوم بجبهتها . يقول رازاران : لقد كان هذا كله يبدو لي منذ عام فقط — وكأنه هذر . ولكن ما اكتشفه الروس عن الا ا ج.ب. يميل بي الى الاعتقاد بأنه من الخطأ ان نفوت علينا شيئاً من هذه الادعاءات ، فنعتبرها هذراً قبل أن تأتي الفرصة لاختبارها .

لقد وصفت هذه التقارير السابقة حالات مفردة معزولة من الـ ا ج.ب. وكما كان الحال بالنسبة لظواهر متفرقة أخرى ، لوحظت في السابق وظلت عسيرة على التسجيل كظاهرة الاستشفاف Clairvoyance مثلا ، فقد بدأ أنه ليس من طريقة عملية تعالج بواسطتها ظاهرة الـ ا ج.ب وهكذا ظلت موضوعاً يستثير الفضول في أحسن الظروف ، دون أن تثير كثيراً من الحماسة لها . الا ان ما حصل بعد اكتشاف روزا هو الذي قلب الـ ا ج.ب فجأة الى ما يعتقد رازاران أنه قد يكون كشفاً علمياً كبيراً حقاً .

ففي ربيع عام ١٩٦٢ ، كانت روزا كوليشوفا البالغة من العمر واحداً وعشرين عاما ، تعيش في مدينة صناعية في جبال الاورال هي مدينة نيزهني تاجيل Nizhni Tagil . لقد أصيبت روزا بالصرع في الرابعة عشرة من عمرها بعد اصابة في دماغها وفيما عدا ذلك يبدو انها كانت تتمتع بطفولة عادية ولوجود افراد مكفوفين من أقاربها فقد اهتمت عدة سنوات بمساعدة المكفوفين ، فاصبحت في السادسة عشرة من عمرها متضلعة في طريقة برايل . وحسب ما تروي عن نفسها فقد اكتشفت انها تملك قدرة خاصة ، ولا سيما في الإصبعين الثالث والرابع ليدها اليمنى تمكنها من معرفة الاشكال او الحروف عندما كانت تجرب طرقا جديدة

لاستخدام حاسة اللمس عندها . ولم تكن هذه القدرة مقصورة على معرفة الاشكال والحروف البارزة كتلك المطبوعة على صفحة من صفحات برايل ، وانما تعدت ذلك الى معرفة الاشكال والحروف المسطحة تماما والمطبوعة على صفحة عادية . انها تتذكر أول خاطر دار في بالها فتقول . أليس رائعاً حقاً أن اضع مذكراتي في جيبي وأقرأها بأصابعي في الامتحانات . وعندما تابعت التمرين وجدت أنها تستطيع ان تميز الالوان وعيناها مغلقتان .

لم يكن هناك مفر من أن تنتشر الاقوال عن قدرة روزا ، وتبدأ حياتها مع الاختبارات . لقد تم اول اختبار لهـا ضمن شروط مخبرية مضبوطة من قبل أخصائي في الامراض العصبية هو الدكتور اسحق.م. كولدبيرغ Isaac m .Gold Berg فأعجب بها الى حد دفع به الى أخذها الى مخبر علم النفس للاستاذ نوفوميسكي Novomeysky في معهد التربية في نيزهني تاجيل . فاعجب بها نوفوميسكي بنفس الدرجة . وفي شهر أيلول أخذ كولدبيرغ روزا ليعرض موهبتها في اجتماع قطري لجمعية اتحاد السيكولوجيين العامة . لم يصدق العلماء المبهورون الذين شاهدوا أداءها عيونهم ، وظن غالبيتهم ان في الامر نوعا من الهزل العملي . لكن بعد قليل ، أصبح من الواضح لديهم ان كولدبيرغ وهو عالم محترم ، كان جادا غير هازل ، في عرض رؤية أنامل روزا باعتبارها امرا موثوقا به .

وبعد الاجتماع ارسل كولدبيرغ روزا الى جامعة سفيرد لوفسك Sverd Lovsk لكي تخضع الى اختبارات اكثر شمولا . لقد كان العلماء في هذه الجامعة عاجزين عن شرح هذه الموهبة عجزهم عن إنكارها فأرسلت بعد ذلك الى موسكو ليقوم باختبارها عمالقة الاختصاصيين في البصر بالاتحاد السوفييتي . فكانت روزا تحصل في كل مرة تختبر فيها ، على نتائج افضل من المرة السابقة . وقد

اكتشفت في اثناء الاختبار أنها تستطيع دائماً ان تؤدي اشياء اخرى جديدة . لقد دعا رازاران هذه المهارات بأنها مهارات ( تاريخية حقا ) .

بين هذه المهارات كما يروي الروس المهارات التالية :

لقد استطاعت روزا وهي معصوبة العينين عصبا قويا ، ان تقرأ عناوين من الصحف والمجلات ، وان تقرأ الكلمات الكبيرة المطبوعة في كتب الاطفال بسرعة تعادل سرعتها في القراءة عندما تكون مفتوحة العينين ، واستطاعت كذلك ان تقرأ ببطء أشد ، انما بشكل صحيح ماطبع في الصحف العادية . استطاعت ان تصف الرسوم التوضيحية الموجودة في المنشورات العامة من أمثال اوكونيوك Ogonyok وكركوديل Krokodil ، والموجودة على علب السجائر وطوابع البريد . ولم تعان أية صعوبة في عزل عينات من الاوراق والاقلام وأصبغة الأنلين ، وخيوط القطن والاقمشة الملونة بالاسود ، والابيض ، والاحمر ، والبرتقالي ، والاصفر ، والازرق ، والاخضر .



يقول رازاران انه قد تم كل هذا في غرفة حسنة الاضاءة . اما عندما كانت الغرفة مظلمة ، اوعندما كانت توضع مواد الاختبار داخل كيس أسود ، فان ذلك كان يجعل أداء روزا اضعف من السابق ضعفا له دلالته . الا أنه لم يكن بأية حال ، بحيث يسمح بانكار الظاهرة . فقد استطاعت روزا ان تميز في الغرفة المظلمة حروفا كبيرة منفردة ، وان تقرأ بعض الكلمات . واستطاعت في بعض الايام أن تخبر عن الوان الاشياء التالية المصنوعة من القطن . ربطيات الرقبة ، الجرابات ، القمصان . كما أخبرت عن الوان الاوراق الملونة ، والاقلام الملونة ومسحوق صباغ الانيلين . وعندما وضع المجرب اوراق اللعب داخل كيس اسود ، استطاعت روزا بالاعتماد على اللمس فقط ، ان تلتقط أية ورقة طلب منها التقاطها .

وقد أخذت تكتشف روزا بالتمرن وجوهاً جديدة لقدرتها في الـ ا.ج.ب. وصارت بعد فـــترة وجيزة تخبر عن الوان الورق والنسيج من خـــلال الزجاج والباغة . وتعرف الوان السوائل في أنبوب من الزجـاج ، كما صارت تلتقط قراءات من على شاشة جهاز الذبذبة Oscilo Scope . ثم صـارت بعد فترة أخرى تسمي ألوان الضوء المسلط على شاشة تبعد عنهـــا أكثر من (٣٠) أقدام (حوالي متر) . لقد وضع العلماء في احدى المناسبات كتاباً أخضر أمامها، وغمروه بلون أحمر ، فلمسته وهي معصوبة العينين وقالت : انه أزرق ، وقـد كان لونه أزرق فعلاً في تلك اللحظة ، لكن عندما اطفىء النور الأحمر ، عبرت روزا عن دهشتها الكبيرة وصاحت . لقد غير الكتاب لونه فجأة . وقبل مضي وقت طويل علمت رجليها بعض الـ ا . ج . ب . وفي الوقت الذي كان فيه مراسل مجلة لايف في موسكو ، وجد أنها قد علمت مرفقها أن يقرأ كذلك .

وعلى الرغم من الاداء الرائع الذي كانت روزا تقـوم به ، فقد وجدت صعوبة في بعض الاشياء ، وان كان أداؤها اسهل مما اعتادت بكثير . انها لم تستطع مثلا ان تخبر عن الألوان الفاتحة والاشكال الواضحة على الصناديق المصنوعة من الخشب والمعدن . ولم تعرف الزجاج الملون او البلاستيك الملون . ولم تميز جيداً بين البني والرمادي . على ان ما استطاعت أداءه كان رائعاً الى درجة جعلت العلمـــاء الروس يقررون إن يعرضوها على شاشة التلفزيون ، فظهرت في برنامج الاخبـار يدعى (الوصلة Relay ) وهو برنامج موجه الى حوالي ٤٠ — ٤٥ مليون متفرج وعلى الرغم من أن ظهورها على الشـــاشة دام (١٠) دقائق فقط ، فقد أصبح ما أدته أحدوثة وطنية ، كما أوجد لها منافسة جديدة ، تخطت المهارات التي نسبت الى روزا نفسها .

لقد كانت اولغا بليزنوفا Olga Bliznova ، وهي زوجة أحد الأطباء ، تراقب برنامج تلفزيون موسكو من خاركوف بأوكرانيا . فقررت بعد العرض ان تختبر ابنتها البالغة من العمر تسع سنوات لاشيء سوى التسلية فعصبت هذه السيدة عيني ابنتها لينا وأجلستها أمام مجموعة شطرنج بعد أن خربطت قطعها ، وطلبت اليها أن تتحسسها لترى ما إذا كانت تستطيع ان تميز البيض من السود . وتمضي الام فتقول : لقد عزلت لينا بسرعة وسهولة القطع السود عن القطع البيض دون أن تخطىء بواحدة منها . وبعد اختبارات أخرى استعملت فيها أدوات منزلية ، أرسلت السيدة بليزنوفا ابنتهـــا الى بعض علماء خاركوف على عجل ، وسرعان ماسلطت عليها الأضواء .

لم تخضع لينا لما خضعت له روزا من تمحيص علمي ، ولم تطبع حتى الآن أبحاث فنية تعالج ما أدته ، وقد ذكرت قصة ماحدث لها بعد أن قابلت العلماء في صحيفة نيديليا Nedelya التي تصدر يوم الاحد ملحقاً لصحيفة ازفستيا Izvestia تروي الصحيفة القصة فتقول : لقد شده أفراد الجمنة العلمية وقالوا . ياللعجب . ان لينوجكا بليزنوفا التي تبلغ تسع سنين من عمرها قد قرأت بيديها . لقد نشروا أمامها قوائم حروف مطبوعة مختلفة الإلوان ، فاستطاعت هذه البنت الصغيرة أن تسمي دون خطأ كل لون وكل حرف ، وأنامل أصابعها لاتكاد تلمس القوائم ، وعيناها معصوبتان عصباً أميناً .

لقد فتش الفاحصون ، من مؤيد وشاك ، فتشوا عصـــابة لينوجكا ، ودرسوا وجهها لعلهم يعثرون على مايشير الى التشاوف ، وأخيراً ، وضعوا عينات الاوراق الملونة خلف ظهر البنت الصغيرة لقطع كل الشكوك فمدت لينوجكا يدها خلف ظهرها وقالت واثقـة من نفسها ثقتها في المرة الاولى هذا أزرق ... وهذه

خطوط خضر وبيض . نظر أطباء الامراض العصبية ، والمعالجون النفسانيون ، وعلماء النفس الطبي وكلهـــم من الاخصائيين المرموقين ، الى بعضهم بعضا وقد أخذتهم الدهشة وقالوا : هل حقاً أن هذه الخاركوفية الصغيرة ، ابنـة الطبيب ايفان بليزنوفا ، ترى بواسطة جلدها ؟!.

عقد العلماء الاختبار ، فسألوها ان تسمي الالوان في كدسة من الاوراق الملونة ، ففعلت ذلك ، مسمية كل طبقة بشكل صحيح ، ومرتب ، دون أن تحرك الكدسة ، وانما بمجرد لمس القطعة العليا . لقد رأت كذلك شكلا توضيحياً مخبأ تحت عدة كتب سميكة .

فاذا كان هذا الكلام صحيحاً ، فان الـ ا . ج . ب . يقوم بما لا تقوم به الرؤية البصرية العادية . وفوق ذلك ، فقد استطاعت لينا أن تميز ، واصابعها تطوف على بعد بوصة او بوصتين ، الاشكال والالوان والحروف الكبيرة دون ان تلمس الورقة على الاطلاق ، وهذا أمر لم تستطع روزا أن تؤديه أول الامر . زد على ذلك قدرة لينا على الرؤية الواضحة ومنذ البداية ، لا بأناملها فقط وانما برؤوس اصابع قدميها ، وكتفيها ، ومرفقيها .

وهنا يوجد مايصعب ابتلاعه حتى مؤمن بالقصة من أمثـال رازاران ولاسيما ذلك الجزء المتعلق بالرؤية من خلال كدسة من الكتب ، ولهذا نجده يحذر من قبول اي وصف لقدرة لينا حتى يطبع بحث في موثوق به والامر نفسه يتكرر في تقارير عن بنت مكفوفة في سقير دلوفسك تدعى ناديا لوبانوفا تملك ايضاً هذه المواهب الهائلة في اا . ج . ب .

اذا رجعنا الى عام ١٩٥٠ ، قبل ان تظهر روزا على المسرح بكثير ، وقبل ان يفكر احد بدراسة الادراك الجلدي البصري تفكيراً جديا ، لوجدنا سيكولوجياً

روسياً اسمه الكسي ليونتييف قد قام بسلسلة رائعة من التجارب لقد علم بافلوف الكلاب ان يسيل لعابها عند قرع جرس تعلما شرطيا أما ليونتييف فقد اراد ان يرى ما اذا كان من الممكن ان يتعلم البشر الاستجابة الى مؤثر تحت عتبة الاحساس تعلما شرطيا. كان يضيء بادىء الامر ضوء أخضر مثلا ، على راحة يد المفحوص ــ دون ان يرى المفحوص الضوء ــ ثم يتبعه مباشرة بصدمة كهربائية . هذا هو التكنيك المعروف بتكنيك ( الصدمة والتفادي ) الذي يستعمل في التجارب الشرطية . في هذه الحالة ، على المفحوص ان يرفع اصبع يده عن المفتاح الكهربائي في اللحظة التي يضاء فيها النور الاخضر على راحة يده حتى يتفادى الصدمة لقد تعلم المفحوصون هذا النمط من التفادي عندما طبق عليهم . وان ابحاث ليونتييف قد برهنت على ان راحة اليد تستطيع ان تحس بالانوار الملونة الى حد ما دون الاعتماد على حس مدرك ، ومضى ليقرر ان احد مفحوصيه استطاع ان يميز بين ضوء أخضر وضوء احمر . يقول رازاران . يبدو انه لم يتابع احد تجارب ليونتييف المدهشة ، الا انهم سيتابعونها على التأكيد متابعة جدية .

يرأس ليونتييف الان جماعة من العلماء الروس الاكفاء ، الذين كلفوا باختبار ا ا . ح . ب . وحل الجدل القائم حوله . هؤلاء العلماء يعتبرون في القمة من حيث الجدارة في الميادين التالية . السيكولوجيا ، البيولوجيا ، الكيمياء ، الفيزياء ، الطب الداخلي . ومؤهلات ليونتييف عالية . فهو رئيس قسم علم النفس في جامعة موسكو ، وعضو في الاكاديمية السوفيتية في العلوم التربوية ، وهو رئيس جمعية الاتحاد العام للسيكولوجيين . وحائز على جائزة لينين المجيدة . لقد صرح الى مجلة لايف بمايلي : لا استطيع ان اخبركم بشيء عن النتائج بعد ، لاننا عازمون على الا نستعجل الامور . ان تجارب مدهشة كهذه التجارب تتطلب

عناية فائقة ، ودراسة باحدث انواع التكنيك ، كما تتطلب ادق اشكال الضبط . فلنترك الآن كل النتائج السريعة . ولما سئل أن يعطي تقييمه الشخصي للظاهرة قال انها ظاهرة حقيقة ، قد نجدها في المستقبل ، بعد تدريب خاص عند عدد من الناس .

وتأتي ابحاث نوفوميسكي الذي خضعت روزا في مخبره لبعض الاختبارات في رأس قائمة المشاريع التي سوف تمحصها جمعية ليونتيف . لقد بدأ نوفوميسكي بشكل منفرد ، سلسلة من الاختبارات بعد ان اقتنع بان قدرة روزا هي قدرة حقيقية ، وغايته ان يجد ما اذا كان الـ ا . ج . ب قابلا لأن يعلم . كان يعصب عيني المفحوص ، ويضع امامه مربعين من الورق الملون ويطلب اليه ان يمسح بالاصابع الثلاثة الوسطى في يده اليمنى على كل لون ، وان يركز تفكيره على الاحساسات المنبعثة من مسح كل لون ، وان يصف هذه الاحساسات . لقد مسحت المربعات الملونة على التوالي لمدة دقيقة بالنسبة لكل لون واستمرت الجلسة ٣٠ دقيقة ، ثم اختبر المفحوص بعد ذلك لرؤية ما اذا كان يستطيع التمييز بينها . فاذا اتقن زوجا من الالوان انتقـــل الى لون آخر . واذا ابدى المفحوص تقدما واضحا ، قاده نوفوميسكي ببطء وصبر من مرحلة الى مرحلة . يقول رازاران ان واحدا من كل ستة تقريبا من مفحوصي نوفوميسكي قد تعلم ان يسمي بشكل صحيح تماما خمسة على الاقل من ألوان الطيف السبعة . هذا بالاضافة الى اللونين الابيض والاسود .

لقد اكتسب مفحوصو نوفوميسكي بالاضافة الى قدراتهم عدداً من القدرات المشابهة العدد من مهارات روزا ، وبعض مهارات لينا مثل الاخبار عن الألوان والاشكال عندما تفصل بينها وبين ايديهم مسافة ، تسمية ألوان الاوراق في كدسة

مختلطة بطريق لمس اعلى صفحة فقط . لقد ذكر نوفوميسكي ايضـــا ان مدربيه تعلموا ان يميزوا الالوان من خلال صفائح رقيقة من النحاس والشبه .

ان هـذه الادعاءات الأخيرة التي صرح بها نوفوميسكي والمتعلقة بالقدرة على الرؤية من خلال ستار غير شفاف ، هي التي احدثت انشقاقا علميا في امريكا وروسيا على السواء . لقد حدث الانشقاق حتى بين الذين يقبلون نظريا بكثير من الـ أ . ج . ب . فرسم بعضهم خطا عند هـــذه النقطة وطلب ان يفحص تكتيك نوفوميسكي فحصا دقيقا . يقول ليونتيف نفسه بصراحة : من المستحيل ان نتحدث عن القدرة على الرؤية بواسطة الجلد حتى عندما تكون هذه الرؤية من خلال مواد غير شفافة على انها حقيقة علمية مبرهنة .

لقد صرحت السيدة الامريكية ستانلي في محاولة لها لوصف احساساتها ضمن ظروف اختبار القدرة على الـ أ . ج . ب . بان الالوان الفاتحة ناعمة الملمس ورقيقة اما الالوان القاتمة فهي خشنة وثقيلة . لقد اشارت روزا الى النعومة كذلك الا انها استخدمت ايضا كلمات من امثال متموج منقط يشبه الصليب . وقد ابدى مفحوصو نوفوميسكي ثبـــاتا في اوصافهم الى حد مناسب فقالوا اننا نحس باللون الاصفر وكأنه املس ، ناعم وخفيف الوزن وبينما لا نحس اللانسة في الـــلون الازرق كما نحسها في الاصفر ، الا ان الازرق اكثر نعومـة من الاصفر بحيث يتيح للاصابع حرية اكبر في الحركة فوقه . اللون الاحمر لزج لصق كأنه يعلق بالاصبـع . واللون الاخضر أكثر لزوجة من الاحمر ولكنه ليس في خشونته . اللون الازرق النيلي لزج جداً لكنه اقسى من كل من الاخضر والاحمر . اللون البرتقـالي قاس وخشن ويعوق الحركة . اللون البنفسجي أكثر خشونة وأكثر اعاقة للحركة من البرتقالي اللون الاسود شديد التعويق واللصوقة ، انـــه دبق تقريباً اما اللون الابيض فهو ناعم تماماً ، ولو أنه أكثر خشونة من الاصفر .

كانت هذه هي الاحساسات التي أحس بها المفحوصون عندما لمست ايديهم مادة اللون اما احساساتهم عندما كانت ايديهم بعيدة عن اللون فقد وردت في عبارات الحرارة والبرودة، اوفي عبارات الالم والضغط. فالاحمر حار، يحرق اليد فكأنها موضوعة فوق شعلة، والبرتقالي دافيء ولكنه لايحرق. والاصفر يتأرجح بشكل غريب بين الدافيء والبارد. والاخضر ليس حارا ولا باردا ولكنه يشعرك كأن ثمة شيئاً يضغط. الازرق بارد، والازرق النيلي بارد مثلج، البنفسجي بارد جدا وله لسعة، ان لسعته تختلف عن نغمة الاحمر التي كانت اكثر وخزا.

ليس ثمة ماهو اكثر ذاتية من هذه الاوصاف. الا ان الاحساسات ذاتية كانت أم لا، تمكن الناس من معرفة الالوان. لذلك فقد اقتنع رازاران بضرورة وجود كيان موضوعي فيزيائي يسبب الاحساسات، فماذا يمكن ان يكون هذا الكيان الفيزيائي؟ اهو نوع من الاشعاعات ينتشر عن المادة فيعرض المؤثر اللازم في الجلد؟ ام ان الجلد نفسه يرسل كالرادار نوعا من الاشارات لتقوم بكشف المواد في الخارج؟



لم يصل احد الى تعليل ينال قليلا من رضى العلماء حتى الآن. ومن الطبيعي ان توجد افتراضات خارجية تحاول ان تفسر هذا الشكل الخارجي من الادراك الا ان اغلب هذه الافتراضات انتهت الى نتائج سلبية.

من المستبعد ان يكون الـ ا. ج. ب. من نظام خارج عن نطاق الحس Extrasensory بحيث يتضمن رسائل تخاطرية تنتقل من المجرب الى المفحوص. لقد قام الروس، وكذلك الدكتور يوز في الولايات المتحدة الامريكية باختبارات عمى مزدوج أي اختبارات لايعرف فيها المجربون مايراه المفحوص، الا ان قدرة

المفحوص على معرفة هوية الالوان والاشكال معرفة صحيحة قد استبعدت فكرة الاتصال التخاطري . ان نوع الادراك الذي يشتمل عليه الـ ا.ج.ب. هو ادراك حسي بالضرورة الا ان هذا الاحساس قد يكون احساسا جديدا علينا ولذلك فهو غير معروف عندنا .

ومن المستبعد كذلك ان يكون الامر مجرد تمييز بين انسجة المادة الملموسة التي تختلف عن بعضها البعض اختلافا بسيطا . لانه لوكان التمييز بين الانسجة لما كان ممكنا من خلال الزجاج والمواد الشفافة الاخرى ، ولما كان ممكنا ايضا عندما تكون اليد بعيدة عن المادة .

ومن المستبعد ايضا ان يكون هذا الادراك الجلدي البصري مجرد احساس أمواج ضوئية عادية ، تستقبلها اعضاء حس ضوئيـــة خاصة موجودة على الجلد اوتحته . لقد كانت هذه النظرية الروسية مفضلة الا انها لم تعد كذلك الان لاسيما بعد التأكيد الذي اورده نوفوميسكي بأن الـ ا.ج.ب. يتم حتى من خلال رقائق الالومنيوم Foils وصفائح النحاس الرقيقة وهي حواجز تحجب كل موجات الضوء الموجودة في القسم المنظور من الطيف . لقد استطاعت السيدة ستانلي ان تميز الالوان حتى عندما وضعت يدها داخل صندوق لا ينفذ اليه النور .

قد تكون هذه الظاهرة ظاهرة حرارية اوظاهرة ذات علاقة بالاشعة تحت الحمراء مع تضارب آراء الامريكيين والروس حول ذلك . فمن ناحية ظلت روزا تستطيع ان تكشف وتعرف الوان الضوء الذي يمر في سلسلة من المنقيات التي تزيل الاشعة تحت الحمراء . ومن ناحية اخرى يعتقد بيرنز بأن قدرة السيدة ستانلي قد تكون ظاهرة اشعة تحت الحمراء . ولعل هذا التناقض الظاهر يعني ان الناس المختلفين يستجيبون الى مؤثرات مختلفة .

ما الذي يبقى شرحاً ممكناً بعد ذلك ؟

يعتقد نوفوميسكي ان الظاهرة قد تكون ذات علاقة بالكهرباء بما يسميه « بالساحة اللونية الكهربائية » والمفتاح الذي يقدمه لهذا الاعتقاد هو ما يحدث لمفحوص خبير حسن التدريب وهو يمارس عملية الادراك الجلدي — البصري من خلال صفيحة معدنية رقيقة . فاذا كانت الصفيحة او يد المفحوص غير مشحونة بالكهرباء ازدادت صعوبة الاخبار عن اللون او الشكل بالاصابع على المفحوص . أو ربما غدت عملية مستحيلة . اما اذا شحن المدن بالكهرباء ( ٨٠ فولطاً من الكهرباء الموجبة ) فان اداء المفحوص يتحسن تحسناً رائعاً . ويساعد على الاداء ان يعزل المفحوص بوضع قرص من المطاط تحت قدميه ، وتدلك يده على قطعة من الحرير او الصوف بحيث تتولد كهرباء ساكنة نتيجة لهذا الدلك .

لكن اذا كانت ظاهرة الـ ا . ج . ب . تعتمد على ساحة كهربائية فعلا ، فهذه الساحة ليست شبيهة بالساحات الكهربائية المعروفة والمألوفة عند الفيزيائيين، لسبب واحد هو ان الساحة الكهربائية العادية لا تعمل من خلال لوحة معدنية رقيقة كما يدعي نوفوميسكي . ان صفيحة المدن تنشر الساحة ، وبهذا تمحو اي شكل قد يتوضع عليها دليلا على ما تحت اللوحة من اشكال . وثمة عقدة اخرى فجرية مع كل النظريات السائدة والمقبولة عن سلوك الساحات الكهربائية ؛ ينبغي ان تختفي الـ ا . ج . ب . فورا عندما تزول شحنة الصفيحة . ومع ذلك فان نوفوميسكي يقرر بان الـ ا . ج . ب . لا تزول الا تدريجيا في حالة تمليدة .

ان بعض ما يصفه نوفوميسكي في تجاربه يتفق من بعض الوجوه مع سلوك الساحات المغناطيسية التي لا تنتشر بلوحات أشباه المعادن التي يستعملها نوفوميسكي . وهذه الحقيقة التي تربط الظاهرة بالمجال المغناطيسي تتفق مع حقيقة

أخرى هي سهولة الاخبـــار عن اللون والشكل عندما تكون الاصابع في حالة الحركة مهما يكن شكل هذه الحركة بسيطا كاهتزاز الاصبع نحو الامام والخلف .

ليس من السخف ابدا ان نتصور لبعض المخلوقات البشرية حساسية غير معروفة لبعض أشكال الكهرباء . فهناك مثلا عائلتـــان من السمك هما عائلة المورماريدس Mormyrids في افريقيا ، والجيمنوديتس Gimnodts في امريـــكا الجنوبية، تولد حول نفسها ساحات كهربائية ، وترى عن طريق كشف الاضطرابات التي تحدث في هذه الساحات مايوجد فيها من صخور واسماك اخرى .

الا ان مفهوم الساحة مازال يترك الكثير دون شرح . اذ كيف يستطيع الاصبع ان يركز البصر — ان صح التعبير — على صورة بينك وبينها مسافة ؟ وكيف يستطع اي انسان معرفة الالوان في كدسة من الورق بمجرد لمس الورقة العليا فقط ؟ افلا تختلط الاحساسات اللونية بعضها مع بعض ؟ وكيف استطاعت لينا بليزنوفا ان ترى صورة من خلال كتب مطبقة فوقها ؟ ولماذا لم تر اختلاطا بدلا من ذلك ؟

ويأخذ رازاران وجهة نظر غامضة من الافتراضات ويقول ما ينبغي علينا ان نفعله الآن هو أن نقوم بأبحاث كثيرة جداً من تصميمنا والنظريات تأتي فيما بعد اذ لامعنى لصوغ نظرية متقنة قد يكون مصيرها الرفض في الاختبار التالي . وعلى هذا فقد صمم بعض التجارب وكلف بها عددا من ألمع تلاميذه لانجازها . وكذلك فعل الدكتور بيرز بعد ان اعجبته تجاربه الاولى على السيدة ستانلي ، كما اعجبه ما انجزه الروس وبدأ يختبر تلاميذه في بارنارد كوليج . والنتيجة الاولية التي وصل اليها هي ان ١٠٪ على الاقل من تلاميذه قد ظهرت عندهم علامات اولية تشير الى وجود موهبة الـ ا . ج . ب . . الا ان أحسن هؤلاء التلاميذ لم يستطع ان

يبلغ قدرة اى من روزا اوستانلي التي ظلت تحتفظ بحساسية الـ ا .ج.ب. ذات دلالة رغم ما أصاب قدرتها من نقص .

ويستخدم الان مانفرد كلاينز Manfred Clynes وهو باحث في مستشفى ولاية روكلاند في اورانبرغ بنيويورك ، يستخدم آلات حاسبة لتحليل النشاط الكهربائي في مركز البصر في لحاء المخ الذي ينشأ نتيجة لرؤية عادية . ويريد من ذلك ان يرى ما اذا كان نشاط مماثل ناشىء عن الاحساسات البصرية، ينتقل من رؤوس الاصابع . ويبحث رازاران الآن عن موهوبين بالـ ا .ج.ب. ليختبرهم متعاونا مع الدكتور سيدني واينشتاين Sidney Weinstein وهو سيكولوجي عصبي يعمل في كلية اينشتاين للطب بنيويورك .

لعل ما يدهش اكثر من ظاهرة الـ ا . ج . ب . شغف عدد من العلماء بالتجريب عليها . ويقول رازاران بهذا الصدد ان هذا ايضا لا يصدق ، انني اتنبأ باننا لن نصدق بالظاهرة قبل ان نصل الى النتائج التي وصل اليها الروس ولكن تحت شروطنا المخبرية المحكمة . ان ما نحتاج اليه هو أن نعرف ماهية الـ ا . ج . ب فمن يستطيع ان يفعل ذلك ؟ والى اي حد من الاتقان ؟ وتحت اية ظروف خاصة ؟ اذ ليس لصوغ النظريات من معنى قبل معرفة الحقائق .



# الكتاب والموضوعات

من شعر الأيام الشديدة

# بسوى عيد وحدتي لا أغني

* للشاعر: مفدي زكريا

أنا حطمت مزهري لا تسلني وسلوت ابتسامتي ... لا تلمني
غاض نبع النشيد .. وانقطع الوحـــي وضاع الغنا .. واغفى المغني
ونَبت بي من الفنون ظنوني يوم ان خاب في بني العم ظني
أنا من ردد الخـــلود نشيدي وشدا الكون للبقاء بلحني

---

* قام جمع من اصدقاء الاستاذ مفدى زكريا بغزوة ودية في مكتبه واكتشفوا قصيدا رائعا لم ينشر كان نظمه صديقنا من شهر جويلية « تموز » ١٩٦٢ ايام ولادة المكتب السياسي وايام الصراع المسلح بين بعض العناصر التابعة للولايات في الجزائر الشقيقة فرأينا ان ننشره في ( المعرفة ) باعتباره من مكاسب هذه الغزوة المباركة ولكونه ينطبق على كل الظروف ويبرهن عن مدى الثورة العارمة التي مافتىء يخوضها شاعرنا بكل اعتداد واعتزاز وهي تذكرنا بقصيد المرحوم حافظ ابراهيم شاعر النيل التي يقول فيها :

حطمت اليراع فلا تعتبي وعفت البيان فلا تعجبي

ان شاعرنا يلقب بـ « ابن تومرت » ولد في شهـــر افريل ( نيسان ) ١٩١٣ وهو صاحب نشيد الثورة الجزائرية « قسما بالنازلات » وديوانـــه « اللهب المقدس » يعد سجل الثورة فيه حكاية شعب ثار على وجود أجرد في سبيل وجود أخصب ·

عبد الرؤوف الخنيسي ـ تونس

أنا من ألهب الشعور بشعر أزلي كالعارض الموجحن
أنا من علم القنابل والرشاش في الساح أن توقع وزني
أنا من الهم المجاهد روحا فانبرى للوغى يبيد ويفني
أنا من خلد الجزائر في الدنيا ومن لقن ابنها كيف يبني
أنا من أسكر الوجود بانغامي ومن هز عطفه بالتغني
أنا من هدهد الشراع على نهر دماها بصادحاتي وفني
أنا ان كنت شاعر الثورة الكبرى فاني ( لخلفها ) لا اغني
واذا بالمصير هنأ قوم فبشق الصفوف لست أهني
كنت ( للوحدة ) النداء المدوي كيف للخلف أرهف اليوم أذني
مذ تراءى الشقاق حطمت كاساتي على مبسمي واحرقت دني
مذ رأيت السفين يجرفها اليم لسوء المصير اغرقت سفني
مذ رأيت الغصون ينعى بها البوم تجافيتها وودعت غصني
وتقززت من زهور رباها قرفا بعد ان اصبت بنتن
ورأيت الرؤوس طافت بها حمى الكراسي ونالها من جن
فتخيرت في الرقى ( سورة الاخلاص ) مذ بات غيرها ليس يغني
ابهذا المصير يا شعب ترضى ؟ أيها الشعب.. أنت .. اياك اعني؟
أنت من هد للطواغيت ركنا افيرضى بنوك تقويض ركن
ادماء بالأمس غلن عارا تسفك اليوم طوع خزي ولعن
وطني أنت جنة افترضى ان يسود النفاق جنات عدن ؟
فاعصف اليوم بالالى في المبادي قلبوا كالزمان ظهر المجن
وارع عهد الشهيد ، ان دماه جرفت في طريقها كل ضغن
ودع الدوح للبلابل تشدو وابعث الشعر بالخلاص يهني
فرحتي (وحدتي) وشعري طيري بسوى عيد ( وحدتي ).. لا اغني



# منضد الحروف

* شعر زكي قنصل

بوانس آيرس

حيِّ المنضّد في رثيث ثيابه
والجمْ غرورك ان وقفت ببابه

لاتخشينّ على يديكَ خضابه
كم شعَّ نورٌ من سواد خضابه

هذي اليد السوداء انصع من يدٍ
بيضاءَ دنّسها الحرام بعابه

عارٌ عليكَ اذا قرأتَ صحيفةً
ألاّ تمجّده على اتعـــابه

بالروح نظرته يموج بهـا الاسى
وتشـــير حيرتها الى اوصابـه

خنق الاباء دموعهُ فتفجرت

في صدره ناراً ، وفي اعصابه

الليل يعلم وحده كم زفرة

خرساء اطلقهـــا على محرابه

ياسافحاً بين المطابع قلبـــه

ومجازفاً خلف الرؤى بشبابـه

أجنيتَ من دنياك الا علقماً

ومن الرجاء الحلو غير سرابه ؟

ماذا فناؤكَ في محيطٍ جاهلٍ

تتزاحم الاطماع في ابوابـــه

ضاعت مقاييس الفضيلة عنده

وجوت نسور الفكر خلف ذبابه

الشهوة الصفراء غاية شيبـــه

والشهوة الحمراء حلم شبابه

لاترجُ خيراً من زمانك انه

ذئب يجيش الشر في انيـــابه

امن القويّ المستبدّ حيـــاله

وتعرّض الحمل الوديع لنابـه

فكأنه يطوي العصور القهقرى

ليعيد في الدنيا شريعة غابه

* * *

ياحامل الاغلاط عن شعرائه

ومكفكف الزلات عن كتابه

لو كان عند الناس انصافٌ لما
ضاقت طريق الرزق عن طلابه
لكنّهم ضَنّوا فعشت بفاقةٍ
وتـكالبوا فعزفت عن اسبابه
وتجاهلوا قدر المنضّد وهو لا
ينفكُّ يغمرهم بفيض سحابـه
يغفو وجلجلة الحديد بسمعه
ويفيق والاوراق ملء جرابه
لولاه لاندثرت حضاراتٌ ولم
يفتح لنا التاريخ صدر كتابه
ولـكان ماضي الناس لغزاً مبهماً
تتقاصر الافهام دون حجابه
ولمات ذكر العبقريّ بموته
ومشى الفناء على العظيم النابه

* * *

يانابش الارماس ينفخ بينها
روح الحياة على هوان ثيابه
لكان فيك من المسيح بقية
وكأنما تمشي على اعقابــه
وكأن من صلبوه لما يبرحوا
يتآمرون عليه في انسابــه

وكأن يوضاس الخيانة لم يزل
يحبو اليه بغدره وبنابــه

* * *

ياملتقى الاقلام دونك شاعرا
لم ينس فضلك رغم طول غيابه
ركب الخيال الى حماك بحثه
شوق المحب سعى الى احبابه
فاجعل له في باب كوخك اريكة
يسحب على «الايوان» ذيل اهابه

# بين ضرير وضريرة

للشاعر محمد الحريري



سمت راية المشتهى عندمـــا
أحب الضريرة يومـاً ضرير
فذاقـــا مذاقة أهل الهوى
فحينا عذاب ، وحينا سرور
بعيدان عن تمتمات الرقيب
ومـا يفتريه العذول الغيور
اذا زفـــرا لوعة انمـــا
لربهما ُظن هذا الزفـــير
او استرقـــا لمسة حلوة
فللجس ُظنت،وكشف الأمور
امضّها الشوق فاستعجـــلا
من الدهر ، يوم لقاء خطير

وحيدان في غرفة قد نـأت
عن الناظـــرين بلحظ مغير
يكوران قبل الدعاب، الحديث . . .
ورشف الحديث كرشف الخمور
أشادا بليلى ومـــا الهمت
وقيس وما بثه من شعور
و « جوليت » في شرفة نورت
و « رميو » بشرفتها يستجير
ولمـــا استفاضا هوىً رددا
لفيروز ، بعض غنـــاء شهير
وكاد غنـاؤهـــا ينثني
عناقا ، على شهقـــات الأثير
وهـــا قد تلازم شدواهما
ورق النسيم فكان السرير
وهـــاج الضرير فبث يديه
فصادف في وجههـا ما يثير
بروز ومنه التفاف على انسيـ
ـــاب ، ودائرة لا تدور
تعاريـج قـد سميت صدفة
أسامي شتى فهل من ينير

فأين الخدود ، وأين العيو
ن ، وأين الحواجب ، أين الثغور

وحن الضرير الى قبلة
فجمّع منهـا الفم المستدير

ولملم منه الفم المستفيض
يسلط منه التهاف النسور

ومال على ثغرهـا فانثنت
تتمتم : ذي أذني يـا ضرير

فاطرق خجلان مستخذيا
وحث عصاه يريد المسير

وقال : لثمت فقالت عصـ
ـاه : كلثمي خد التراب النثير

هي العين ، لا سلمت بعدهـا
جوارح ، فالعين في الحب نور



# أدب بيير لويس

للدكتور زكي المحاسني

يالها كلمة عجيبة هذه التي استهوت شعوري، وشغلت فكري، وأنا أطارح نفسي حواراً داخلياً كنتُ أقول فيه :

— ماذا قال « بول فاليري » لصديقه « موريس مارتان دوغار » حينما كانا يستعيدان ذكرياتهما ، وما كان أحبَّ الى فاليري مثلَ إستعادة الذكريات .

لقد أخذ فاليري يسأل نفسه :

— «ما كانت تكون حالي لو أن بيير لوئيس لم يخلق ؟ أو أنني لم ألتق به في مقابلة أعجوبيّة بالقرب من مونبلييه » .

وظل هذا الحوار يدور في نفسي ، وما أحسب أنني سأتخلّص منه ، لأنه حوار عميق ، شديد التأثير ، بعيد المقصد ، يترامى على حياة كل إنسان قد نبغ .

وقد أخذتُ أكرر في خيالي شخصيّةَ ذلك الجبّار الذي أصابه العمى في آخر حياته بيير لوئيس ، وهو مَنْ أعطى الشِّعْرَ عبقريّة فاليري نفسه . إنه هو الذي طبعه بطوابع الشعر الرمزي ، بل بالشعر الغَيْبي الذي لا تفهمه العقولُ إلا إذا لمست قرائحها ربّاتُ الأساطير بأيديها الرَّخْصةِ اللدْنَة فنفضتْ عنها غشاواتها وجعلتها تُبْصِرُ ماوراءَ الكلمات وعَبْرَ الواقع .

وقد أثار في خيالي فاليري أنّ شعلته في الشعر والأدب قد أعطاه إياها بيير لوئيس ،فرحت أقول:

— ومن العبقريُّ الذي أعطى لوئيس شُعْلَتَهُ ؟

ههنا كَرَّتْ أمام ناظري مشاهداتٌ أدبية كنتُ تصورتها حين قرأتُ أدبَ لوئيس نفسَه ، وقد أولعتُ به على غرارةِ الصِّبا ، وسأحدّثُ قرّائي في « المَعْرفة » عن أدبه وفنه بعد حين ، في هذا المقال ، فانّ بادرة لوئيس نفسِه في أول حياته الأدبية كانت عَجَباً من العَجَب . إنّه بدأ حياته قصصيّاً في الأدب الإغريقي العتيق ، وكان مغموراً يلوذُ بمن يُظهِرُهُ ، فأتاح له دهره حفلاً من الحُفول كانت فيه الممثلةُ « سارة بيرنار » تتألق بين مريديها وعشاق فنها، فَقَدَّمه إليها الشاعر « فْرَنْسْوا كوبّي » وقال لها :

— إنه شاعرٌ وقاصٌ من طليعة شبابنا الجديدة .

فنظرتْ إليه الممثلةُ الكُبْرى ، وقالت :

— اكتُبْ لي روايةً ، بل اكتبْ روايةً من أجلي .

فأحسّ لوئيس في تلك الساعة — كما كان يقول — أنّ دُواراً دار برأسه

من فرط فرحته ، أفتقول له شمس المسرح العالمي قولتها هذه وهي جادةٌ ، غيرُ عابثة ؟.

وبات يطوي لياليه ، ويُذيب أنهاره ، حتى كتب قصّته ( الأَمَة ) ويريد بالأمة ، تلك الفتاة المشتراة التي كانوا يستعبدونها في عصور الإغريق السحيقة .

وجاء حاملاً مخطوطة روايته للمرأة التي لم تكن تريد من أمرها معه إلا أنْ تعطيه الشعلة ، وقد فعلت ، فقالت له :

— أعجبَتْني قصتك ولم يعجبني اسمها .

— وبِمَ أسميها ، أرجو أن تختاري لها اسماً من عندك .

— سمّها ( آفروديت ) .

فطار لُبُّ القاصّ الشاب وبدّل للحال اسم روايته وجعله ( آفروديت ) .
لقد قرأتُ هذه القصة ، فكانت أوّلَ أمرها ، وكنتُ شاباً ، تثير في خيالي الصورَ الشعرية التي تتمثّرُها تهاويلُ الجمال العاري ، لكني بعد ذلك شعرتُ أنّ تلك الصورَ أخذت تغيب أمام عيني لتطلُعَ مكانَها في فكري فلسفةٌ روحيةٌ تفوحُ من خراطرَ مكتوبٍ عليها الخلودُ ، وأخذ يتجلّى لعيني حبٌّ عظيمٌ ، جِدُّ عظيمٍ ، لا تعرف مثلَه إلا القديساتُ ، لكنه ، وا أسفاهُ ، نابعٌ من الدنَس المُطلَق .

لقد كُشِف بصَرُ بيير لوئيس آخرَ عُمْرِه ، وأخذَ ينْظِمُ الأشعار الإبداعيّة ، لا رثاءً للنور الذي انطفأ في عينيه ، كما صنع الشاعر الانكليزي ميلتون في قصيدته « الفردوس المفقود » . وقد أبدع في فاتحة عمره ، ديوانه القديم ( آستارتيه ) ، وكانت كل لمحات شعره تترامى على زهَرات إغريقيا التي تبتّت على ضِفاف بحر إيجه لتُعَطِّرَ سماءَ الأولمب ، وقد كتب القِصَصَ المُثيرة المليئة

بنقد المجتمع ، فكانت قصته ( الرجلُ ألعوبةُ المرأة ) أخذَ مياسِمِ النقد الاجتماعي الحديث . كانت لَمزاتُها تتسلل إلى البيوت ، لا لتقوّض سعادتها التي بُنيت على خنوع الأزواج ، وطاعتهم للزوجات ، وإنما لتدُق للأزواج أجراسَ التنبيه والخطر ، ولتفتح أعينهم التي أثقلتها الخمورُ على الأمر الواقع .

تلك قصة طويلة من أفضل ما كتب ، وله قِصصٌ صغيرةٌ نشرت بعنوان «قصص جديدة» استفتحها بقصة مصورٍ مترفٍ أراد أن يصنع لمعبد «البارتينون» على الاكروبول لوحاً فنياً رائعاً يَبُذُّ به أقرانه لأسطورة «بروميتوس» الذي ارتكب حماقةَ خلْقِ الإنسان ، إذ كان «جوبيتر» قد أودعه تلك القدرة ، ثم أهبطه على الأرض ليعيش فيها وحده ، وحذّره من أن يخلُق الخليقةَ . لكنّ بروميتي حارَ في السرّ الذي أودعه إياه ربُّ أربابه ، وغالبَهُ طمعُ نفسه ، فجرّبَ إبداعَ الإنسان فأبدعه على وجه البسيطة ، فنزل به غضبُ ربه ، وحكَمَ عليه بأن يُصفَدَ بالأغلال الى قُنّةٍ من قُنَنِ الأولمب ، وسخّرَ به نَسْراً جهنّمياً يسمى «البُرْكان» لينقُرَ كبده بمنقاره الملتهب ، فكان هذا دأبه به حتى ذابت كبده وقضى نحبه .

وجال المصور ( بارّاسيوس ) أرجاء أثينا ، ومعه أعوانهُ ، لكي يرى رجلاً يَصلُحُ أن يكون نموذجاً لصورته المُثلى ، حتى عثر على الأمير ( نيقوستْرات ) الأوليني بطلِ حروب مقدونيا ، يمشي أمام عبديه ، فدعاه إلى قصره ، وأولم له ، ثم حبسه فيه ، ثم عرّاه وصفّده بالأغلال الضخام إلى صخرةٍ كبيرةٍ أعدّها لهذا الأمر ، ثم جعل يأمر عبدَه فيَحْمي سيخاً من الحديد بالنار ، حتى يتوهج فيلسع برأسه موضع كبده ، ويرسم مايعلو على وجهه من تجاعيد

التأوهات، وفغر الفم، وجحوظ العينين، لتجيء الصورة مماثلة للأسطورة.

وظل يصنع به ذلك حتى قضى عليه، وقد انتهى المصور العظيم من لوحه، مع موت أنموذجه.

وثار القوم بالمصور، بعد أن بلغهم حبسه الأمير أياماً، فأحاطوا بقصره الممرد، صارخين:

— أيها القاتل، أيها المتوحش، ياحليف فيليب الظالم، أعطنا القائد الأوليني لنقيم مأتمه بعد أن مثلت به. وهددوه بالرجم، وكان قد انتهى من اللمسات الأخيرة في صورته، ففتح باب شرفته الكبيرة، وهو يغلوم قليلاً، وبرز للثائرين ضاحياً، لا يتكلم حتى صمتوا جميعاً، ثم أمسك باللوح بكلتا يديه، وأراهم إياه، وقد غاب وراءه، وشد ما راعتهم الصورة الخارقة، فآمنوا بضحيتها، وبكى منهم جماعة، وعلا الوجوم الآخرين، وهم ينظرون جميعاً إلى الرائعة الفنية التي أبرزت آلام البشرية كلها ممثلة في بروميتوس الأبدي مصفوداً بالحديد، فانصرفوا معجبين ومطرقين، وهم يتمتمون بكلمة «المجد».

وقد أراد «لوثيس» بهذه القصة النادرة أن يعبر في غير فلسفة ولا منطق، وفي غير جدل في القانون وعلم الحقوق، بأن الفن الأعظم يستباح من أجل كماله كل شيء.

أما رائعته التي رفعته إلى مجد الكتاب المعاصرين، فهي روايته الكبيرة (آفروديت) التي كانت حتى حين من فاتحة العصر، محظوراً تداولها، ثم أبيح بعد تحدر العشرين الأولى من القرن العشرين. وخلاصتها في جملة مجملة، أن مصوراً من عباقرة حملة الإزميل هو «ديمتريوس»، الشاب الفنان، تعشق فتاة متبذلة هي الغانية «كريزيس» التي تواقع العشاق عليها

تواقَعَ النحل على الزهرة الريّا ، لكنها لم تملّك قلبها واحداً منهم ، وقد ملّكته للمثال ديمتريوس الذي تذوب بحبه مَلِكَةُ الإسكندرية بالعصر الإغريقي «آفروديت» . ولقد أذهب عشقُها إيّاه صوابها في الحُكْم حتى زَهِدَت في السُّلطة . ولكي تُفرِغَ سحرَها عليه ، استدعته ،وقالت له :

— انحتْ تمثالاً لملكتك .

فاستجاب . وتعرّت أياما ، وهو يَقْشُرُ المرمرَ ليُخرجَها منه ، حتى تبدّتْ وكأنها تريد أن تتكلم . وأمرت بتمثالها فنُصِب في المعبد ، ليجيء العُبّاد المعاميدُ من عُشّاق الجمال ، يبتهلون تحته . لكنّ ديمتريوس لم يعطها من قلبه خفقة واحدة ، وبقي فؤادُه لا ينبض شوقاً إلا إلى الغانية كريزيس ، التي تحدّت على ضعفها مَلِكةَ الفُتُون وجبّارةَ السلطة القوية ، سيّدةَ الاسكندرية ، آفروديت . وبثّتْ آفروديت في غير عُسْرٍ سمومَ عداوتها على كريزيس المسكينة ، التي صعقها حبُّ النّحات ، وكيدُ الملكة الجبّارة ، فراحت من الدنيا ، بأوج صباها ، كنجم أفل ، وكلّلها ديمتريوس بأحزان الفنّ ، ودفنها في هيكل قلبه ، الذي أُغلق حتى الأبد ، وكان يقف في شطوط الإسكندرية العتيقة ، ليشكو الى البحر ، جبروت الطغاة ، حتى من النساء .

ومنذ صنع بيير لوئيس سنة ١٨٩٦ هذه القصة العُجاب ، أخذ يتمتع باعتبار السنين في عالم الأدب والفن . وكان قد خصص أدبه وكتاباته وأشعاره كلّها في مجال الاغريق ، فكتب ( أغاني بيليتيس ) .وقد حاولتُ منذُ خمسٍ وعشرينَ سنة ترجمةَ هذه الأغاني الساميّةَ ، إلى الشعر العربي ، فنشرتُ نماذج من مقطعاتها في مجلة «الدهور» التي كان يصدرها بالقاهرة أديب الفلسفة والفكر المرحوم إسماعيل مظهر . «وبيليتيس» غانيةٌ قبرصية شريدة اللُّب في الفنّ والهوى ، وكانت

شاعرة إغريقية ، فزعم لوئيس أنه عثر على مخطوط لديوان شعرها كتبته بيدها الرَّخْصَةَ الناعمة ، وقد حصل عليه من تُراث هلِّليني قديم ، ونهض بترجمته إلى الفرنسية في قصائد منثورة ، فرحت أُمْتِعُ روحي زمناً بهاتيك الأشعار السوابي التي كانت تستهوي يومئذ شبابي ، وأُعلِّقُ مابقي في خاطري منها، أشعارٌ على لسان الغانية « منازيديكا » التي كانت تنشطُ روحها بنهر الجحيم ، ثم تعود الى الحياة لتُضَمِّخَهُ بعُطور قبرص ، وتَعُبُّ من ينابيع الفاتن الطائشة .

وقد أنطَقَ بيير لوئيس الحياة بلسان منازيديكا ، ثم سَكَبَ على هذه الحياة اللهيب الذائب ليُغْنيَها ، ولعله فعل هذا لينتقِمَ قَبْلَ الاوان من حُكم الأقدار الذي نزل ببصره ليُفْقِدَهُ نعم الوجود .

أما ديوان شعره ، فحافل بقصائد كأنها أغنياتُ القَدَرِ في صفحات الخلود ، كان يناغي بها أزاهير الزنبق التي لا تَذْبُل ، على ضفاف الغُدران التي لا تنيض ولا تفنى . وكان يَفيض قلبه تحناناً الى الفن الاسمى الذي يَعيشُ الإنسان عُمْرَهُ ، ولا يُدْرِكُ أقصى كنهه .

لقد أهدى أول قصيدة في ديوانه الذي وسمه بكلمة « شعر » الى صديق عمره بول أمبرواز فاليري ، وأزجى إليه أبياتاً رسم فيها خط سيره في الحياة المقدسة ، وفي لمس الرمز الأعظم .وخطّ لنفسه السَّيْرَ نحو الحب والعطر والجمال، وختم الأبيات ، بأنه وصديقه سيلتقيان معاً بعد النَّوى ، عند الله .

وهو يقول في قصيدة مهداة الى السيدة « غوتييه » عنوانها « نحو عيون السِّيرين » عرائس البحار .

| | |
|---|---|
| لاضوءَ يُغري العيـــن في أركانها | فلتَفْرُغِ البـــلدةُ من سكانها |
| ولْنَدَعِ الاربابَ في أحزانهـــا | ولْنَتْرُكِ المذبحَ في هـــذا المسا |

ولْنَمْضِ في البحرِ على رَجراجه     تتبَعُنا الامواجُ في ألحانها

* * *

يا سمكاتِ القاعِ في نصفِ البَشَرْ     قد أينعتْ فيكُنَّ أفوافُ الزَّهَرْ
أنتُنَّ لـلموجِ مَرايا فضَّةٍ     لاحَ على صفحتِها وجهُ القمَرْ
يا عُفْرِياتٍ شَرَّدَتْ عُشّاقَها     سيرينُ، بالحُنأ على صمتِ السَّحَرْ

* * *

حينَ نُطيفُ البَحْرَ نَبْغي قُبْلَةً     مِنكُنَّ تَنْفِرْنَ وفي البُعْدِ الدَّلالْ
لكنّما في لَسْعَةٍ مُذْهَبَةٍ     مِنْ إصْبَعٍ ساحِرَةٍ ذاتِ اغتيالْ
تَصْرَعْنَ فينا أنفُساً تَوّاقةً     للحُبِّ لم تَـدْرِ أساليبَ الضَّلالْ

وأهدى لوثيس إلى الشاعر الكاتب دهنري دورينيه » مقطوعة يقول فيها :

استُ إلى الغاباتِ أغدو في الضُّحى     أغزو صُدوراً مُثلجاتٍ كالدُّمى
فأين تمضي، صاحبَ السيفِ الذي     يلمعُ في كفكَ نجماً في السَّما
تَبحثُ عن وجـهٍ عليه صُفرةٌ     وعن نفوسٍ مظلماتٍ كالدُّجى

ولئن كانت رمزية لوثيس وليدةَ الألوان الروحيّة التي مزجها الشاعران فيرلين وبودلِر ، فقد ابتدع رمزيةً حُلْوةً ناعمةً ، إذا ضاع الفكر في متاهاتها، وجدت الروح واحاتٍ يانعةً فترامت عند مباركها العذبة ، وعلى هـذه الواحات التقى فاليري بلوثيس الذي نفحه بسر الرمزية التي جعلت عذابَ الفكر سبيلاً إلى الوصال ، فكانت مثل حبيبٍ يَشْمُسُ أوّلاً ويُسْلِس عند النهاية .

* * *

كذلك كان بول فاليري ، وهو أعظم شاعر معاصر في قومه ، عاش يلوب على بيير لوئيس ، ويعيش معه في حياته وفي ذكراه ، حتى الموت ، لأنَّ لوئيس وحده ، هو الذي أعطاه شُعْلَةَ الشِّعْر العُظمى ، فآثر صديقُه موريس مارتان دوغار ، أنْ يُتْحِفَ كِتابَهُ الكبيرَ واسمـه ( الجديرون بالذكرى ) بخلود هذه الذكرى .



# الحرية

## في الشعر الجزائري المعاصر

بقلم: صالح خرفي

### ( حرية السجن )

قد يثير وقوع النظر على هذا العنوان تساؤلا في ذهن القارىء ؟ كيف يتعانق الضدان ؟ فتجتمع الحرية واللاحرية في آن واحد ؟ ومتى كانت السجون موئلاً للحريات ؟ وهـــل خلقت السجون وارتفعت أسوارها الا لتخنق الحريات بين تلك الأسوار ؟ ويتبخر في ظلماتها ما يمكن أن يستنشقه المرء من نسيم خارج تلك الأسوار ؟ ويتلاشى فيها ما يمكن أن تستشفيه العين من نور الحياة .

ولكنها الحالة الرهيبة التي آلت اليها الجزائر في أوائل هذا القرن فقلبت أوضاعها ؟ وجعلت من

(١) هذه الدراسة والتي تليها تشمل الفترة مابين أوائل هذا القرن الى يومنا هذا .

الشوارع والاجنة سجونا ومحتشدات وجعلت من السجون معاقل للحرية . ان الحرية أصبحت لاتعني الهواء الطلق والشمس المشرقة اذا كانت طلاقة الهواء يخنقها ارهاب استعماري ، وكأن اشراق الشمس أسير الظلم القاتم ؟ بل اصبحت الحرية تعني قضبانا حديدية قد يجد السجين بينها متنفسا لصعدائه لايجده في الفضاء اللامتناهي . أصبحت الحرية تعني الزنزانة الضيقة يخلو القابع فيها الى فكره وضميره مفكرا في مصير بلاده الشمس متخذا من تلك الزنزانة نقطة انطلاق ليوم مشهود . أصبحت الحرية تعني ردهات السجون وساحاتها التي قد يلتقي الشعب على صعيدها اذ تضيق عنه ساحات الجزائر ونواديها ؟ لقد آمن الجزائري بحرية السجون حتى استطاع أن يجعل منها مدارس وثكنات للانطلاق الثوري آوى اليها بكل عزة وفخر وثوى فيها السنين الطوال دون أن تفل من عزمه ، او تزعزع من ايمانه ، فلا غرو أن يكون الشعر الجزائري صورة لهذا الجو القاتم الذي يعيشه شعبه خارج السجون ويكون في الوقت نفسه تجسيما لتلك المثل العليا التي يحملها السجين بين جوانبه حتى صورت له السجن فضاء طلقا ، وذلك الايمان الذي يخفق به قلبه اتقادا وحماسا حتى أذاب به الظلمات الصورية التي تفرضها الاسوار المنيعة والقضبان القاتمة ، وعاش في بحبوحة من رضا الضمير .

قال الشاعر الجزائري رمضان حمود : (١)

سمعت بأن السجن أضيق من قبر ... فالفيت قعر السجن أحسن من قصر
فماذا يفيد القصر والقلب حائر ... وماذا يضر السجن من كان ذا قدر
ومن لم يذق طعم الردى بنضاله ... سيشكو الاذى والدمع من عينيه يجري

تلك أبيات ثلاثة تصور بوضوح نظرة الجزائري الذي صهرته نار الاضطهاد ولاحقته زبانية الاستعمار في كل شبر من أرضه حتى استطاب المثوى بالسجن والمعتقلات مع أنه في الحقيقة كمستجير من الرمضاء بالنار .

لقد صب الجزائري الحديث في قالب من البطولة قل أن توفر لغيره ، وكونته الاحداث تكوينا خاصا تميز به تميزا واضحا في دنيا الكفاح ، وعمقت الخطوب تفكيره في الامور ، وطرحت بنظره بعيدا عن السطحيات والارتجال واستوت به على قدم راسخة في الاناة والحنكة الكفاحية ، وتمتع بسعة صدر ، وطول نفس في التحمل والمعاناة . ولوذهبنا نلتمس السبب في ذلك لما وجدناه الا فيما امتاز به العهد الاستعماري في الجزائر من ارهاب واضطهاد لايزالان يلاحقان المواطن

(١) شاعر جزائري معاصر توفي في شرخ الشباب سنة ١٩٢٩ انظر ترجمته في شعراء الجزائر في العصر الحاضر . ج ١ / تأليف الهادي السنوسي .

كالظل ولا يهدأ حتى يطلا عليه في قعر الزنزانة قابعا ، يتخرج تخرجا لم يدرك الاستعمار كنهه وخطورته حتى جاءت ثورة نوفمبر ١٩٥٤ .

فبقدر ضيق السجن اتسع صدر السجين لتحمل ويلات الجلادين ، وبقدر طول الايام بـه في هذه المدرسة الخاصة طالت أنفاسه في الصبر والجلد ، وبقدر ما أحاط به من أسوار منيعة طوح بفكره وتخطى الاسوار وعاش في غايات واهداف تقصر عنها يد الجلاد ، ويتأرجح دونها ساطور المقصلة . فلا غرابة أن نجد شاعراً كأبي اليقظان يعنون قصيدة له بـ : السجن مجمرة تفوح بها قيم الرجال .(١)

منهـــــا :

| | |
|---|---|
| ان الحياة خطيبة فتانـــة | وصداقها في النفّس والاهوال |
| كأس العذاب لاجلها مستعذب | والموت عيش فيه كل كمـــال |
| والحزن أنس ، والبكا ضحك لها | والعسر يسر فيـــه كل نوال |
| والاسر دون نوالها حريـــة | والقيد اطـلاق من الاغـــلال |
| ما قام للاحرار مجـــد باذخ | الا وكان (٢) من الاساس العالي |
| فيه غدا في مصر يوسف جالسا | فوق السرير متوجا بجـــلال |
| لولاه ، مانبتت (لهوجو) غرسة | كلا ولا نجحت بذور جمـال (٣) |
| فالسجن ان كانت مغبته العـلا | نعم المهاد ، مهاد جل رجـــال |
| السجن مجمرة تفوح بفضلهـــا | قيم الرجال ، رخيصها والغـالي |
| لولا السوار لما بدا شوق ، ولا | كانت لدينـــا لفتة لهـــلال |

تلك هي الصورة الصادقة للسجن في نظر المواطن الجزائري ، صورة تتعلق بالمثل العليـــا والاهداف البعيدة تعلقا راسخا لاتعبث به تقلبات الحياة ، نظرة تسمو على الظلال العابرة مهمـا

(١) من رواد الصحافة العربية في الجزائر ، ومن كتابها وشعرائها . انظر ديوانه ، قيلت هذه القصيدة بمناسبة خروج الشيخ صالح بن يحيى والشيخ محمد الرباحي من السجن سنة ١٩٣٩ .

(٢) الضمير يرجع الى الاسر .

(٣) لعل الشاعر توهم دخول هوجو السجن وهو غير صحيح . واذا كان الشاعر يقصد بـ (جمال) السيد جمال الدين الافغاني . فهو كذلك لم يدخل السجن .

كانت كنانتهـــا ، وترفرف في أفق من السمو يعز عن المتطاول . فان دخل الجزائري السجن فلينصهر في أتونه ويخرج منه بمعدن خالص لا يشوبه الصدأ وان زج في الاغلال فلينطلق في وثبة ثورية لايشق لهـــا غبار ، وان جحظت عيناه من هول مارأى من جلاديه ، فلـكي يشق بصيرته أستار الغيب ، ولست أنكر أن للسجون أيادي وذكريات سيعتز كل جزائري باسترجاعها .

## السجن مجمرة تفوح بفضلهـــا قيم الرجال ، رخيصها والغالي

وحين نتصفح كتابا ككتاب بذور الحياة للشاعر والـكاتب الجزائري رمضان حمود نجد المؤلف يفرد بابا خاصا للسجن ويدبجه بهذه الحـكم المنثورة :

« بين جدران السجون تنبت شجرة الحياة الاستقلالية »

« السجون مدرسة فيها يتعلم المهضومون كيف يقاوم الظلم والاستبداد »

« السجن جسر بين المرء والعظمة »

« السجون لابد أن تمتلىء بالاحرار في بداية كل نهضة قومية ، كما أن النهضة لابد ان تتم رغم الحواجز والعراقيل التي تنصب في سبيلها . »

« ان الحرية لاتؤسس الا على السجون »

« ان السجن رمز على ضعف الاستبداد والجبروت »

« ليس العار ان تغشى السجن . ولكن الخزي الاكبر أن تتسامح في بنيك ووطنك وشرفك خوفا من السجن »

« ما سمعنا يوما بأن السجن والابعاد والاعدام قضت على أمة أبدا ، بل مارأينا ذلك الا فاتحة عزها ومجدها وعظمتها » .

« لولا السجون لما قامت قيامة للاصلاح ، ولا تغيرت النظم العتيقة البالية » .

« لولا مشاركة المجرمين للاحرار في السجون لقلت انها بيوت مقدسة يجب أن تحترم » .

« الرجل الحقيقي من يزيده السجن اقداما ، والابعاد ثباتا ، والتهديد بالاعدام اطمئنانا » (١)

ولولا مخافة التطويل لتصدينا لشرح كل جمـلة وردت من هذه الحـكم التي لولا الترسل لسميتها شعرا ؟ وان كانت بالنظرة الحديثة الى الشعر لاتخرج عن حدوده ؟ ويبدو لي أنـه لولا السجن لما أتحفنا الشاعر رمضان حمود بهذه الدرر الغالية التي صورت السجن تصويرا يشرئب اليه كل ذي ضمير حي حر .

(١) انظر كتاب بذور الحياة للشاعر رمضان حمود .

ولعل أجلى صورة للسجن نلتمسها في أشعار مفدى زكريا (١) وفي نشيد ( بربروس ) بالذات ؟ وقصيدة ( الذبيح الصاعد ) وقصيدة ( سيان عندي مفتوح ومنغلق ) .

## حوبة المنفى

وللمنفى في أرض الجزائر تاريخ طويل ، فما من عنصر وطني حي تهيبه الاستعمار الا ورمى به بعيداً بعيداً ، ظناً منه أن الابعاد قد يخفف من خطورة المنفى في بلده ولكن النتيجة كانت عكس ذلك تماماً فما ازدادت الأوطان بزعمائها الا تعلقاً بعد ابعادهم وما ازداد المبعدون عنها الا تفانياً في حبها والتعلق بها .

ولما أبعد الأمير خالد بن الأمير عبد القادر الجزائري ، الى الاسكندرية تقمصه الشاعر الجزائري محمد السعيد الزاهري فقال على لسانه :

قضيت حياتي مدلجـاً ومؤوباً ... ولكن كأني رمت عنقاء مغربا
بلوت مراس الحادثات فلم أجد ... خبيراً بعقبى الدهر الا مجربا
اذا جر صرف الحادثات الى العلا ... فأهلاً بصرف الحادثات ومرحبا
تركت ورائي بالجزائر ،من اذا ... تذكرتهم زاد الفؤاد تلهبا
وما همني خطب سوى أنني أرى ... هلال بلادي للافول مصوبا



أبيات تعبر عن حسرة وألم ، بقدر ماتعبر عن تحد صارخ لكوارث الدهر ونوائبه :

اذا جر صرف الحادثات الى العلا ... فاهلاً بصرف الحادثات ومرحبا

وتكاد تنسى نفسك في غمرة العاطفة الصادقة التي تجيش الأبيات بها ، ويخيل اليك أن الأمير خالد بنفسه هو قائلها ؛ وما ذلك الا للتجاوب الصادق بين الشاعر المترجم والأمير المترجم له تجاوباً يبين الى أي مدى كان الشعر الجزائري ينصهر في بوتقة الكفاح الوطني ، والى أي مدى يتقمص أبطال هذا الميدان ، فيكون الترجمان الصادق في تصويره لخلجات النفوس ، وتجسيمه لخفقان القلوب .

وعندما يؤدي الشعرُ دوره في التقمص ، وتفرغ الريشة الصناع من اللوحة الناطقة يتصدى لتمثيل دور آخر ، دور المودع ، دور المنديل الذي يكفكف دموع الوداع . دور الوطني الذي

---

(١) انظر ديوان ( اللهب المقدس ) للشاعر مفدى زكريا . المقصود هنا نشيد (بربروس) الذي نظم سنة ١٩٣٦ ، أما القصائد الأخرى فبالرغم من أصالتها في هذا الموضوع لكنها لاتدخل في الفترة الزمنية المحددة لهذه الحلقة .

اجتاحته فاقة الزعامة ، فحرمه المستعمر الصبابة الباقية من زعمائـــه من تقتيل لهم ، وزج بهم في السجون ، والتطويح بهم بعيداً عن مأساة بلادهم .

الا في ذمـــام الله ياخير مرشد ... الى حيث خـــيم للفخار وطنبا
لئن كنت في أفق الجزائر كوكبا ... فقد لحت في الاسكندرية كوكبا
أما كان قرن الشمس عند شروقها ... شبيها بقرن الشمس تقصد مغربا
فدنياك ذا جأش قوي ثباتـــه ... اذا ماخطوب الدهر تنشب مخلبا
الى الآن لم تلق السلاح ، ولم تكن ... لتلقى أبا مقدام من بعد ذي الظبى
فانت أخو العلياء والبطل الذي ... اذا جد جد ، زاد منـــه تقربا

انها دمعة سخينة تحدرت من العين وهي تودع الامير ، ولكنها في نفس الوقت عزيمـــة صارخة ، وايمان راسخ بأن البعد مهما اختلفت به الميادين فان سمة البطولة لن تفارقه ، فهي ملازمة له اني شرق او غرب .

الى الآن لم تلق السلاح ، ولم تكن ... لتلقى أبا مقدام من بعد ذي الظبى

وان شكرنا لهذا الابعاد بدا ، فشكرنا لما غرسه فينا وفي زعمائنا من انسانية واسعـة كانت نتيجة أضربهم في الآفاق . وقد تحرم الجزائر من زعيم من زعمائها حكم عليه بالنفي ولكن الجزائر في نفس الوقت قد كسبته سفيرا لها ، وشاهداً محسوساً لما يجري لها من ظلم واضطهاد . ومن عجب ان الاستعمار الذي كان يفصل بيننا وبين جاراتنا في العروبة بأسوار من حديد هو نفسه الذي تكفل بانتداب سفراء للجزائر في الاقطار العربية وغيرها من هؤلاء الزعماء فازدادت بهم الجزائر في الخارج تميزا ووضوحا ، وكانوا لمأساتها نعم الرسل :

لئن كنت فيأفق الجزائر كوكبا ... فقد لحت في الاسكندرية كوكبا

واذا أصبـح المواطن الحر المبعد سفيرا ، فلا بدع ان تتوجه اليه التهنئة بمناسبة الابعاد وذاك مانجده عنوانا لقصيدة لابي اليقظان ودع بها ابراهيم طفيش عندما حكم عليه بالنفي الى مصر وعنوان القصيدة : ( تهنئة بنفي ) منها :

راموا الاساءة جفوة وسفالة ... لكنهم قـــد أحسنوا احسانا
ونفوه من رق الى حريـــة ... ومن الممات الى الحيـــاة عيانا
قد أوصدوا أبواب تونس عنه بل ... فتحوا له ابواب مصر عيـــانا
قد أبعدوك فقربوك الى الرجا ... ل فنلت عطفا بينهم وحنانا

قد صغروك فعظموك وأنزلو ... ك منازل العظما فقم شكرانا
خفضوك جهلا منهم لكنهم ... رفعوا علاك لترفع الاوطانا(١)

ولنا مع الأبيات وقفة ، فهي صورة معبرة للتضاد المتطرف في المفهومين مفهوم الاستعمار لخططه وأساليبه ، والمفهوم الذي يزن المواطن به هذه الظواهر . فالرق ، والحرية ، والممات والحياة ، والابعاد والتقرب ، والتصغير والتعظيم والخفض والرفع كلها مفارقات . لولا التسامي في نظرة الجزائري الى مظاهر الحياة لما اجتمعت له على صعيد واحد وتعانقت له في موقف واحد .

وكان على طرفي نقيض مما يريده له الاستعمار مهما اشتط في ارادته من هذه الخطط الجهنمية .

وتجنب طرفي لفظة مجانا في البيت الثالث ، لاجرسها فقد تكون عامية ، ولكن لموقعها المعنوي من البيت ، موقع تشوبه مسحة من السخرية والتهكم من هذا المستعمر الذي يوصد الابواب دون مصر . ويقيم أسوارا من حديد بيننا وبينهم ، ثم يفتحها ويدفعها مجانا في وجه من كتب له حسن الحظ أن يكون من المبعدين .

و ( الحرية ) التي لم تزل عنوانا عاماً لهذه الحلقات لم نكن لنغفلها فهي تواكبنا في كل سطر وبيت ان لم يكن مبنى فمعنى . وما التهنئة بالنفي ، وما الحياة والتعظيم وما الرفع الا من سمات الحرية ، بل انك لتجدها بعينها في قول الشاعر :

ونفوه من رق الى حرية ... ومن الممات الى الحياة عيانا

تلك هي حرية المنفى .

— يتبع —

---

(١) أبعد الشيخ الى مصر سنة ١٩٢٣ .

# مع العقاد الشاعر (*)

بقلم: رشاد علي اديب

طالعت في العدد الاخير من المعرفة الغراء مانشر فيها من دراسات قيمة ماتعة عن الكاتب الناقد الشاعر الاستاذ عباس محمود العقاد بمناسبة حفلة ذكراه التي اقامتها مشكورة وزارة الثقافة والارشاد القومي وكانت تلك الدراسات الشائقة موفقة وصائبة حللت كثيرا من النواحي الادبية والفكرية والشعرية لذلك الفقيد الجليل وقد رأيت أن اضيف الى تلك البحوث البارعة بحثاً في الاخطاء اللغوية والنحوية الواردة ضمن اشعاره مع بعض الهفوات المعنوية .

(*) نظرت في دواوينه (ديوان العقاد) و (وحي الاربعين) و (هدية الكروان) و (اعاصير مغرب).

لاريب ان المرحوم العقاد مثلما كان كاتبا وناقدا ومفكرا كبيرا كان أيضا شاعراً كبيراً غير انه كان بتفكيره العميق يحمّل كلمات أبياته معاني تنوء بها وتثقلها فتتعرض الابيات من أجل ذلك للتعقيد اللفظي والمعنوي وللخطأ أيضاً وهـــذه الناحية واضحة جليّة في شعره وان سلم بعضه منها فلا يخلو من هفوات كقوله في أبيات :

يالَـــهُ مِنْ فمٍ | يالهَا مِنْ شَفَـهْ
يالَشَّهْدِ بِـــهِ | كِدْتُ أنْ أرْشُفَهْ
يالَزَّهرِ بِـــهِ | كِدْتُ أنْ أقْطِفَهْ
حُلْوَةٌ وَمحيّـــا | غَضَّةٌ مُرْهَفَـــهْ
حَسْرَتي بَعْدَهـــا | حَسْرَةٌ مُتْلِفَـــهْ

هذه الأبيات أنيقة رشيقة صافية الديباجة رائعة المعنى لاشائبة فيها سوى قوله : كِدْتُ : فالكلمة غير شعريّة(*) كما أن هذا الفعل من أفعال المقاربة يأتي غالباً مضارعاً والأفصح أن لاتأتي : أنْ : بعده كقوله تعالى « يَكادُ زَيْتُها يُضيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نار » .



وهناك هفوة بقوله : يا لَزَّهرِ :والأولى أن يقول : يالَورْدِ :لأن الشفة تُشبّه بلون الورد ورقّته . وهذه الابيات من بحر مخترع لايدَ للخليل فيه وانما هو من ابتكار مجدّد الشعر العربي في العصر الحديث ومحيي دولته ورافع رايته محمود سامي البارودي فقد نظم قصيدة خمريّة على هذا الوزن مطلعها :

أعْطِـــني القَدَحْ | وَاعْصِ مَنْ نَصَحْ

وجاراه شوقي بقوله :

مالَ واحْتَجَـــبْ | وَادَّعى الغَضَـــبْ

وجاراه الكاظمي بقوله مادحاً سعد زغلول :

أنْـــتَ لاجَرَمْ | بَـــدْرُنا الأتَمْ

(*) لانوافق الناقد على استقباح ( كدت ) . بل بالعكس انها كل جمال البيتين حيث وردت ، لفظاً ومعنى ــ المعرفة ــ

على أن في شعر العقاد ماسلم من كل شائبة كقوله :

تُريدينَ قَلْبي تُخذيه رُوَيْدَكِ لا بَلْ دَعيه دَعيه
دَعيه اذا غِبْتِ عَنّي أرى مُحَيّاكِ فيه وحُبّي فيه
وَسِرٌّ أبوحُ بهِ خِلْسَةً وإن كُنْتِ من قَبلُ لم تَسمعيه
أخافُ على البُعْدِ أنْ تَلْعَبي بهِ يا بُنَيَّةُ أوْ تُهمِليه
فكمْ لُعْبَةٍ وقعَتْ مِنْ يَدَيكِ وُقوعاً أرى القَلْبَ لا يَشتَهيه
اذا ما لَعِبْتِ بهِ ها هُنا فاني لآمَنُ أنْ تَكْسُريه
تُريدينَ قَلْبي تُخذيه تُخذيه وَلكِنْ بِرَبِّكِ لا تَنقُليه

وكقوله :

وَحبّذا لو لُحّنتْ هذه الأبيات وغُنّيَ بها :

دَعَتْكَ العَرائسُ في بَحْرِها فَفيمَ الوُقوفُ عَلى السّاحلِ
الى الماءِ لا بَلْ الى السّابحينَ لا بَلْ الى الغَرقِ العاجلِ
فليسَ على البَحْرِ الاّ غريقٌ وإنْ لم يَكنْ فيه بالنّازلِ
سَواحِرُهُ احتشدَتْ كلُّها عَلَينا فيا وَيحَ لِلغافلِ



وكقوله :

كلُّ إلفٍ لهُ مِنَ الطّيرِ إلفٌ هكذا تَجْمُلُ الحياةُ وَتَصفو
أملٌ يَرتقي وحُبٌّ يُناجي ولِسانٌ يَشْدو وقلبٌ يَرِفُّ
جِكَ خَفّ الجَناحُ يا أيُّها الطّيْـ ـرُ وما كنت بالجناحِ تَخِفُّ
لُطْفُ روحٍ أعار جَنبَيْكَ ريشاً فَمنَ الرّوحِ لا مِنَ الرّيشِ لُطفُ
ليسَ يُنْميكَ للسماءِ جَناحٌ بلْ غِناءٌ مِنَ الضّياءِ يَشِفُّ
إن مضى النّاس يَعْجَبونَ قديماً كيف تعلو عَجبْتُ كيف تُسِفُّ

ولم أذكر البيت الأخير مع الأبيات لثقل كلمته الاولى وهو :

ثقلَةٌ في الحَياة لم يَنجُ طَبْعٌ من عَراقيلها ولم يَخلُ عُرْفُ

* * *

وكان الاستاذ العقاد مولعاً بحشد الالفاظ الغريبة في شعره فيكدر صفاؤه

ويكد رونقه ومن هذه الكلمات : المؤوف : أي المصاب بآفة وذلك بقوله :

لكَ وجهٌ كأنهُ طابعُ الصَّدْ ... قِ على صفحةِ الزَّمانِ المؤوفِ

ومنها : يكرثنا : أي يُهِمُّنا يقال كَرَثَهُ الغمُّ أي اشتدَّ عليه وذلك في قوله :

ما كان يكرُثُنا شقا ... قاً لم يَعُدْ بالكارثِ

ومنها : خُضارة : أي البحر وذلك في قوله :

(أكاروسُ) هذا مسبح الطير فارْكَبِ ... وتلك المهاوي من خُضارةَ فاجْنُبِ

ومنها : ذيفان : أي سمٌّ قاتل وذلك في قوله :

في كل يوم له ثوبٌ يُجدِّدُهُ ... من الرِّياء وفي فكَّيْهِ ذيفانُ

وهذا البيت من قصيدة عارض بها قصيدة ابن الرومي التي مطلعها :

أجْنَتْ لكَ الوَرْدَ أغْصانٌ وكُثبانُ ... فيهنَّ نَوْعانِ تُفّاحٌ ورُمّانُ

وقد حشر الأستاذ العقاد في قصيدته كثيراً من الكلمات الغريبة مثل : أوْهاق وأشْطان : أي أحابيل وحبال ومثل : أفْدان : جمع فَدَن وهو القصر ومثل : إرغان : أي إصغاء ومثل غيَّان أي غاوٍ ومثل ثُغبان بضم الثاء وكسرها جمع ثَغب وهو ذَوْبُ الجمد والغدير في ظل جبل وما بقي من الماء في بطن الوادي كما أنه شرح في هذه القصيدة بعض كلماتها شرحاً خاطئاً ومن كلماته الغريبة : رَنَّقَ : يقال للطائر إذا رفرف بجناحيه ولم يَطِرْ وذلك في قوله :

لقد رَنَّقَ الصُّرْصورُ وهو على الثَّرى ... مُكِبٌّ وقد صاحَ القَطا وهو أبْكَمُ

ومنها : ناجر : وهو كل شهر من أشهر الصيف وذلك في قوله :

أتى ناجرٌ وانْقضى ناجرٌ ... ومثلُ غدي أمسيَ الدّابرُ

ومنها : أُيام : بضم الهمزة وتخفيف الياء وهو الدخان وذلك في قوله :

طواهُنَّ عنّي أُيامُ الحروبِ ... وجَوٌّ بنيرانها ماطِر

ومنها : يموقُ : أي يحمقُ وذلك في قوله :

وأجمل أنْ لا يَجْرِفَ الناسُ فاضلاً ويَعثر فيهمْ منْ أنْ يعوقَ ويَعْتلوا

ومنها : الشُّوار : وهو متاع البيت والهيئة ولبس العروس وذلك في قوله :

فإنْ تأذنِ الدُّنيا أباحتْ شُوارَها وغنَّتْ عصافيرٌ وفاحَ عبيرٌ

ومنها : الوذائل : جمع وذيلة وهي المرآة وذلك في قوله :

فَسَلُوا الوذائِلَ في غدٍ أينَ المحاسِنُ واخبرونا

ولو قال : المرايا : بدلاً من الوذائل و : أخبرونا : عوضاً عن واخبرونا بوصل همزة القطع لكان أولى وفي هذه الأمثلة كفاية .

وأبدأ الآن بذكر ما عثرت عليه في شعره من الأخطاء اللغوية والنحوية والمعنوية .

قال في قصيدة معرَّبة عن شكسبير :

وإنَّكَ إمَّا عنْ مَرامِكَ قاصرٌ فَتأسَفُ أوْ مُجتازُهُ مُتهجّما

قوله : متهجما : خطأ لغوي إذ لم يرد في العربية فعل : تهجّمَ : ليأتي منه اسم فاعل والوارد : هَجم عليه هُجوماً فهو هاجمٌ وهجوم بفتح الهاء .

وقال في جبار ويه وأسده :

وهُمْ قتلوكَ حينَ وَثِقتَ منْهُمْ وكمْ حفيظَ العُهودَ فما اعتَداها

قوله : اعتداها : خطأ والصواب : عَداها : أي تجاوزها وبه يستقيم الوزن وأمّا فعل اعتدى فمن الاعتداء وهو لازم .

وقال في مقطوعته : طفل على البحر :

عَدا على البَحْرِ جَذْلاناً فقلتُ لهُ هلْ قَصَّرَ البَحْرُ أوْ أرْبى على الأمَلِ

عدا هنا بمعنى جرى وركض ويتعدى إلى لا بعلى فينبغي أن يقول : عدا إلى البحر :

وقال في قصيدة :

بذوي القربى ولوعي والأولى بينهم قُربى سَمَتْ منْ سيمْ

فسّر السّهيم بالشريك ولم يرد هذا في كتب اللغة والوارد ساهمَ القوم أيْ قارعهم وأسْهَمَ بينهم أي أقرَعَ من القُرْعَة واسْتهموا اقترعوا وتساهموا تقارعوا ويقـــال هو مُساهِمٌ ومُسْهِمٌ أي مُقارِعٌ ومُقاسِم ومشارك ولا ذكر للسّهيم .

وقال في معارضته لقصيدة ابن الرومي المذكورة آنفاً :

في كلّ رَوْضٍ قُرىً للزّهرِ يَعْمُرُها ياحبّذا هيَ أبياتٌ وسُكّانُ

قوله : أبيات وسكّان : بالضمّ خطأ نحوي والصواب: أبياتاً وسُكّاناً : لأن أبياتاً محلها النصب لوقوعها تمييزاً وسُكّاناً معطوف عليها وبالصواب تتغير حركة القافية .

وقال فيها :

تَفاهُ عَنْ عُرُسِ الدُّنياشواغلُهُ إنّ الحِدادَ عن الأعْراسِ شُغْلانُ

قوله : شُغْلان : خطأ لغويّ والصواب : شاغل : وجمع الشُغْل أشغال وشُغول .

وتكرّر هذا الخطأ بقوله :

مُحبٌ جدّته مَهْلاً فانَّ لَهـا بالأكْبَرينَ عن الأحفاد شُغْلانُ

وقال فيها أيضاً :

واضيْعَةَ الحُبّ أُبْديه وأكْتُمُهُ وَمَنْ عُنيتُ به عَنْ ذاك غَفْلانُ

قوله : غَفْلان : بفتح الغين خطأ والصواب : غافل : وأما الغُفْلان بضم الغين فمعناه التغافل ولو قال : سَهْوان : لأصاب .

وقال فيها :

انّي الى الرّعْي من عَيْنَيْك مُفْتَقِرٌ ياضَوْءَ قلْبي فانّ القَلْب مِدْجانُ

ليلة مِدْجان : مظلمة كما في القاموس المحيط وهذه الصيغة لا تأتي الا للمؤنث وقد أوردها الشاعر للمذكر .

وقال فيها :

حتّى تَصرَّمَ جُنْحُ اللَّيْلِ وانبثقتْ     مِنْ كُلِّ مُطَّلَعٍ للصُّبْحِ عُمْدانُ

العمود بفتح العين جمعه أعمدة وعُمُد بضمتين وعَمَد بفتحتين قال تعالى « إنّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ في عَمَدٍ مُمَدَّدَة » ولا يجمع على عمدان كما ذكر البعض يجمعونه على عواميد وهو خطأ .

وقال فيها :

تَهتَزُّ بَيْنَ طَوايا النَّفْسِ نَبْرَتُها     كما يموجُ لِضَوْءِ الشَّمْسِ خيطانُ

ألطوايا جمع طَوِيَّة وهي الضمير فقوله : طوايا النفس : غير جائز ولو قال : خفايا : أو : خلايا : أو : قطاوي : لأصاب ، وقوله : خيطان : خطأ لأن جمع الخَيْط خيوط وأخياط وخيوطة ولا يجمع على خيطان وانما هو جمع خَيط بكسر الخاء وهو سرب النعام والجراد وجمع خُوط بضم الخاء وهو الغصن .

وقال فيها :

ولا تعلّمَ وَزْنَ القَوْلِ شاعِرُهُمْ     إلا وكانَ لَهُ بالنَّبْضِ ميزانُ

لا تأتي واو الحال بعد إلا اذا كان تاليها فعلا ماضياً ولا عبرة لماورد شذوذاً بالبيت المنسوب لزهير بن أبي سُلمى :

نِعْمَ امْرءاً هَرِمٌ لَمْ تَعْرُ نائبَةٌ     إلاّ وكانَ لِمُرْتاعٍ بها وَزَرا

فقول الأستاذ العقاد : الا وكانَ لَهُ : خطأ نحوي .

وقال فيها :

كأنّني تاجرٌ في الشطّ مرتقبٌ     مَوْجَ الخِضَمِّ وفلكي فيه غَرْقانُ

قوله : غرقان : خطأ لغوي والصواب غَرِق بكسر الراء وغارق وغريق .

وقال فيها :

يا أملحَ النّاسِ هَلا كُنْتَ أكْبَرَهُمْ     روحاً فيتّفقا روحٌ وجُثْمانُ

الصواب : فتتّفقوا روحاً وجُثماناً : لأن روحاً حال وجُثماناً معطوف عليها وبه تتغير حركة القافية ويصح أعراباً لاوزناً : فيتّفق روحٌ وجُثمانٌ : باعراب الروح فاعلا .

وقال فيها أيضا :

لا يَجْهَلُ الخيِّرَ أدناهمْ وأجْهلهمْ فَفيـــهِمَ عالِمُهُمْ بالشّر كَظّانُ

قوله : كظّان : خطأ لغوي والصواب كظيظ ومكظوظ ومكتظ أي ممتلىء .

وقال في قصيدته : وعام ثالث :

ماكان يكرثنا شقــاً قاّ لم يَعُدْ بالكارثِ

عاد بمعنى رَجعَ وصار فلا وجه من الصواب لقوله هنا : لم يَعُدْ :

وقال في قصيدته : سباق الشياطين :

قال اني أنا داءُ الأعليــاء أنا داءٌ لهمْ فيـــه الرّدى

لا يُجمع : عليّ : على أعلياء وجمعه المدوّن في كتب اللغة : عليّة : كصِبْيَة جمع صبي .

وقال في قصيدته : الى جار بحر الروم :

فاكتبْ على هـذا الزمان ذنوبَهُ إنا نُؤجّلُهُ الحسابَ الى الغَدِ

فعل أجّلَ يتعدى الى مفعول واحد وقد عدّاه الى مفعولين .

وقال في قصيدته : الخمر الآلهيّة :

عقودَ الدّراري أنْت والخمرُ أشْباهُ فَلّله ما أسْنى حُلاكِ وأحْلاهُ

ألحلي مؤنث وقد ذكر الضمير العائد اليها في قوله : وأحلاهُ : وهذا خطأ .

وقال فيها :

كأنّ حبوبَ الكرم بين سُلوكها كؤوسٌ من البلور قد صاغها الله

الحبوب جمع حَبّ بفتح الحاء وتستعمل للحنطة والشعير والذُّرة وما شابه ذلك ولم يقل الفصحاء حبوب عنب ولؤلؤ ومرجان وانما قالوا حبّات جمع حبّة.

وقال فيها :

كأني أرى بالعينِ ضِمْنَ قشوره سُلافةَ جامٍ سوف تَجْني حُمَيّاه

السُّلافة والحُمَيّا بمعنى واحد أي الخمر فهل يصح قوله : خمر جام سوف يجني خمره وأي معنى له ؟

وقال في قصيدته الربيع الحزين :

عَبِقَ الرَّبيع بناجم وبِاسق أهلاً ولا أهلاً بذاك العابق

عَبِقَ عَبَقًا وعَبَاقة وعَباقية فهو عَبِقٌ بكسر الباء أي مُضَمَّخ بالطيب فقوله : العابق خطأ .



وقال فيها :

وتمازجُ الزَّهْرَ البهيجَ خواطري وتُنافح العِطْرَ الأريجَ خلائقي

نافَحَ بمعنى كافَحَ ودافعَ ولا يأتي بمعنى نَفَحَ كما هو مراد الشاعر والأرَج والأريجُ والأريجة تَوهُّجُ ريح الطيب فلا يقال عِطْرٌ اريج بل عطر أرِجٌ لأن الفعل منه أرِجَ أرَجاً فهو كفَرِحَ فرَحاً فهو فَرِحٌ .

وقال في قصيدته : تَبَسّم :

وتبكي وأفراخُ الحَيَاة كثيرةٌ يُحاذِرْنَنَا مِنْ حَوْلنا كالطّوائر

الطير جمعه طيور وأطيار ولا يجمع على طوائر والطير جمع طائر وقد يكون مفردا

وقال فيها :

اذا شاركوني في هواكِ فمالهُمْ سُروري بما أصفيتهمْ وتباشُري

قوله : وتَباشُري : خطأ والشاعر يريد معنى البِشْر والاستبشار .

وقال فيها أيضا :

تبسَّمْ وقُلْ اني أنا الرّائش الذي أصابَ الأسى في حُسْنِه المُتَعاسر

التعاسر كالتعَسُّر والعَسَر والعَسير أي المشتدّ الملتوي ولا يقال حصن متعاسر بل حصن حصين ومنيع .

وقال في قصيدته : الى الشبّان :

والمجد كان ولا يزال غنيمةً للعاملين أواخرَ الأدهارِ

الدّهر جمعه دهور وأدهُر قيل ودهارير وجمع الجمع أداهير ويقال دهورٌ دهارير أي شديدة أو مختلفة .

وقال في قصيدته : الموسيقى :

أعيدي عليّ القولَ أُنصتْ وأستمعْ حديثاً لَهُ في نوطة القلب مَسْمَعُ

النوطة كلمة أعجمية وهي علامات للموسيقى والشاعر يريد نياط القلب وهو عرق غليظ نيط به القلب أي عُلّقَ به .

وقال في رثاء عامر ابراهيم :

وسلام ربّـــك عاطراً وسلام قومك مُجْمعانْ

العاطر المحبّ للعطر ولا يأتي بمعنى العَطِر أي ذي الرائحة العِطْريّة فلو قال : طيّباً : لأصاب .

وقال في معارضته لقصيدة ابن الرومي :

والشمس تضحك والآفاقُ صافيةٌ جَلْواءُ والرَّوْضُ بالأثمار قَيْنانُ

جاء في شرحه عن : قَيْنان : مثمر والقَيْنانُ لغةً موضع القيد من الابل

والخيل والمواشي ولم تنص كتب اللغة من غير هذا المعنى ولو قال : مُفْتَانٌ : من فعل افْتَانَ أي تَزيَّنَ وازْدانَ لصحّ له المعنى .

ولعله التَبَسَ عليه الأمر من قولهم : فَيْنَان : بالفاء أي ذو أفنان جمع فَنَن وهو الغصن أو من قولهم قِنْوان وقِنْيان جمع قِنو وقِنْي بكسر القاف وهو العِذْق بما فيه الرُطَب قال تعالى : « قِنْوانٌ دانيةٌ » أي قريبة المتناوَل .

وقال في قصيدته : الكروان :

اللَيْـــلُ يا كَرَوان والعَـالَمُ الغَفْلانُ

لقد مرّ الغَفلان خطأ والصواب : الغافل : فلو قال : السَهْوان : لأصاب.

وقال في قصيدته : يوم :

يا أبا الطيـــبِ لا تَهرِفْ ويا صاحبي الرُوميّ ماهذا الرَطانْ

قوله : الرطان : خطأ والصواب الرَطانة بفتح الراء وكسرها وهي الكلام بالأعجمية وتَراطَنوا تكلموا بها .

وقال في قصيدته : غزل فلسفي :

وإذا قَبَّلْتُهُ مستضحكـــاً في تُخوم الكَون والكونُ سِدام

قوله : سِدام : خطأ هنا والصواب : سديم : وهو ضباب رقيق أو عامّ لا يُجمع أمّا السِدام فجمع ماءٍ سَدَم وهو الماء المندفق .

وقال في أبيات :

ومَحَّضْته ماءَ الشَبابِ فما ارتَوى فهل في خَريف العُمْرِ يطمعُ أن يروى

شَدَّد الحاء في قوله : ومحضته : ليستقيم الوزن ولم يُسمع فعل محض بالتشديد أي مُضعّفاً وانمـــا يقال محضته بالتخفيف وأمحضته وكلاهما يتعدى الى مفعولين فلو قال : وأمْحَضْتُهُ : لأصاب وقد يحتج البعض باشباع فتحة الميم وهو مَعيب لأنه يُقرأ حينئذ : وماحضته .

وقال في قصيدته : على النيل :

والنّورُ في الدّنيا وانْ لم يُبْدِها ... حَسْبُ النّواظِرِ من شُهودٍ كافِ

فسّر الشّهود بالنظر ولايأتي بهذا المعنى وانما الشهود جمع شاهد للحاضر ولمن يؤدّي شهادته فقوله خطأ في شعره وتفسيره .

وقال فيها أيضا :

إيهاً أبا الأنهار فوقَكَ شادِنٌ ... يَشفي الّغليلَ وأنْتَ لَسْتَ بِشافِ

إيهاً بفتحتين أمر بالسكوت والشاعر يريد معنى الاستزادة والاستنطاق ويكون ببناء الهاء على الكسر أو بتنوين الكسر فلو قال : إيهِ : لأصاب .

وتكرر هذا الخطأ في القصيدة بقوله :

إيهاً أبا الأنهار ليس بنافعٍ ... خوفُ التّفرّقِ والحبيبُ مُوافِ

ومعنى البيت مضطرب .

وقال في قصيدته : نصيب النظر :

أتذكّرني الشمسُ في بُرْجِها ... أو الرّوْضُ في السّاحل العاطرِ

العاطر : المحب للعطر ولا يأتي بمعنى العَطِر بفتح العين وكسر الطاء أي ذي الرائحة العطرية .

وقال في قصيدته : ذكرى الأربعين لسعد زغلول :

وانْشُدوا استقلالكم في حَيْثُما ... يَنْشُدُ الذمّةَ مَمْطولُ الدُّيونْ

ادخال : في : على : حَيْثُما : خطأ وغير مستساغ بالسمع .

وقال فيها أيضاً :

قلْ لهم لاتجزنوا من فَقْدِه ... لَمْ يكُنْ أُنْساً لكُمْ ذاكَ الجبينْ

فسّره بقوله : أي قل لليائسين لاتجزعوا عليه فانما يجدر أن يجزع لفقده الذين أفادهم ايماناً لايساوره اليأس : والبيت مع التأويل ذمٌّ لامدح لأنه يأمر اليائسين بأن لايجزعوا عليه لأن جبينه لم يكن أنساً لهم وكيف لايكون سعد

أنساً لليائسين ؛ هذا من جهة المعنى ومن جهة اللغة يقال حزن عليه وحزن لفقده ولا يقال حزن منه أو من فقده .

وقال في قصيدته : على أطلال بعلبكّ :

أتاك من الوادي الذي في ضفافه ... تسامى لآمونَ البناءُ المُدَعَّمُ

قوله المدعّم بتشديد العين خطأ والصواب : المدعوم : من فعل دَعَمَ الثلاثيّ ولم يأت رباعيّاً .

وقال في قصيدته : اعتراف :

قُلْ للمليحة ما لها ... غضبى مُحَرِّمَتي الرُّقادْ

الصواب : مُحْرِمَتي : بتخفيف الراء من الحرمان وبه يختلّ الوزن وهذا الفعل يتعدّى إلى مفعولين أمّا قوله : محرّمتي بتشديد الراء فمن التحريم وهو لا يتعدى الا الى مفعول واحد وقد عدّاه الى مفعولين .

وقال في أبيات :

مُوجِساً من خيانة في ثنايا الـْ ... ـغيْبِ والغيبُ صارمُ الكِتْمانِ

الثّنايا جمع ثنيّة وهي السنّ في مُقدّم الفم والعقبة والجبل أو الطريق فيه . وقد تمثّل الحجّاج بن يوسف الثقفي في بدء خطبته المشهورة بالبيت الآتي :

أنا ابنُ جَلا وطلاّعُ الثّنايا ... متى أضَعِ العِمامةَ تعرفوني

والمقاد يريد معنى أثناء جمع ثِنْي وأثناء الشيء تضاعيفه ومطاويه وأثناء الوشاح ما انثنى منه فلو قال : حجاب الغيب : أوْ : خبايا : أو : مطاوي:لأصاب.

وقال في قصيدته : سنة جديدة :

أبا لأُلوف احتَسَبْتَها ... أمْ لمْ تزلْ تجمعُ المئينْ

يقال احتَسب بكذا أجراً عند الله أي اعتدّه ينوي بــه وجه الله واحتسب فلاناً اختبر ما عنده واحتسب عليه أنكر واحتسب انتهى . ولا يأتي بمعنى حَسَبَ وعدّ كما أراد الشاعر .

# قرر الثغر



كان الطفل الصغير قد بلغ مرحلة الهيجان عندما أحسّ الزوج بحركة خفيفة في جواره : ثم سمع صوت زوجته تهدهد الطفل في محاولة يائسة لحمله على النوم .. فقد أصر الطفل على أن يحصل على وجبة غذاء جديدة ، فتابع بكاءه .

وجد الزوج نفسه يتململ في فراشه ويخاطب زوجته بصوت متثاقل :

— اعطه صدرك يسكت .

رفعت الزوجة جذعها وضغطت بيدها ، متعبة ، على زر قريب من مكانها ، ففرش ضوء خافت شعاعه على جدران الغرفة ، وتراءى لها وجه الطفل . كان مايزال يصرخ طالباً وجبة غذاء جديدة !

قصة بقلم اسكندر لوقا

ورغم الدفء الذي كان كله يغمر جسد الزوج تحت الغطاء ، فقد طار النوم من أجفانه . ونشط تفكيره وراح يعمل بحدّة لم يعهدها من قبل إلا في حالات نادرة .

كان طفلاً ذات يوم . ماتت أمّه وهو في الخامسة من عمره . صرخ طويلاً يومئذ ، ولكن لم يستجب لصراخه أحـــد . وبعد تلك الحادثة بقي مشوقاً إلى الصدر الدافىء الذي افتقده إلى الأبد ولم يعثر على شبيهه إلا حين بلغ سن الزواج واقترن بالفتاة التي بادلته الحب .

التفت إلى زوجته :

ـ الجوع كافر

قالت الزوجة :

ـ حقاً .

ـ متى كان موعد آخر وجبة ؟

ـ قبل ساعة ونصف .

ـ يبدو انه لم يأخذ قسطه كاملاً وقتئذ .

ـ اعتقد ذلك ، فقد داهمه النوم قبل أن يشبـع .

تمنى الزوج لو أن تعود عقارب الساعة إلى الوراء ثلاثين عاماً . عندما كان في مثل سن ابنه الوحيد هذا ، كان الوجود كله يتمثل في الثدي الذي يطعمه والفراش الذي يحتضنه . انها لحظات جميلة ورائعة بلا شك تلك التي يخلو فيها رأس الانسان من هموم الحياة ومسؤولياتها .

ـ ولكن ، لماذا يتنفس الطفل بهذه الصعوبة ؟

قالت الزوجة مجيبة :

ـ انه يفعل كذلك عندما يسرع عادة في امتصاص الحليب .

— حذار من أن يشرق بريقه.

أجابت الزوجة باطمئنان :

— دواء ذلك بسيط . نفخة خفيفة في أنفه تعيد اليه انتظام تنفسه . كن هادىء البال .

كان الطفل عندئذ يمضي في تناول طعامه وقد وضع أحد يديه الدقيقتين على ثدي أمه كما لو كان يخشى فقدانه ، وكان بين وقت وآخر يضغط على الحلمة المتهيجة بفكيه العنيدين إلى درجة تحمل أمه على الصراخ :

— ابعد فمك .. انك تؤلمني !

وكان الطفل يستجيب لرغبتها بحركة لاشعورية ، ثم لايلبث أن يعيد الكرة ، وهكذا ..



ان أسعد لحظات الزوج كانت تلك اللحظات التي ينتقل فيها الى الماضي البعيد ، الى أيام طفولته مخلفاً وراءه واقعه المشوّش . يوم كان في مثل سن ابنه الوحيد هذا ، كان ينتمي الى أبوين فقيرين يعانيان من قلّة مواردهما . فقد كان ينافسه ثلاثة اخوة في تلك الأيام بينهم اخت . وكان هو أصغر الجميع .

ومع هذا تمنّى أكثر من مرة لو أن عقارب الساعة تعود الى الوراء ثلاثين عاماً ، الى سنّ لايعي فيها أي شيء . انه واثق من أن شقاء الانسان لا يأتي إلا بسبب تفتّح وعيه ، إلا بالمعرفة . كان يتناقش حول هذا الموضوع في بعض الأحيان مع أصدقائه فيقول لهم :

— السلاح الذي يوجهه الانسان الى نفسه دون أن يدري هو هذا الوعي ، هو البحث عن معرفة المزيد والمزيد ..

وعندما رفض أحد مستمعيه قوله كان يستشهد بحكايا عصره :

— كلما ارتفع الانسان في سلم الوعي والمعرفة ، انغمست روحه أكثر فاكثر في بحر الشقاء . ان رغبته في طلب المجهول واقتناص ابعاده تنقلب الى قيد يشدّه الى الأدنى ويكبّله في الحضيض .

— لماذا ؟

— لأن المعرفة لاتقدّم له الخلاص ، وفي النهاية يكتشف انه مايزال عند نقطة البدء .

تماماً كما هو الحال في لحظاته تلك . يريد أن يكتشف سر هذا الوجود ، سر هذا المخلوق الصغير الذي يتكوّر على نفسه داخل الأقمطة ممسكا بثديي أمه كالعلقة الشرهة المتشبّثة بالبشرة المشبعة بالدم ، سر آلية التطور البشري ونمو المخلوقات : الميلاد . الطفولة . الشباب . الشيخوخة . ثم النهاية القذرة ، الموت .

كيف ؟ ولماذا ؟ والى أين ؟



أسئلة أزلية تنصب على رأسه ، على جدران رأسه المتعب كالمطارق الثقيلة .

ودار في ذهن الزوج شريط سريع مزدحم بآلاف آلاف المشاهد بدءاً من أحقر حشرة رآها تدبّ على سطح الأرض بحثاً عن طعامها ، الى أضخم حيوان رآه يدوس تلك الحشرات باقدامه دون أن يحس بوجودها . بدءاً من الحفرة الصغيرة الى قمة افرست في جبال الهمالايا . بدءاً من الطابة الى القمرة المدهشة التي اقتحمت المجالات المجهولة في الفضاء لاهثة وراء المجد . ثم توقف الشريط واستقرت عيناه على الطفل . انه البداية ، البداية لكل شيء جديدسيأتي. ومن يدري ؟ ربما صار واحداً من هؤلاء المغامرين الذين سينتهون يوماً ما وفي حلوقهم غصّة الجهل والندم !

وراح الطفل يتمطط استعدادا للتجشؤ والنوم . وربتت أمه على صدره تساعده على ذلك :

— صحة وعافية .

اذن انتهى كل شيء . فقد نال الطفل ما يريد وعاد الى دنياه السديمية .

وأحس الزوج براحة بالغة عندما أكدت له زوجته أن الطفل قد نال قسطة من الطعام كاملاً هذه المرة ، وانه ربما واصل النوم حتى شروق الشمس :

— ان هذا الأمر يفسح لكلينا وقتاً كافياً للنوم والراحة .

قال لها :

— إن أسعد لحظات الانسان هي بلا شك ساعات النوم لأنه ينسى خلالها كل ما هو حوله . وأجمل ما فيها انها تنسيه ، على الأقل ، وجوده .

لم تبد الزوجة المرهقة أي استعداد للدخول معه في جولة مناقشة . قالت مازحة :

— اذن دعني أعيش لحظاتي السعيدة تلك !

واغمضت جفونها .

أما الزوج ، فقد بقي يفكر ويفكر : وعندما يستيقظ الانسان من نومه ، تكون الخطى المقبلة قد تحددت معالمها . تكون قد رسمت في لوح القدر . إننا ، على أية حال ، لانستطيع أن نحيد عما هو مقدر لنا قيد شعرة ومع هذا نحاول المستحيل لصنع مصائرنا بأيدينا .

وندت من شفتيه همهمة مسموعة : هراء !!

— ألم تنم بعد ؟

قال :

— لقد طار النوم من أجفاني .

— بماذا تفكر ؟

— بأمور كبيرة صغيرة معاً !!

— انك لا تكف عن التفكير حتى لكأنك تريد ترتيب العالم من جديد .

— لست بقادر على التخلص من عبوديتي للفكر . ماذا أفعل ؟

— ولكن الساعة غير مواتية ، فما دام الطفل نائماً دعنا ننتهز الفرصة كي نريح أعصابنا بعض الوقت .

قال :

— حاولي أنت إن كنت قادرة .

وخطر له ان يتطلع الى وجه الطفل النائم ، فوجده كصفحة ماء هادئة ينعكس صفاؤها على السطح . استطاع ان يغوص بنظراته حتى الاعماق ، حتى الاعماق السحيقة . حاول ان يستشف الرواسب التي تؤلف هذه الاعماق ، فلم يجد ادنى صعوبة في تصور ابعادها : عصور ركب بعضها فوق بعض . حضارات اندثرت كالدخان . حروب قتلت ملايين ملايين الناس . اراض شاسعة لا حدود لها ابتلعتها مياه البحر . معالم كانت شامخة مزهوة ذات يوم فلم يعد لها اي اثر . ثم ، وبكل بساطة ، نطفة صغيرة دقيقة عجيبة في تكوينها ، تختصر كل هذه الرواسب في ساعة لذة عابرة ، لتقذف بنفسها في خضم هذه الحياة مخلوقاً بشرياً ، دون ان تتمتع باية ارادة .

كان الطفل نائماً .

كانت الامور واضحة امام عينيه كمعالم الغرفة المتناثرة هنا وهنـــاك على

فراش الضوء البرتقالي الخافت . الا انها لم تكن تتدفق الى ذهنه بالترتيب ، فوجد نفسه متعباً حتى اليأس .

ـــ الم تنم بعد ؟

ـــ احاول ولكنني لا اتمكن .

قالت الزوجة :

ـــ حاول من جديد .

ـــ سافعل ، من اجلك .

ثم استدرك متسائلا وهو يتفرس في وجهها :

كنت اعتقد انك نائمة .

قالت :

ـــ ليتني استطيع النوم .

ـــ ماذا بك ؟

ـــ لاشيء .



خيل اليه ان عدوى التفكير قد انتقلت منه اليها . قال :

ـــ بماذا تفكرين ؟

بعد فترة صمت وتردد قالت :

ـــ بهذه الحياة .

ـــ ماشأنها ؟

قالت :

ـــ انني لاافهمها . احيانا يعذبني ذلك .

ـــ هذا افضل لك ، عندما تفهمين الحياة تتعذبين دائماً .

وغمرها صمت ثقيل .

كانت انفاس الطفل مسموعة ، هادئة ، منتظمة .

كل ماهو حوله يوحي بالنوم ، الا انه لايقدر . فكره يعمل بشدة لم يعهدها من قبل الا في حالات نادرة : تراه يختلف حقا عن زوجته ، تلك التي تبذل جهدها عبثا لفهم الحياة ؟ ام تراه يختلف حقا عن الطفل ، ذاك الذي لا يدري بعد شيئا على الاطلاق .

وسمعته زوجته يردد:

ـ هراء ، هراء . نأتي ونذهب ، ثم نأتي من جديد ونذهب أيضاً . أحياناً نفهم القليل ، ولكننا دائماً لانستطيع أن نقرر شيئاً ! ومع هذا كله نحب العيش !

واغمض عينيه في محاولة جادة للنوم وهو يتهجّى عبارة « قدرنا » مرة كما تكتب ومرة أخرى بالعكس : ا ، ن ، ر ، د ، ق !!





## عدد «المعرفة» الممتاز

### عن المسرح

يسر تحرير المعرفة ان يعلم اصدقاء المجلة وقراءها أن العدد الخاص عن المسرح ، سيصدر في أول كانون الأول — ديسمبر — ١٩٦٤ عدد صفحات العدد الخاص ٤٠٠ صفحة الثمن — ١٥٠ قرشاً .

يرجى من المكتبات العربية ومراكز التوزيع ان تراسل الادارة لحجز نسخها .

## الكتاب والموضوعات

- الفن والانسان في الدولة الاشتراكية

غازي الخالدي

- مناقشة حول :

« ليس على المطرب أن يطرب ؟!. »

منير العمادي

# الفن والانسان
# في الدولة الاشتراكية

بقلم غازي الخالدي (*)

اعتاد نقاد الفن في حديثهم عن التاريخ ان يركزوا على الفن في أوروبا على اعتبار أن عصر النهضة بدأ في ايطاليا، وهي في مكان القلب للقارة الاوربية.



وعصر النهضة هو نقطة البداية التي بني على أساسها تاريخ الفن الحديث، ومن ثم قيمت جميع الاعمال الفنية التي جاءت بعد ذلك بالنسبة للفن الذي ظهر هناك، وبدأت تحدد بعض الملامح الاساسية لتعاليم واسس خاصة بذلك النوع من الفن واصبحت كقاعدة من خلالها تقاس الاعمال الفنية في العالم، ولعل هذا من الاسباب التي تجعل أسماء ليوناردو وميكل أنجلو ورفائيل مشهورة تتردد على كل لسان وشفة في أي مكان في العالم.

---

(*) « عقب زيارة كاتب المقال الى أوروبا كتب عن الفن والانسان في ظل النظام الاشتراكي في الدول الشرقية، بقصد الاطلاع والافادة من تجارب وخبرات الآخرين.

ومما لاشك فيه أن عصر النهضة في ايطاليا رافقه تطور علمي وفكري كان له الاثر الكبير في تطوير مفاهيم فنية عديدة ، وان اعطاء الاهمية الاولى لعصر النهضة وما قدمه للحضارة الانسانية جعلت أنظار العالم تتجه الى البلاد التي ترعرع فيها عصر النهضة ، والبلاد التي تأثرت به .

وكان من الطبيعي بعد هذا كله أن تستبعد البلاد النائية التي كانت تعيش حضارة خاصة قائمة بذاتها ، ولولا الاختلاط الذي حصل بعد عصر النهضة بين الشرق والغرب وخاصة في القرن الثامن عشر والتاسع عشر لما عرفنا شيئا عن ( هوكوساي ) في اليابان ، و ( جاميني روي ) في الهند و ( ريفيرا ) في المكسيك .. وغيرهم كثيرون .

## « كنيسة بويانا »

ولكن شيئاً هاماً اكتشف في بلغاريا اثر كثيرا على نقطة البداية بالنسبة لتاريخ الفن ، هذا الاكتشاف هو كنيسة ( بويانا ) .

وبلغاريا تعتبر كنيسة « بويانا » هي البداية الحقيقية لعصر النهضة !

كنيسة صغيرة متواضعة بثلاث حجرات متداخلة ، مغطـاة من الداخل بالفرسك القديم بأسلوبين : اسلوب قديم رسم في القرن الحادي عشر ، واسلوب احدث رسم في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، وكلا الاسلوبين يضمان موضوعا واحداً وصوراً واحدة هي « حياة السيد المسيح وقصص القديسين » ويلاحظ ببساطة الفرق بين الاسلوبين حيث لايزال الاسلوب الاول واضحاً على الجدار ، والاسلوب الثـاني بالوان اكثر اشراقا يبرز عنه مسافة سنتمتر واحد ، وهو يغطي الذي تحته .

واهم ماتتاز به هذه الكنيسة والتي صارت بسبب ذلك حديث النقاد في العالم الامور والملاحظات التالية :

أولا : ان جميع الوجوه المرسومة تحمل تعبيرات خاصة لم تعرف قبل ذلك ، مع اهتمام خاص بالظل والنور والتشريح ، واعطاء كل وجه طابعه الخاص .

ثانياً : اشراك الايدي والاصابع وحركات الجسم لخدمة التعبير المقصود في القصص الدينية .

ثالثاً : لاول مرة يرى السيد المسيح في الثـاني عشر من عمره يتلفت بحركة رشيقة وكأنه يتحدث .

رابعاً : ان اللون الاحمر الصريح الذي استعمل في تلوين الملابس .. لم يكن مستعملا قبل ذلك .. ومعالجة ثنيات الاقمشة وطرازها الفني فيها الكثير من الشفافية والرشاقة .

خامساً : وجود البعد ، والمنظور على شكل بدائي من الناحية المعمارية .

سادساً : تصفيف الشعر ، والزخارف المستعملة لاملاء الفراغات ، والوحدات النباتيـة المنوعة موزعة في كل مكان في الكنيسة .

سابعاً : الحركة في الأشخاص ، ووقوع بعضهم في المنظور .

ان كل هذه الملاحظات لاكبر دليل على اهمية هذه الكنيسة لكونها بنيت في القرن الحادي عشر ثم جددت في القرنين الثاني والثالث عشر ، وخاصة انها سبقت عصر النهضة وامتازت بتلك الامتيازات الفريدة من نوعها .

ومع ظهور الحركات الثورية الاشتراكية في القارة الاسيوية ظهرت حضارة جديدة تتسم بطابع اشتراكي خاص لها أبعاد وملامح تختلف كل الاختلاف عن الحضارة الغربية ، حتى أن المفاهيم اختلفت ، ففي الفن التشكيلي مثلا نجد أن كلمة الجمال تختلف اختلافا واضحا بين الفن في باريس والفن في موسكو ، فبينما يرى الفرنسيون مفهوم الجمال في قيمة اللون المجرد وعلاقته بالمقارنة مع اللون الذي يجاوره يرى الفنانون السوفيت أن الجمال في ابراز الملامح الحضارية والبطولية للانسان السوفييتي في نضاله ومدى مطابقته للواقع .

ومن هنا اتسم الفن الاشتراكي بطابع خاص يميل الى المفهوم المسرحي في عرض الافكار البطولية التي تتحدث باستمرار عن الثورة والثوار والنضال ، مركزين على العامل والفلاح في أوضاع بطولية ومواقف درامية مسرحية ، وهذا من الاسباب الهامة التي جعلت فنون البلاد الاشتراكية متشابهة الى حد بعيد من حيث الشكل والمضمون .

واذا اراد الفنان أن يبرز اسلوبه الخاص وطابعه الشخصي في الفن فانه يبقى في حدود الواقعية الاشتراكية التي نراها عند كبار الفنانين السوفيت والبلغار ، فالاصالة الفردية لايمكن أن تضيع رغم وحدة الهدف وتشابه المضمون .

والآن وفي هـــذه السنين بالذات بدأت بوادر جديدة تظهر في افق الفن في بعض البلدان الاشتراكية متحررة بعض الشيء من المفهوم الواقعي الفتوغرافي الاكاديمي ، ومتجهة نحو فن تعبيري انساني جمالي في حدود المفهوم الواقعي المضمون لا الشكل ، المفهوم الجوهري للخامة التي يعالجها الفنان ، وبدأ بعض الفنانين المجددين محاولات واضحة في تحطيم الفورم أي الشكل وبناء أشكال جديدة ذات مبالغات معقولة وطابع انساني عام ، وصار الملمس السطحي ، واللون والبعد الثالث ، والفراغ والعلاقات الخطية والمساحات اهمية واضحة .

نذكر من هذه البلاد ( بلغاريا ) ، اذ نرى بوادر فن حديث بدأ يظهر في اعمال فنانيها سواء في الفن التشكيلي أو التطبيقي ..

ومن خلال زيارتي الاخيرة الى تلك البلاد واطلاعي على الفنون بشكل واسع في اكثر المدن البلغارية ، وجدت أن بلغاريا هي اقرب البلاد الاشتراكية الى الحضارة العالمية من الناحية الفنية ،

ورغم ان الفن البلغاري لايزال يحافظ على المفهوم الواقعي في تحليل الاشكال الا أنه واقع متطور حديث .

والموضوع كما قلنا ذو شقين الفنون التشكيلية والفنون التطبيقية ، ونعني بالتشكيلية التصوير الزيتي والنحت ، والفنون التطبيقية : السيراميك ، الزجاج ، الطباعة على الاقمشة،الضغط على الجلد ، الضغط على النحاس ، الحرق على الخشب ، الديكور ، النسيج ، نحت الخشب،قوالب الآلات الميكانيكية والصناعية ، الفسيفساء من احجار رخامية ومرمرية ، الزجاج الملون المعشق بالرصاص ، أعمال التزيينات الداخلية بالحديد .

## الفنون التشكيلية :

ان الفن التشكيلي في بلغاريا وفي جميع البلاد الاشتراكية يعتمد اولا على الانسان في اكثر الموضوعات التي يطرحها الفنان ، الانسان العامل ، الانسان الفلاح ، الانسان هو العنصر الاساسي في التكوين الفني لاي عمل في الفن التشكيلي سواء في النحت او التصوير ، بينما نجد ان النبات والحيوان والطبيعة هي عناصر أساسية في التكوينات الفنية في أعمال التصوير والنحت والحفر لفناني الصين واليابان ، وعكس ذلك في فن الغرب حيث نجد اللون والخط والمساحة المجردة من أي شكل أو معنى أو هدف هي بمجموعها عناصر التكوين في العمل الفني عندهم .

وكون الانسان هو العنصر الاساسي للعمل الفني سواء من حيث الفكرة او من حيث التكوين في الفن البلغاري ، يكسب هذا الفن طابعاً حضارياً خاصاً يعبر عن البيئة وينقل أدق صورة للشخصية البلغارية الشعبية ، ويصور المواطن البلغاري ويعرف به العالم .

هذه نقطة هامة جداً يجب الانتباه اليها عند مقارنة الفن الشرقي بالفن الغربي ، لأن لها الاثر الكبير على الاسلوب والشكل وهو الذي يميز طابع الفن البلغاري عن غيره .

ومن الملاحظ في الفن التشكيلي البلغاري الحديث أن النحت متطور عن التصوير ، وأن أساليب النحت الحديث تتصف بالرشاقة والمبالغة المعقولة ، والتكوينات الجديدة ذات الطابع المبسط الذي يستبعد التفاصيل الكثيرة حيث تؤثر على تماسك الكتلة ووحدتها وقوتها .

ان انشغال الفنان التشكيلي البلغاري في البحث عن الموضوع ، والتركيز على حياة العمال والفلاحين والجنود بشكل مستمر جعله ينصرف بعض الشيء عن القيم التشكيلية البحته الى أفكار ومضامين شعبية او تاريخية او قومية ، ولكن رغم ذلك نجد بعض الاعمال الفنية من نحت وتصوير قد تجاوزت كل ذلك ووصلت الى مستوى رفيع من القوة والتماسك ووحدة الجو اللوني .

والشيء الملاحظ أيضاً ان الانسان الفرد باسلوبه الخاص يبدو واضحاً وراء كل عمل فني على حده ، ولكل فنان طابعه الخاص به ، وهذا يعني ان حرية التجربة الشخصية والطابع الفردي للفنان موجودة في كل عمل فني رأيته رغم تشابه المواضيع التي يعالجها الفنان البلغاري .

والان سأستعرض بعض الاسماء التي التقيت بها وتعرفت على انتاج اصحابها كنماذج لدراسة الفن التشكيلي في الدولة الاشتراكية .

بالنسبة للتصوير هناك عدة اساليب ، نوع يميل الى التبسيط الزخرفي ، والمساحات العريضة ، واللون المشرق غير المركب يتناسب مع بساطة خلقية أهل الريف وصفائهم ، ويسيطر في هذه الحال اللون الواحد ومشتقاته على اللوحـــة ، واللوحة بكاملها معبأة بالوحدات الزخرفية النباتية الى جانب الموضوع الاصلي ، فتراها وكأنها نسيج متكامل من التفاح أو الازهار بين مجموعة من الوجوه الريفية البلغارية الاصيلة ، مع شفافية خاصة باستعمال الالوان حيث تبدو وكأن لونا واحدا يسيطر على اللوحة .



« عرس » بريشة فلاديمير ديمتروف

المقصود من هذا الكلام فلاديمير ديمتروف ( ١٨٨٧ ـ ١٩٦٠ ) حيث نجد له عدة لوحات في المتحف في صوفيا، وهي بارزة تماماً بين مجموعة هائلة من الاعمال الفنية حيث نرى شخصية الفنان واضحة من اللون الاخضر المشرب بالاحمر يسيطر على كل اجزاء اللوحة وطابعه يختلف عن جميع الفنانين البلغار وألصقهم بالطبقة الشعبية في الريف ومن أهم أعماله ( عرس ـ صور عائلية . )

هذا الفنان منح لقب رسام الشعب وحاز على جائزة جورج ديمتروف وهي أرفع جائزة تمنح لفنان في بلغاريا .

## ديتشكو اوزونسنوف

وهو استاذ كبير من المصورين البلغار الذين لهم تراث طويل من الفن واسلوبه انطباعي ذو ألوان شفافة ولمساته عريضة وجريئة ، ويستعملها بمهارة فائقة وبحركة سريعة بحيث تشعر بالثقة التامة في الريشة واللمسة التي تقع على اللوحة ، واللون عنده مشبع ذو قيمـة هارمونية ، وله لوحات

بنائية كثيرة ذات طابع شاعري شفاف وبالنسبة للظل والنور والفورم يشبه اسلوب الانطباعيين في فرنسا مثل مانيه، ومن أشهر اعماله لوحته ( فنان الشعب كريستو سارافوف في دور فاليستاف ) رسمها عام ١٩٣٢ .



فنان الشعب بريشة البروفيسور ديتشكو اوزونوف

## زلاتيو بوبيجيف

قبل ان انتقل الى النحت والحديث عنه أحب أن أذكر هنا ان زيارتي لبعض الفنانين في مراسمهم وحديثي معهم أعطتني الصور الواضحة الحقيقية عن حياة الفنان البلغاري وعن طريقة ممارسته الانتاج الفني بشكل عام ، وأخذت عدة انطباعات مباشرة عن سلوكهم الشخصي وغمط حياتهم في الجو الذي يعيشون فيه حيث الحياة الخاصة المرفهة ذات الحرية الكاملة .



الفنان بريشته : زلاتيو بوبيجيف ( قبل شلله )

في بيوت منعزلة في أجمل بقعة من بلغاريا يعتكف الفنان البلغاري متفرغا للانتاج الفني فقط، وكل من حوله يهيىء له الجو المناسب للانتاج، ويعتبرونه شيئا غير عادي ذا طاقة خلاقة يجب احترامها وحمايتها،

زرت وأنا في طريقي الى مدينة ترنوفا في الشمال الشرقي من صوفيا ، أجمل مدن بلغاريا التاريخية ذات الطابع الخاص ، زرت في بلوفديف الفنان الكبير زلاتيو بوبيجيف .

رجل في حدود السبعين ، على وجهه ابتسامة الطفل البريء الطيب ، يتكلم بعينيه وابتسامته فقط ... لانه مشلول ... ويرسم بيده اليسرى بعد ان اصيبت اليمنى منذ اربعة عشر عاما ، انه

لا يكاد يستطيع ان يكتب اسمه ، ولكنه يقف كالجبل صامدا مبتسما ويرسم ليل نهار .

واروع مافي حياة هذا الفنان العظيم انه ذو أسلوبين . الاول قبل شلله والثاني بعده .

أما الاسلوب الاول فهو يشبه الى حد كبير مدرسة الفنانين : بروغل وبوش ذات الطابع الاكاديمي الدقيق ، حيث يركز على مناطق صغيرة في اللوحة ويعطي التفاصيل حتى للاشياء البعيدة والواقعة في المنظور الهندسي .

أما اسلوبه الجديد بيده اليسرى فكله ثورة وحركة وحيوية واللمسة لاتكاد تستقر على اللوحة الا وتتبعها لمسة أخرى ... واخرى وهذا الاسلوب يختلف كل الاختلاف عن اسلوبه الاول المتسم الواقعي الفوتوغرافي الدقيق ، واسلوبه الجديد يشبه الى حد ما اسلوب الفنان الثائر فان جوخ ، وعلى طريقته في اصراره في وضع اللون الى جانب اللون الاخر بجرأة ووضوح .

ومن حسن الحظ ان اطلعت على اعماله قبل شلله .. وقارنت بين الاسلوبين .. ولاحظت الفارق الكبير بين المرحلتين .



ابقار لوحة للفنان زلاتيو بويجيف ( بعد الشلل )

آخر لوحة بين يديه « عيد الاطفال » .. رقص ودبكة وغناء .. وتسلق على شجرة ضخمة .. رسم دراسات بالقلم الرصاص عنها من الطبيعة ثم دخل المرسم لينفذ فكرته عن عيد الاطفال .. والفكرة مستوحاة من قصيدة شعرية يعتز بها الشعب البلغاري .

تكوينه مترابط بالشكل واللون ، ألوانه حارة ، لمساته السائية فيها رعشة خاصة .. رعشة اليد اليسرى ، وافكاره كلها انسانية .. وخطوطه رغم شلله .. ثابتة وتحمل حيوية الخطاط وجوده .

زار هذا الفنان رغم عجزه باريس ورسمها من عدة امكنة ، ورسم نفسه مع بعض الزملاء

هنـاك ، وله لوحة مستوحاة من قصة فكتور هوغو عن مجزرة الثورة الفرنسية حيث الاعـدام بالجملة .. واللوحة موجودة في مرسمهاشار اليها بعينيه وقطب حاجبيه كأنه يقول : انظر الى قسوة الانسان .. لاخيه الانسان ! لوحة مرعبة . .

## يوني ليفيف

وفي بلوفديف نفسها .. تعرفت الى الفنان الشاب يوني ليفيف .. وتحدثت اليه طويلا عن الفن .. وفي مرسمه اطلعت على مجموعة كبيرة من اعماله اهمهـا « العامل » و « السوق » و « الزهرة البيضاء » ، وهو مصورممتاز يميل الى التكتيل البشري في لوحاته ، وله طابع زخرفي خاص في استعمال الالوان.. ويحرص بشدة على الفوورم مع فهم واضح للتشريح وله خبرة جيدة في ربط اجزاء الوحدات في التكوين في اللوحة ... وألوانه يضعها بجرأة وصراحة . .

واهم الالوان « الاحمر القـــرمليون » ، و « الازرق البروسيان » . . الى جانب « الاخضر الفيروزي » .. ويحددالاشكال بخطوط سوداءقاسية .

## نيكولا كوجوخاروف

في ترنوفا .. اجمل المدن البلغارية على الاطلاق وفي قمة من تلال المدينة .. في بناء حديث يطل على اجمل منظر في ترنوفا . . تقـــع اكاديمية الفنون الجميلة .. هناك .. اجتمعنا بالفنان نيكولا كوجوخاروف رئيس قسم التصوير الزيتي في الكلية ..وأ كثر لوحاته تتحدث عن نضال المواطنين البلغار ، وله دراسات كثيرة عن تسجيل الازياء الشعبية في كافة انحاء بلغاريا .. وآخر لوحـة كان يرسمها امامنا لوحة تمثل نضال الشعب البلغاري السري ضد الفاشية ، وهو متحمس للواقعية المدرسية ولا يؤمن بالتحرر من الشكل أوما يسمى بالفن التجريدي الحديث .

## سفتلـين روسيف

عدنا الى صوفيا .. الى متحف الفن فيها .. حيث قابلنا اعمـــال الفنان الشاب سفتلين روسيف ، حيث يحتل مكاناً بارزاً في المتحف الوطني في صوفيا .. واروع لوحاته وهي المحفوظة في المتحف لوحة « السجناء » حيث وضع مجموعة من البشر على أرضية حمراء قانية ، واهتم بالمنظور القصير الذي كنا قد عرفنا صعوبته في لوحة الحساب الاخير لميكل انجلو في ايطاليا .. وهو يبسط قليلا في تحليل الفورم من الناحية التشريحية .. الا انه يعطيه الاهمية الاولى من حيث التكتيل وير كز على التشريح بشكل واضح .. ويؤكد كل ذلك بالظل والنور وباستعمال اسلوب « التضاد » بين الغامق والفاتح .



الحزن للفنان ايفان لازاروف

اما بالنسبة للنحت ، فلا شك ان اسم الفنان ايفان لازاروف هو في القمة بالنسبة للنحت البلغاري المعاصر .. عاش من ( ١٨٨٩ - ١٩٥٦ ) يمتاز بالكتلة المتماسكة ، ينحت بالحجر والمرمر او الرخام . ويحلل الشكل تحليلا حديثا فيه فهم عميق للكتلة في دراسة واسعة للحركة ..

ويستعمل اسلوب التسطيح ، والزوايا دون ان يفقد الشكل حيويته ومعناه .. وجميع اعماله مستوحاة من حياة الشعب البلغاري البسيط الطيب ، ومن قصص البطولة عند هذا الشعب ، وهو بحق استطاع ان يطوع خامة الحجر والمرمر والرخام ويكسبها احساس الحياة والحركة والفكر الانساني العميق .

من اهم اعماله المحفوظة في المتحف في صوفيا : « الأم التي تنتظر عودة ابنها » ، « الارامل » ، « النائحات » وهي تشبه الى حد ما النائحات في مقابر الملوك في الاقصر في مصر من الفن الفرعوني القديم . ومجموعة من البورتريه وله « الخادمة » و « العامل » .. وكلها من الاعمال التي تعبر بصدق عن قطاع من حياة الشعب هناك .

## بيتر كامينوف والبرونز ..

وفي مكان يشبه الريف .. يبعد بعض الكيلومترات عن صوفيا .. زرت معملين للبرونز .. بادارة الفنان المثال بيتر كامينوف .

المعمل يحوي عدة افران للبرونز .. وتماثيل كثيرة موزعة في باحة المعمل الكبير .. منها انتهى ومنها في طريقه الى الصب . ومنها لايزال من الجبس .. واطلعت على الطريقة التفصيلية لعملية الصب .

واكثر الفنانين الذين يتعاطون النحت تراهم يترددون الى هـذا المعمل ليصبوا تماثيلهم الجبسية بالبرونز .. ومن الواضح جداً ان التبسيط والميل نحو الغاء التفاصيل ، ومحاولة المبالغة في الفورم ، واعطاء النحت الطابع التعبيري الانساني .. هو الاسلوب الجديد في النحت البلغاري .

والنحت عندهم ليس الزينة او الزخرفة ، انما هو ضرورة لبث الحماس في المواطنين وتذكيرهم بدورهم الهام في الحياة ، فامام المعمل لابد من وجود تمثال لعامل نشيط من البرونز في الحديقة ، وامام الحقول الزراعية لابد من وجود تمثال لسيدة وابنتها في حركة رشيقة من الحيوية والنشاط في وضع زراعي مألوف .

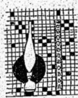
وامام الملعب الرياضي كذلك تجد تماثيل للالعاب واللاعبين .. وفي حدائق الحيوان تجد تماثيل متنوعة للحيوانات .

ومن اهم المثالين في صوفيا الفنان الواقعي تيودوروف الذي اتيح لي زيارة الاتيليه الخاص به في مكان جميل وبعيد عن زحمة المدينة الصناعية .. في «فيللا» خاصة حيث يصمم بعض التماثيل عن حياة الريف في سورية ، لانه استاذ النحت المنتدب في كلية الفنون الجميلة في دمشق .. وقد قام باعمال فنية كثيرة مشهورة في بلغاريا .. منها « تمثال البطل » وريليف « النحت البارز » لكورنيش الاوبرا في صوفيا .. ونصب تذكارية هامة تصممها المهندسة المعمارية زوجته ، وهو يصمم التماثيل بداخلها .

ومن الجدير بالذكر ان الفنان تيودوروف هو تلميذ مخلص للفنان الكبير ايفان لازاروف .

تلك كانت وقفة شاملة عامة عند الفنون التشكيلية من خلال النظام الاشتراكي ، وعرفنا الى اي مدى تفسر الحرية الفردية للفنان الاشتراكي في ممارسته لعمله الفني .. وبالتالي اطلعنا على بعض النماذج من حياة الفنانين الخاصة .. في مراسمهم ومعاملهم . واثر هذا النظام على الفن كمستوى وكانتاج بالنسبة للحضارة العالمية وخاصة بمقارنته مع الفن في الغرب .

ولعل اهم ميزة للنظام الاشتراكي بالنسبة للفن هو هذه المكانة التي يحتلها الفنان عند الدولة وتكريمها له وتقديم كل المساعدة له لينتج باستمرار .. وانتاج الفنان على مستوى جيد هو انتصار للدولة ومكسب كبير لها .. لان الفنان هبة للامة يجب رعايتها وحمايتها ، وهو الوجه الحضاري الذي يمثلها امام حضارات العالم الاخرى .



مناقشة حول

# «ليس على المطرب أن يعرب!!»

بقلم: منير العمادي



سُئل ابن مُحرز عن قول الناس ، فلان يصيب وفلان يخطيء ، وفلان يُحسن وفلان يُسيء ، فقال المصيب من المغنين هو الذي يشبع الألحان ويملأ الأنفاس ، ويعدل الأوزان ويفخم الألفاظ ، ويعرف الصواب ، ويقيم الأعراب ، ويستوفي النغم الطوال ، ويحسن مقاطع النغم القصار ، ويصيب أجناس الايقاع ، ويختلس مواقع النبرات ، ويستوفي ما يشاكلها في الضرب من النقرات .

نعرض ما قال على معبد ، فقال : لو جاء في الغناء قرآن لما جاء الا هكذا .

لقد اخترت لموضوعي هذه الكلمات ، مقدمة ، فانها جمعت فأوعت لما يمكن أن نسميه منهجاً واجب الأتباع في ضبط الغناء وحق السماع .

. . .

اذا تجاوز أحد ما فخرج على ما تواضع عليه المجتمع من المألوف في عاداته وتقاليده فانا نرى القوم في المقيم المقعد من السخط ، يقيمون عليه النكير من النقد واللوم ، فلا يرأف به المجتمع ولا يشفق عليه أحد ، ونرى من جهة مقابلة ، القوانين ، وقد كفلت رعاية الحقوق العامة والآداب العامة فلا يتجاوز أحد عليها ولايخالفها ، والا فالعقوبة تحل به زاجرة ناهية رادعة . بينا نرى المجتمع ، أي مجتمع ، يتغابى فيسلك جدد التسامح مع الخارجين على « الذوق العـــام » الذي يجب كذلك ان يصان ويكون له حق الرعاية والحماية ، مثله مثل الحقوق العامة ، والآداب العامة بسواء بسواء .

. . .

ولقد لبثت مـــدة أتأمل بمن يكون أول من قال « ليس على المطرب أن يعرب » فأطلق هذه الحماقة التي اتخذها الناس من بعده موئلاً ومستراداً يفزع اليها كل شاذ وغبي ، وجعلت مثلاً حكماً ليس فقط لمن يخطىء من المغنين والمطربين ، بل تعدى ذلك لمعذرة كل مقصر بشأن من شؤون الحياة ، فلم استطع الى ذلك سبيلاً مرشداً ، واحسب ان سبب هذه « الجناية » على الذوق العام ، هو ان أحد المفتونين بقينة جميلة ، او بغني وضيء اخطأ بغنائه وادائه فأساء الى قواعد الاعراب ، والى الذوق العام ، وافسد اللحن على اهل مجلس الطرب، طربهم ومتعتهم فضجروا ، وقامت بينهم مظاهرة صامتة ، فجعلوا يتغامزون ويشيرون، فانبرى من بينهم ذلك المفتون وقطع تشغيبهم بقوله « **ليس على المطرب ان يعرب** » وذهبت من ثم مثلاً سائراً توارثه الابناء عن الآباء والجدود .

. . .

ما أعلم أني بمطالعاتي الطويلة ، ولاسيما في الاغاني ، وقفت على حدوث شيء وقـــع في مجالس احد الخلفاء او غيرهم ، على كثرتها ، وعلى شدة ولعهم بالغناء والطرب ، من هـــذا القبيل ، فلقد كان من المغنين من هو شاعر امثال اسحاق الموصلي (١) وابيه ابراهيم والعباس

---

(١) . قال حميد الطوسي : كنت حاضراً دهليز المأمون فدعا بالناس لقبض ارزاقهم فكان اول من دخل اسحاق الموصلي مع الوزراء ثم دعا بالقواد فكان اول من دخـــل اسحاق الموصلي ثم دعا بالقضاة فكان اول من دخل اسحاق ، ثم دعا بالفقهاء والمعدلين فكان اول من دخل هو ، ثم دعا بالشعراء فكان اول من دخل هو ، ثم دعا بالمغنين فكان اول من دخـــل هو ، ثم دعا بالرماة في الهدف فكان اول من دخل هو ، فعجبت من كثرة علمه وفنونـــه ، أمالي ٣/٨٩ .

الربيعي وغيرهم ونبدأ بعهد طويس وجميلة ومعبد وعزة الميلاء ونتني بعهد صفي الدين عبد المؤمن الأرموي الشاعر العالم الموسيقي ، فانهم كانوا فقهاء بالعربية والغناء يتقيدون بقواعد الاعراب (١) ومستلزمات العروض ، حتى ان احدهم يتجنب الانشاد بشعر فيه إقواء ، فان زلة واحدة تصدر من احدهم كانت تشينه وتبقى عليه معرة ويسقط شأنه بين الناس . وكان القوم كذلك حريصين على استماع المحسنين من المغنين والمحسنات من المسمعات ، وذلك باللحن الجميل والموسيقا الجميلة فاذا اجتمع الى ذلك جمال الخلق والخلق فهناك الأغراب والطرب والأطراب . . .

. . .

أما في هذا العصر ، وهذا الجيل ، فقد قل من نجاله يتقيد بشيء من هذه الشروط والضرورات سواء من كان بين المستمعين — الا من رحم ربك — او المغنين او القائمين على الادارات الذين لا يهمهم أو لا يهم اكثرهم تحمل تبعات هذا الفساد .

واذا كان التفصيل والايضاح يطول ، حول هذا الموضوع ، ويتشعب فأرجو ان يعيره سواي من الباحثين الثقاة ما يستحق من الاهتمام ، وانتقل الى بعض مجالس الغناء بأوائل هذا القرن ، وما كانت عليه آذان القوم وأذواقهم الحساسة في الضبط ، والاتقان ، وحب الكمال .

كان احد المطربين مع جوقه في احد مجالس الغناء وقد اخذ ينشد هذا الموشح .

بالذي أسكَرَ من عَرفِ اللمى ... كل كأسٍ تحتسيه وحَبَبْ
والذي كحّلَ جفنيكَ بما ... سَجَدَ السحرُ لديه واقتربْ
والذي أجرى دموعي عندما ... عندما اعرضتَ من غير سببْ
ضَع على صدريَ يمناكِ فما ... أجدرَ الماءَ بإطفاء اللّهَبْ

فغنى « عندما عندما » بكسر العينين ، فقال عليه من كان قريباً منه وقال له ، عندما تغني هذا الموشح ، افتح عينك اليمنى ، ويقصد بذلك فتح عين عندما (٢) التي في صدر البيت ، وهو في اليمين ، ففهم المطرب ذلك واعاد انشاد الموشح من اوله و « فتح عينه » وباستقامة المعنى استقام الأمر وكان الطرب حقيقة لم يشبه افساد الذوق .

. . .

---

(١) دخل الخليل بن احمد الفراهيدي يوماً يعود مريضاً فقال إخو المريض ، افتح (عيناك) قال ابو عبد الرحمن حضر ، فقال الخليل ماداء اخيك الا من كلامك .

(٢) العندم بفتح اوله خشب لونه احمر ، ويقصد الشاعر ان دموعه جرت حمراء كالدم .

ومن ذلك ينشد المطربون اليوم هذا الموشح :

قَـد حرَّكتْ أيدي النسيمْ ... تلـك الغصونَ المُيَّسِ

فانهضْ وبادرْ ياندِيمْ ... الى ريـاض السندُسِ

فـالشوق في قلبي مقـيمْ ... يحكي شهاب القَبَسِ

وقد اشغلني اكثر ما اشغلني امر هذه الـ « تلك » التي افسدت الاعراب افساداً قبيحاً ، واعتقد ان كل مستمع يكاد يمزق ثيابه من شدة ما يتألم ذوقه عندما يسمع المنشد يغني بهذه الـ « تلك » وبحثت طويلاً لتخلص من خطأ الاعراب ، فلم اوفق الى اقرب من الصواب وسلامة البيان ، من أن نقول :

قـد حركت أيـدي النسيمْ ... قَـدَّ الغصون المُيَّسِ

وقـد نبهت او صححت ذلك لجميع من عرفت من المطربين والمنشدين والمسمعات في دمشق وحلب ، وفي كتاب « من كنوزنا » الموسيقي الجامع ، على اني لم اجد احداً حفل بذلك التنبيه سواء أكان من المنشدين ام من المستمعين ، وسببه ان آذان القوم صقلت هذا الفاسد وألفته .



وفي اغانينا الشائعة التي طالما ترنم بها القوم وتمايلوا طرباً ووجداً لموسيقاها البهجة الرشيقة بعض القدود الحلبية .

قدُّك المياس يـا عمري ... وغصين البان كاليسري

وقد اقلقتني والله هذه الـ « كاليسري » التي افسدت البيان فساداً منكراً واخذت اتساءل هل يمكن لشاعر اوزجال أن يأتي بشيء لا معنى له ، وهداني التأمل إلى ما عددته ظفراً ، يستقيم معه البيان ويسلم ذلك بأن ينشد .

قـدُّك الميَّاسُ يا عمري ... بُغُصنِ البـان كم يُزْري

او بغصون البان كم يزري وكان مثل هذا التصحيح مثل ما سبقه .

وكذلك قدٌّ آخر مشهور كثيراً ما رأينا القوم « في حلب » تأخذهم النشوة لدن سماع المنشد يغنيه ، وقد نكبت الاذاعة به الذوق العام (١) ، فأتت به تنشده احدى المسمعات ،

---

(١) بينا سعد بن ابراهيم في مسجد النبي يقضي بين الناس دخل عليه داوود بن سلم مولى التيميين وعليه ثياب ملونة نابية عن المألوف فأقبل عليه وكان قبيحاً ونادى الشرطي وقال جرده ياغلام وامره فضربه اربعين سوطاً ، وبعد مدة ولي المدينة آخر فخرجت احدى الجواري واسمها ظبية وكانت رطلت شعرها بانواع الطين المصبوغ تتملح بمجيء بها إلى الوالي وامر بضربها فقالت ويحك ما أبين الفرق بينك وبين سعد ، ذاك يضرب الناس على السماجة والقباحة وانت تضربهم على الملاحة ، هذا منذ ١٣ قرناً .

ولكنها افسدته اذ تلقته عمن تلقوه فاسداً ، يكاد السامع يتميز من الغيظ حين يسمع .

يـــا مَـن لنـا لحظهُ يكلّم      خدَّيك أحسِنْ به وأنعِمْ

واهمني امر هذه الـ « خديك » المقحمة بهذا الغزل الجميل وكنت كلما سمعته يضجرني ثم ارشدت الى ما يمكن ان يقوم موضع « خديك » وكان هذا بالتزام المنشد ان يقول

يا من لنـــا لحظه يكلم      أفديك ، أحسِنْ به وأنعِمْ

. . .

ومن غناء هذا العصر ، وبشعر يكاد يذوب من رقته وعذوبته وبصوت رخيم ساحر ، تغني اسمهان للاخطل الصغير :

اسقنيها بأبي انت وامي      اسقنيها لا لتجلو الهم عني

انـــت همي

املأ الكأس ابتساماً      وغرامـــاً
فلقـــد نام الندامى      والخزامى
زحم الصبح والظلاما      فـــألى م
قم نهنه شفتينا      ونذوب مهجتينا      رضي الحب علينا

يا حبيبي بأبي انت وامي ... الخ

فتؤدي اسمهان ( ونذوب ) « بفتح النون وضم الذال » مضارع المتكلمين ، فيفقد سلامة البيان ويؤذيه وتقوم قيامة الذوق « او الذوق العام » على الأعراب والاطراب وعلى الوزن والعروض والبديع والبيان ، وحقيقة البيت هي ، ونُذَوِّبْ ، بضم النون وفتح الذال وكسر الواو المشدودة وسكون الباء .

. . .

ومن اشهر موسيقي هذا الجيل ومطربيه البارعين محمد عبد الوهاب فهذا برغم جميع ما كتب عنه بيرم التونسي من فصول « لصوص الفن وفن اللصوص » وماعرف من أخذه الكثيرمن « الحان » غيره وادماجها في مؤلفاته واغانيه فان ممالايتمارى فيه انه سيدالمجلين ، فله مقطمات حلق فيها فسبق واجاد ، وعلى كل ما حباه الله من جمال الصوت وبراعة في الموسيقا فانه لايخلو غناؤه من زلات ، من ذلك قوله في قصيدة يغنيها فيقول اكسره بفتح السين وحقها ان تكون بكسرها ومن ذلك قوله ياطرى ومن حقها ان تكونيا ترى — طبعاً — ويقول ، صدى السنين الحاكي ، فيلفظ دال صدى ، ضاداً ، وليس في جميع العربية

كلمة اقترنت فيها الصاد بالضاد ، وهنات عبد الوهاب التي على هذا الغرار معيبة ليس فقط في الشعر المنظوم بل في الاغنيات باللهجة العامية .

وبكل الأخطاء التي ذكرنا ، وامثالها كثير ، يتعلل لها المنشدون ويتبعهم السامعون بـ « ليس على المطرب ان يعرب » .

. . .

يبقى ان نقول ان ام كلثوم هي الوحيدة اليوم التي حفظت لهذا الجيل ، بجميع ما انشدت وغنت طعم الموسيقا الأصيلة والسماع المضبوط الكامل ، وانه ليصعب أن يؤخذ عليها هنة من الهنات سواء ما كان من غنائها في الشعر الفصيح او في الدارج العامي ، فانها في كليها مبدعة بالاداء الصحيح ، فلقد حباها الله ذوقاً حسناً في تخير الضبط والكمال الى الصوت الذي يجل عن الوصف والذي يجمع اليه الموسيقا الأصيلة ، واللحون الجميلة .

## مجموعات « المعرفة » المجلدة

بسر ادارة مجلة « المعرفة » أن تعلم قراءها واصدقاءها عن وجود كميات محدودة من مجموعات مجلة « المعرفة » منذ صدورها مجلدة – كل أربعة اعداد في مجلد واحد – وادارة المعرفة مستعدة لارسالها لطالبها بثمن ٢٠ ليرة سورية لمجموعة السنة الواحدة المؤلفة من ثلاثة مجلدات يضاف اليه اجرة البريد للخارج ، حسب رغبة صاحب الطلب .

يرجى أن يكتب الى محاسبة مجلة « المعرفة » وزارة الثقافة والارشاد القومي – دمشق – مع ارفاق الطلب بالثمن المذكور . والمحاسبة مستعدة لتقديم المعلومات اللازمة بشان التحويل من الخارج والارسال بالبريد العادي أو الجوي وفق الطلب .

كتاب المعرفة

# L'ART ET L'AME

RENÈ HUYGHE

# الفن والنفس



تأليف: رونيه هويغ

عرض وتلخيص: الدكتور عفيف بهنسي

يعتبر رونيه هويغ R. Huyghe ، اعظم من كتب عن الفن التشكيلي وعلاقته بعلم النفس، متجاوزا بذلك جميع محاولات سابقيه وخاصة محاولات اندره مالرو . وهو بهذه المؤهلات يشغل اليوم منصب مدير الاكاديمية الفرنسية وهو أعلى منصب ثقافي في فرنسا ، الى جانب كونه استاذاً في الكوليج دوفرانس .

ولقد اتيح لي ان أكون تلميذاً ومستمعاً له فعرفت فيه محاضراً فذاً ومفكراً ألمعياً فذ بذكائه ونبوغة الى قمة التثقيف الفني وهو لم يتجاوز بعد الثامنة والخمسين.

ومن بين مؤلفاته كتـاب « حوار مع المرئي » Dialogue avec le visible اصدره عام ١٩٥٥ في خمسمائة صفحة مزودة بأنـدر الصور . وموسوعة « الفن والانسـان » L'Art et l'Homme التي سبق ان لخص موضوعها في هذه المجلة ، وهي تقع في ثلاثة اجزاء كبيرة تحكي قصة تاريخ الفن من خلال الانسان ، اشرف عليها بمهارة هويغ. ثم الكتاب الذي بين ايدينا وهو كتاب الفن والنفس L'Art et L'Ame ونعترف انه يستحيل اجتزاء او تلخيص الافكار المبتكرة والحقائق المكتشفة التي تتضمنها خمسمائة صفحة كبيرة او تزيد ، هي حصيلة جولة رونيه هويغ في عصور تاريخ الفن وفلسفته ، مارا من خلال العوامل النفسية التي كانت سببا او نتيجة للابداعات الفنية .

ومع ذلك فانه لابد من عرض فكرة سريعة عن مضمون هذا الكتاب وهذا ما سعينا اليه .

ع . ب

ليس الفن التشكيلي سواء أكان تصويراً أم نحتا ، هو مجموعة المتاع أو هو حدود الطبيعة مضافاً اليها بعض الالوان والريش والزيوت ، فلقد اثبتت التجربة ، والفن الحديث شاهد على ذلك، أن كثيراً من هذه العناصر لم تعد ذات محل في عالم الفن ؛ حتى المتاع نفسه ، فقد اختفى منذ مائة عام وراء البعد الجمالي الذي أصبح اللغة الجديدة للفن التشكيلي وللانسجام والجمال . على أن الفن اذ يحمل لغة أخرى غير لغة الواقع ، فانها تبقى لغة الفنان التي يعبر بها عما يرى ويعي . ولقد رافق هذه الرؤية أحياناً بعض الخيال أو بعض الشعر وغالباً ما تضمنت هذه الرؤية كشفاً . ولهذا فان لغة الفن تجاوزت الى حد بعيد لغة الأدب التي بقيت أسيرة اللفظة المحدودة .

ان الرسم Dessin هو من أولى الأعمال الفنية التي تقدم مباشرة صورة عن العالم الداخلي للفنان ، وما يقال عن الرسم يقال عن الهندسة المعمارية وطرقها . أما في رسم الأشياء التشبيهية من طبيعة ووجوه ، فانه من الممكن جداً كشف معادلات نفسية من خلال أجزاء موضوع الرسم ، على أن عطاء الرسم يبقى مرتبطاً بالاحاسيس المحددة بآثار الواقع ، ولكن اذا تجاوز الموضوع هذا الواقع ، واذا كان رسماً للوساوس والأخيلة ، فان كل خط يصبح « صدمة مثيرة » للتعبير عن أعماق نفس الفنان . وغالباً ما تتبع اليد طريقاً في الرسم تمحي معه صيغ الواقع لكي تبدو انفعالات الفنان في المقام الاول من الرسم .

على أن الرسم لايقتصر على الخط ، بل يتضمن أيضاً البقع التي باختلاجها وعمقها تفسح المجال أمام أحلام اليقظة .

وحتى لو تجلت الهندسة المعمارية في بعض الهيئات الانسانية ، فان ثمة مجال للتحليل النفسي كي يكشف عن بعض العالم الداخلي في العمارة .

ومنذ نهاية القرون الوسطى سيطر على أوربا اسلوب الفن القوطي أو ما يسمى بالاسلوب اللطيف Courtois والذي حدد العلاقة بين الانا وبين العالم والحياة . وهكذا كان « الحب » أي صورة الخروج عن الذات نحو الآخر ، و « الامتلاك » أي صورة الانطواء نحو الذات و « التعذيب » أي صورة الشر لدى الانسان ، صيغاً جديدة استخرجها المصور الفنان من علاقة الانسان بالحياة ، وكانت مثالاً من أمثلة تساميه .

ويجب ان نذكر ان جميع العواطف المجردة لابد لابرازها من وسائل غير موضوعية ، وعلى هذا فان ليونة التخطيط مثلا او صلابته تبقى وسيلة للتعبير عن جو معين لابد ان يكون غالبا على الموضوع ، وفي الرسم الجرماني بصورة خاصة فقد كان الجو الرئيسي هو التشاؤم والقلق ، وبصورة عامة فان الموضوع الواحد كموضوع « صلب المسيح » اخذ دائما اشكالا مختلفة تعبر عن نفسية الفنان . ولكن ليس العالم الداخلي وحده هو الدافع على تخطيط موضوع بشكل معين ، فما لاشك فيه ان العالم الخارجي يبقى المؤثر الواضح في ذلك ، ولكن من الفنانين من تتشابه تأثراتهم ويصبحون من زمرة او فصيلة واحدة، ومنهم من ينفرد في ذلك فتكون مؤثراته

الداخلية والخارجية خاصة بذاتها ، ومثال هـذا الموقف المتفرد موقف الفنان فان غوغ Van gogh الذي عاش ازمـة الوجود في هولندا ، ثم عاش انعطاف وجوده نحو الفن في الجنوب ، وفي كل فترة فان يده كانت تدفعـه لتسجيل الصرامة في الشمال ، او لتسجيل الدعة والهدوء في الجنوب ، وعندما كان في سان ريمي فان مسحة الجنون بدت واضحة على تخطيطاته الهائجـة ، كذلك اكتست رسومه في اخريات حياته بمسحة كونية غير محدودة .

واذا انتقلنـا من دور الخط ، واتجهنا نحو الشكل Forme على ضوء ما ابدعه الذكاء الانساني عبر قرون الفن من محاولاته ، لكي يزداد فهمه ويتشخص تصوره لهـذا الشكل ، لاستطعنا القول ان الرسم قد سجل منذ قبل التاريخ تطور الذكاء والتفكير الانساني . فقـد رسوم مغائر لاسكو واريج ، ابتدأ وعي الفنـان الانسان لاشكال الحيوانات من خلال حدودها الخطية . ذلك لانه كصياد لايهتم بها الا بحدود الانطبـاع المرتسم في ذهنه عنها ، والا بحدود الغرض من تمييزها عن بعضها ، وهو في ذلك كالطفل الصغير . وهكذا فان فن عصر ما قبـل التاريخ يفسر الحالات الذهنية لذلك العصر .

وهكذا الامر في العصور التالية عندما قام المجتمع الزراعي المنظم في الالف الرابعة قبل الميلاد حيث نجـد الفنون متشابهة في المستوى ، كالفن المصري وفن الرافدين وجميع فنون المتوسـط ، ذلك لانها تعبر الى حد بعيد عن عمر الذكاء والعقل الانساني . في هـذا العصر ولد التفكير الهندسي الذي اصبح يعتمد على الفرجار والقياس كما نراه في الفن الاشوري وفي آثار المصريين ، ولقـد أورثت هذه الفنون طراز العمارة الـكلاسية عند اليونان التي بقيت ضمن اسار التنظيمات التناظرية والمثلثات ؛ ذلك لان جميـع الدول التي احاطت بالمتوسط وهي الدول الشرقية ، كانت تعيش حضارة زراعية تدفع الناس الى التفكير برتابة تبعا لرتابة المواسم والفصول ، وكانت الشجرة والنبتة اساسا في تحديد صيغتهم الفنية .

ثم تخلص الفنان شيئاً فشيئاً من سيطرة القواعد الزراعية بعد ان تطور استعمال المعدن واصبح من الممكن تحويله الى اوائل . كذلك تطور استعمال النار مما ادى الى تطوير الاشـكال الفنية تبعاً للخيـال . ولقد كان لعـالم البحر الذي عاشه الاوربيون الغربيون دوره في توسع الخيال ونقله من حدود التشابه والتناظر الى حدود الاطلاق ، من التقسيم الهندسي الى التخطيط العفوي المستمر والمتشابك . ثم ظهر عامل جديد في الفن هو **الطاقة** ، فجميع الوسائل التي افادت الانسان في السيطرة على الطبيعة وفي تحويل بعض مظاهرها تضمنت اشكالا متطابقة في صيغها مع مظاهر القوة ، وخاصة في العمارة الفخمة كالجسور والسدود التي استفادت من اعمدة الحديد الضخمة فكانت عمليات تكييفهـا فناً يكشف عن ظهور تلك الطاقة وسيطرتها على حضارة القرن التاسع عشر مثلا . ولكن الاتجاه الذي جاء بعد ذلك يقوم على اقتصاد الجهد والـكلفة ، ولذلك فان الطاقة هنا لم تعد القدرة على تكييف

العناصر القوية في الطبيعة ، بل القدرة على الافادة من هذه العناصر باسهل السبل . وهكذا كان الاسمنت نتيجة رقي الذكاء البشري وكان استعماله وسيلة في تكييف مظاهر الفن المعماري الذي اعتمد الى اقصى الحدود على البساطة وعلى استثناء كل ماليس له علاقة مباشرة في دعم البناء . ولذلك فان اشكال العمارة لم تعد قائمة على الاسس الكلاسية كالتناظر وكثرة الدعامات والاعمدة ، بل قام على البراعة في اقامة الاروقة والسقوف على الأقل من الجدران والمساند ، وانتقل ذلك ايضاً الى فن التصوير والنحت حيث استثنيت الكثير من الاضافات حتى بدأ الفن المجرد . والآن اذا تساءلنا عن مستقبل الفن فان الجواب سيكون دائماً الى جانب ظروف الانسان ، هذا الانسان الذي يعيش الاختصار وضمور المسافة وسيطرة الزمن.

على أن الشكل لم يصل الى كماله الواقعي الا بعد أن تطور التظليل واستفيد من النور في تحديد معالم الشكل ، ولكن وراء ذلك كانت أيضاً تعبيرات للنفس ؛ فالنور الذي يعبر عن الفراغ والهواء وعن الروح ، هو عكس الظل الذي يترجم عن الكثافة وعن الكتلة الجامدة وعن المادة . ولقد فطن ليوناردو الى اهمية التضاد النوراني Sfumato الذي يتأتى عن انارة الوجه وتعتيم الخلفية لتحقيق طابع سحري لغزي .

وعند ميكل انجلو وصل الشكل ذروته ، ولكن ميكلانج تجاوز الشكل بل لعله استنفده كما في تماثيله الخاصة بالارقاء والتي تبدو وكأنها لم تكتمل بعد ، ثم اصبح الشكل موضوع تحد من قبل الفنان على يد المنهجيين Maniéristes الذين عمدوا الى بعض التحوير Deformrtion .

ولقد لعب **النور** دوراً رئيسياً في تعديل الشكل ، فلقد استطاع ليوناردو دافنشي أن يحلل الشكل بأنواره . ووصل الصراع بين النور والشكل أوجه على يد كارافاجيو واتباعه وكانت الغلبة للنور على الشكل وأصبح النور موئل الفنان الاول ، وبمعنى آخر كما يقول أفلاطون يجب البحث عن نور الالوان . ذلك لأن النور هو اشارة النفس . ولقد كان اللون الذهبي في الفن البيزنطي من أجل تثبيت مظاهر الروحانية فيه . وثمة علاقة بين وقت وفصل النور وبين الأثر النفسي الذي تتركه اللوحة ، كذلك الأمر بالنسبة لليل والنهار .

والعنصر الهام في التصوير هو **اللون** .

وتبتدىء أهميته من النقطة التي تغطى فيها منطقة من المساحة والى ان يصبح معادلاً للنور . ثم كذلك يختلف دوره بحسب كثافته وبحسب نوعيته أي بحسب درجته وفروقه . وتبعاً لاستعمالاته من حيث الكمية والقوة فان ثمة تعبيراً مناسباً لكل حالة . وهكذا فان ألوان بوتشيللي الشفافة تعبر عن روح شاعرية هائمة ، بينما ألوان رامبرنت الكثيفة الصلبة تعبر عن روح مربدة عابثة . وهذا ما يدعو الى الاعتقاد من أن اللون هو اللغة التي لاتنطق ، هو لغة النفس الى النفس كما يقول دولاكروا ، ولقد توصل دولاكروا الى رمزية الالوان قبل غوغان وذلك عن طريق الاثارات الرومانتية التي اهتم بها . كذلك تحدث

غوغان عن قرابة اللون من الموسيقى فكما أن الموسيقى تثير انفعالات مختلفة كذلك شأن اللون.

وثمة امثلة كثيرة كان الرسم والتصوير فيها وسيلة لكي يعبر الفنان عن احلامه من خلالها. ومما لاشك فيه ان العقل اذ يلعب دوراً هاماً في ترتيب الموضوع ، فان عوامل ابعد من العقل تسيطر على الموضوع فتجعله صورة للنفس . على ان الاخيلة لم تكن دائماً سلبية بل كانت ايجابية قريبة الصلة بالفرح والمتعة . وثمة مايكشف عن جوهر الاخيلة ونوعيتها في النفس هو الرمز الذي قد يبرز من خلال الاشياء او يكون مستقلا بذاته . وينطوي الفنان في الواقع على غريزة الرمز وهو دائم اللجوء اليها ، انه اذ يخلق عالما قريب الشبه بالواقع فهو يسقط عليه دائما بعض الرموز الخاصة به . ولهذا فان عالمه تعبيري دائمـا كما هو شأن فان غوغ Van gogh . اما انسور Ensor الذي ظهر مع ازمة الفن عام ١٨٨٠ فلقد كانت الرمزية لديه تعلن عن فن ينحدر من النفس وليس من العين فقط . لقد كان الواقع عند انسور يختفي وراء الاقنعة الفارغة ، وكانت الجمجمة اكثر الاشياء رعبا لديه . والحق انه من خلال انسور نستطيع ان نكشف عن حملة شديدة على الحضارة الغربية وتقاليدها ، كما اننا نستطيع ان نكشف من خلال شاغال Chagall « بهلوان العالم الشرقي » عن حضارة الخيال والموسيقى .

ولقد عبر انسور عن احلام الانسان الغربي القلق الفزع . اما عند شاغال كما يقول هويغ : فلقد كان التصوير كالموسيقى في كل ضربة ريشة تهتف بها الذاكرة تشابه ضربة القوس على القيثار وهي «تدغدغ الذكريات الهانئة السعيدة» . والحقيقة انه منذ وقت طويل ، عرف الفن مـدى قدرته السحرية في تحريض العاطفة ، ولعل لوحة روسّو روسي « ابلون » هي التي فتحت الطريق امـام شاغال .

# افتتاح مهرجان الشعر في اللاذقية

**من سعد الله ونوس**



حرص المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية منذ تأسيسه على اقامة مهرجانات سنوية للشعر تكون بمثابة اسواق ادبية ، تتيح فرصة التفاعل والجدل بين الشعراء قديمهم وحديثهم من جهة ... وبين الشعر والجمهور من جهة ثانية .. وكان مهرجان هذا العام الذي بدأ في ٣ تشرين الاول الخامس بين المهرجانات . وقد انتهز ذكرى الشاعر الشريف الرضي مناسبة له ...

والشريف الرضي بتعريف وجيز ، شاعر عربي ، هاشمي النسب .

ماعذر من ضربت به اعراقه
حتى بلغن الى النبي محمد
ان لايمد الى المكارم كفه
وينال منقطع العلا والسؤدد

عاش في اواخر العصر العباسي ، حين انحلت روابط الدولة ، وتفسخت وحدتها ، وبدأ الضعف والوهن يتأ كلانها .. مما اثار حمية الشاعر وهز وجدانه ، فراح يغني هازاً راكد التاريخ ، موقظاً القومية التي تغفو بشعر قومي وديني ، سار ذكره في الآفاق الاربعة ..

## الافتتاح

في مساء يوم ٣ تشرين اول ، تقدمت السيدة عفيفة شما نائبة عن امانة المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية تقدمت السيد وزير الثقافة بكلمة قصيرة جاء فيها ..

( جدير بالانسانية ، ومن خيرها ، ان تترك في قصرها ، او في كوخها ، بالقرب من شلال الضوء الكهربائي الذي يضيء لعقلها ، ان تترك على رف صغير ، شمعة متواضعة او سراجاً من الزيت يضيء لروحها ...

هكذا الشعر ، وهذه رسالة الشاعر ..

.. فالحرف يبني .. والحرف يهدم .. والكلمة قد تكون منارة تهدي او ظلمة تردي .. فهذه الكلمة ، ان لم تكن صادقة ، ان لم تكن بناءة ، ان لم تكن مبدعة فهي معول ) .

ثم قدمت السيد وزير الثقافة والارشاد القومي السابق **الدكتور اسعد محفل** ، فألقى الكلمة التالية :

يسعدني ويشرفني ان افتتح اليوم في هذه المدينة الزاهرة ، عاصمة الساحل السوري ، مهرجان الشعر الخامس ، وان امثل في حفل الافتتاح هذا ، سيادة الفريق رئيس مجلس الرئاسة ، الذي تكرم فشمل المهرجان برعايته.

ان هذه اللقاءات الأدبية الحافلة ، كما تعلمون أيها الاخوة الاعزاء ، ليست غريبة عن اجوائنا وتقاليدنا ، واتجاهات تراثنا ، وحسبنا أن نذكر أسواق عكاظ وسواها من الاسواق الموسمية في تاريخنا ، لندرك اننا باقامة هذه المهرجانات بين حين وآخر انما نحيي بالواقع جانباً من تقاليدنا القومية في التجمع والتلاقي ، وتعارف الأرواح والافكار ، ثم في الجري في مضامير السبق والتجلي ، والمفاخرة بروائع البلاغة والبيان ، مما حفل به تاريخنا في جميع الحقب والادوار التي مر بها ، في مشرق البلاد ومغربها.

ان مهرجان الشعر الذي نقيمه خمسة ايام متواصلات ، في هذا البلد الطيب ، ليس فقط احياء لتقليد عربي مشهور في التجمع والتعارف والتفاخر بالادب المشرق ، بل هو احياء ايضاً لتليد من تراثنا ماثلاً في اشخاص أئمة الأدب والفكر الذين منهم شاعرنا الشريف الرضي ، رجل مهرجاننا ، وموضوعه ، ودرة عقده . وان شاعرنا وموضوع لقائنا اليوم ، سيد من السادات الاشراف الذين واكبهم المجد ، تاركين في الدنيا ، كما يقول المتنبي ، دوياً كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر .

انها مناسبة سعيدة ان ارحب هنا باخواننا شعراء وادباء البلاد العربية الشقيقة الذين ارادوا مشاركتنا في هذا المهرجان وان اؤكد بان مهرجانا الشعر يقام حول ذكرى الشريف الرضي وآثاره الخالدة ، لابد ان يتجمع له الادباء على نطاق عربي ، لأن علماً كالشريف الرضي لايخص بلداً عربياً دون آخر انه ملك للأمة العربية قاطبة ، كما قد غدا شعره جزءاً من صميم التراث الفكري الكلي الشمول الذي نشرب ماءه وهواءه ، وتمتلىء صدورنا وقلوبنا بانسامه وطيوبه .

ان الامة العربية ، قد توافر لها من عناصر الانسجام والوحدة ما لم يتوافر لأمة من الأمم ، قديماً وحديثاً . ومن اهم هذه العناصر ، هذا التراث الأدبي الذي تتألف حصيلته من عطاء الشعراء والادباء والمؤرخين والعلماء الذين لاتعنينا مواقع بلادهم ، واقاليمهم ومساقط رؤوسهم ،

بقدر مايعنينا ما اخذوا من قومهم وما اعطوه، خلال اعمار حافلة غنية . لقد نفذ بعضهم كالشريف الرضي الى اعماق الوجدان العربي ليخرج منه بكل ما هو اصيل وبكل مايتحسس به الفرد العربي من المحيط الى الخليج موحدا بذلك الفكر والروح فاستحق اكرامنا وعرفاننا .

وانني كمواطن وكمسؤول ، اقف معكم في هذه الامسية الجميلة ، امام حياة شاعرنا القومي الفذ ، وادعو للاكثار من مثل هذه المؤتمرات الأدبية في ذكرى أئمة الفكر والبيان ممن سموا الى عظمة الوجدان العربي على ان تكون هذه المؤتمرات على نطاق عربي واسع .

ويسعدني ان اغتنم فرصة مهرجانكم، ووقوفي على منبره ، لأدعو باسمكم ادباءنا العرب في جميع مساكنهم ، الى مثل هذه اللقاءات الكبرى وفاء لعهدنا القومي كيد لفعل التراث الخالد في مجرى حياتنا القومية والفكرية .

كذلك يطيب لي ان اؤكد بأن مثل هذه المهرجانات بالاضافة الى أنها احياء تقاليد وتراث، ودعوة الى التجمع القومي الأخوي ، هي ميدان تظهر فيه المواهب ، ويتبارى فوق منابره شيوخ وشباب جدد ، وقدامى ، ومخضرمون ، تتم بهم جميعاً عملية التواصل والتكامل والابداع .

واننا لنحرص بصفة خاصة ان تدخل اجيال الشباب حلبات السبق ، لتتميز اصالتها مبكرة ، ولنتعرف فيها الى وعود المستقبل الخيرة ، ووعود التجديد والتجويد ، والتفوق .

ايها الاخوة :

انني مع التأكيد على سياسة هذا العهد الثوري في رعاية الأدب والفن والحركة العلمية عامة ، وتشجيع العاملين والمجدين ، والمتفوقين ، ومن سلاحهم كفاءاتهم وتباهاتهم ، في هذه المجالات كلها ، ارجو ان تؤتى هذه المهرجانات اكلها في تنشيط الهمم وشحذ المواهب والقرائح ، وتوفير حوافز النهوض والابداع ، والتقدم .

فالى ضيوفنا من البلاد العربية الشقيقة والى القائمين على تنظيم مهرجان الشعر والى المشتركين في ايامه من شعرائنا وادبائنا وخطبائنا اطيب التحية والشكر راجيا لهذا المهرجان ان يبلغ اهدافه الفكرية والقومية التي اقيم من اجلها ، والسلام عليكم .

وتكلم الاستاذ **احمد الجندي** بعدئذ عن فكرة المهرجان .. ولماذا أقيم . ثم استطرد للحديث عن الشعر ، فاطرح كل التخوم التي توضع في العادة بين ما يسمى شعر حديث وما يسمى شعر قديم ، وقال : ( كل شعر قديم هو شعرنا مادام يعبر تعبيرا صادقا عن خلجات النفس واهتزازات العاطفة . وكل شعر جديد هو لنا ايضا اذا كان هذا الشعر يتحدث عن بدوات الروح وخلجات الشعور ، على ان يجمع هذا وذاك قالب عربي لانلمس فيه رطانة ، ولانحس منه بلكنة اعجمية ) .

وبهذا وضع الاستاذ الجندي الروح الشعرية في المقدمة . اما الاسلوب والقافية والموسيقى وغير ذلك من مقومات الشعر فتأتي في المحل الثاني :

« نحن .. لانميل الا الى الجانب الذي يكون منه الشعر ، ولقد نقرأ الابيات فلا نلم قائلها

ونحكم عليها ، أهي شعر ام لا ؟ دون ان نتأثر بمؤثر غير الشعور .

وتتالت بعـد ذلك وفود الدول العربية الى المهرجان ..

فتحدث **الدكتور صبحي أبو غنيمة ممثل المملكة الاردنية الهاشمية** عن الكلمة والصورة في الشعر ، فاستعرض الانواع التي تدرج تحتها الكلمة .. مستلها القرآن الكريم والشعر العربي ، أمثلة على تقسيمه .. ثم تكلم عن الصورة من وجهة بلاغية ، مع تحليل عميق للعلاقة الخفية التي تربط الصور الشعرية بأسس نفسية ، وقد قـدم في هذا التحليل كثيراً من الشواهـد المنتقاة من أبحاث علماء النفس ، والبلاغيين .. وبعد ذلك اجتهد الدكتور أبو غنيمة في تطبيق مقدماتـه النظرية على شعر الشريف الرضي بشكل موجز ، وعميق ..

**أما ممثل الكويت الاستاذ عبد الرزاق البصير** ، فقد استهل حديثه بتحية القطر السوري ، والمجلس الاعلى منوهاً بأهمية هـذه المهرجانات واثرها في ازدهار الحركة الشعرية وتناميها حتى تبلـغ مستوى تعبيرياً رائعاً .. ثم انتقل بعد ذلك الى « الشريف الرضي » فاجتزأ من خصائصه « الاباء » وراح يتحدث عنه .. سارداً بعض الاحـداث التي اشتهرت عن الشريف والتي تؤكد اباءه تأكيداً قاطعاً ، وحافزاً يمكن أن يكون لأبناء جيلنا الحاضر قدوة تحتذى ، ومثلاً طيباً يقتدى به .. فقد كان الشاعر عف النفس لايرضى التوا كل ، والاعتماد على الآخرين .. ولايقبل العيش على فتات موائد الاسياد .. يعاف الذل ، ويعـد حياته رخيصة في سبيل دفعه ولكم رفض هبات ولكم انتصر على مساومات .! ليستمد من ابائه دليلا لسلوكه ، ومنهجه في الحياة .. وما ذلك بغريب .. ألم يكن الشريف صاحب رسالة ومبدأ .. فكيف اذن يقبل عطايا قد تقتات كلمة الحق في صدره .!!

وتقدم بعد ذلك **مندوب إمامة عمان الثائرة الاستاذ سليمان محمـد الساعلي** ليذكرنا بالوضع التاريخي الشاذ الذي يجد أبناء عمـان انفسهم فريسة لقهره ، ولا انسانيته وليتحدث بصوت مؤلم عن العزلة الثقافية التي ضربت عـلى الجنوب العربي ، ففصلته عن باقي اقطار الأمة العربية ، وحالت بينه وبين التفاعل مع اطراف الادب العربي الاخرى تفاعـلا خصيباً يغني الحركة الادبية ، ويثري عطاءها .. ثم ذكر بعض الشعراء الذين يعيشون في الظل خلف الاسوار التي شادهـا الاستعمار حول عمان .. والقى نماذج من شعرهم ، تثبت استمرار الحس الشعري في تلك المنطقـة المعزولة ، وتكشف عن تصادي الشعراء مع قضيتهم العادلة ، وثوريتهم الهادرة ...

والقى مندوب السودان الشاعر محمد محمد علي قصيدة وطنية جيلة هذا مطلعها .

فلسطين أم لها قصة

سبكتبها بالدماء البنون

واخيراً نهض الشاعر عبد الكريم الكرمي « ابو سلمى » ممثلا عن فلسطين ليفجر آلامه

كشرد اغتصب وطنـــه ، وتقاعست الهمم عن الثأر المار .. شعراً عنيفاً يعتصره الاسى ، وكان مطلع القصيدة :

يامن ألم بـــه الربيع وما شدا
لم يبق من أرج الهوى الا الشدا
قـد كان لي وطن وكان ربيعه
يهدي الى العمر الازاهير والندى
واليوم من خلل الدموع يهيب بي
وعد من خلف الحدود لي اليدا

## باقي أيام المهرجان

وامتد المهرجان اربعـــة ايام متواليات اخرى .. حفلت أماسيها بالمحاضرات والقصائد فقد ألقيت ثلاث محاضرات قيمة .. كانت الاولى **للسيدة وداد سكاكيني** تناولت فيها شعر المرأة العربية واثره في تاريخ الادب .

والقى **الاستاذ محي الدين الدرويش** محاضرة عن الشريف الرضي ، من خلال العصر الذي عاش فيه .

اما الاستاذ احمد الجندي ، فقد قـــدم في محاضرته دراسة وافية عن شعر الرضي بصفة عامة.

## قصائد المهرجان

حفلت ايام المهرجان بالقصائد .. فألقى اثنان وثلاثون شاعرا بعضـــا من شعرهم .. وهم الاساتذة السادة :

الدكتور عزة الطباع في قصيدته « الارض قبل الانسان » ، الاستاذ يوسف الخطيب في قصيدة بعنوان « من وحي استقلال الجزائر» ، الاستاذ عزة بشور في قصيدة بعنوان « موطن وبطولة » ، السيدة سعاد أحمد وقاف في قصيدة بعنوان « حلم فتاة من القمر » ، الاستاذ عبد العزيز التميمي في قصيدة بعنوان « يا أمة العرب عاف النضال مغمده » ، الاستاذ مصطفى فهمي الفاروقي بقصيدته « الفارس العربي » . الاساتذة :

محمد كنا كري ، محمد سعيد مراد ، عدنان قيطاز ، عبد الكريم الناعم ، عبد الحق حداد محمد الحريري ، نديم عدي ، احمد علي حسن ، الآنسة ناديا نصار ، سليمان سليمان ، زهـــدي خليل ، عبد الرحيم الحصني ، محمد المدناني ، حمدان عيد الخير ، الدكتور عبـــده مـوح ، انور الجندي ، احمد عبد الغفور الراوي ، صابر فلحوط .

هذا الى جانب مختارات من الشعر الفارسي القاها الاستاذ محمد الفراتي .. ومختارات من شعر الشريف الرضي .. القاها الاستاذ سلامة عبيد ..

## مسابقة الشعر

كان المجلس الاعلى ، تشجيعا للحركة الشعرية في سورية قد أعلن عن مسابقة للشعراء الشبان. تقدم اليها الكثيرون ممن يمثلون مختلف الاتجاهات الشعرية في سورية ..

ولقد فازت بالمسابقة خمس قصائد تلتزم كلها عمود الشعر القديم .. وخلال أماسي المهرجان وزعت الجوائز على ناظميهـــا اذ فاز صالح هواري بالجائزة الاولى عن قصيدته « أثمر .. ولو شوكا » .

وفاز ممدوح عدوان بالجائزة الثانية عن قصيدته « الشريد » .

كما فاز بالجائزة الثالثة صالح عضيمة عن قصيدته « اغنية الشوق » .

ونال علي كنعان الجائزة الرابعة عن قصيدته « الموسم المنتظر » .

اما سلمان ضحية فنال الجائزة الخامسة عن قصيدته « الحبة الضائعة » .

# غوبينو والشرق(*)

ترجمة حنين حاصباني



عندما كتب غوبينو « المقالة في تمايز العروق البشرية » قيل عنه انه متخصص في « علم الاقوام » ولما ألف رواية « الثريا » ومجموعة « القصص الصغيرة الآسيوية » قامت له شهرة بانه عالم نفسي وقصاص لا تقل عن شهرة ستاندال بالذات. ولم يكتف بعضهم بذلك، بل أرادوا أن يروا فيه ايضاً مستشرقاً من الطبقة الاولى.

وانما انطلقت كل هذه الاسطورة مما أورده الكاتب ( شيان ) في ترجمته لغوبينو. فقد استشهد المؤلف في هذه السيرة ببضعة أسطر اقتبسها من ( ذكريات ) كارولين، شقيقة ارثر غوبينو ( المخطوطة ٣٥٣٧ في مكتبة ستراسبورغ الوطنية الجامعية )، وهي :

« وكان بين المدرسين في كلية ( بيين )

(*) كانت وزارة الثقافة والارشاد القومي قد دعت المستشرق الفرنسي السيد جان غوليه الاستاذ في جامعة ستراسبورغ للمساهمة في موسمها الثقافي الثالث والقاء محاضرتين احداهما في حلب والثانية في دمشق . وقد استجاب الاستاذ مشكوراً لهذه الدعوة ، ونشرت ( المعرفة ) في عددها الثاني والثلاثين خلاصة احدى المحاضرتين ويسعدها ان تقدم لقراء هذا العدد خلاصة المحاضرة الثانية التي ألقاها في المركز الثقافي بدمشق في ٢٦ ـ ٥ ـ ١٩٦٤ وعنوانها « غوبينو والشرق » .

فئة ممتازة ممن لهم باع طويل في اللغات الشرقية، وقد وجدوا لدى ارثر استعدادا خاصا للغات واثنوا على شدة ذكائه وتوقد خاطره . فاندفع بحماسته المألوفة ، في لجة الصعوبات الماثلة في المخطوطات السنسكريتية والعربية والزندية ،ولم تثنه عن عزمه غوامض النحو المقارن . وهكذا أرسيت اسس العمل الذي احبه طول حياته ، وتوضح المستقبل المقدر له في عالم الاستشراق» .

هذا ما جاء على قلم كارولين . بيد أني أجريت تحقيقاً دقيقاً في مدينة ( بين ) بالذات . فتوفر لدي البرهان على أن هذه الكلية السويسرية الصغيرة ، لم يكن بين اساتذتها اي عالم مستشرق. ومن جهة ثانية فمن غير المعقول ان يستطيع صبي في الثانية عشرة ان يهتم اهتماماً صحيحاً ومجدياً بعلم النحو المقارن . يضاف الى ذلك ان « ذكريات كارولين » ... لم تكتب الا بعد انقضاء خمسين عاما على الحوادث التي تزعم روايتها .

ومع ذلك عادت هذه القصة الخرافية فظهرت في مؤلفات جميع الذين أرّخوا لغوبينو . وهو نفسه لم ينثن عن الادعاء بأنه مستشرق . وقد حاول عبثاً أن ينتخب عضوا في المجمع اللغوي وهز دنيا العلماء بين عام ١٨٦٠ وعام ١٨٦٤ بزعمه اكتشاف قراءة النقوش المسمارية .

والواقع أنه لما عين سكرتيراً لبعثة دبلوماسية أرسلها نابليون الثالث الى ايران عام ١٨٥٥ أقام في تلك البلاد مرتين بين ١٨٥٥ و ١٨٥٨ ثم بين ١٨٦٢ و ١٨٦٤ . وعندما غادر فرنسا ذاهباً الى الشرق لم يكن يعرف من العربية والفارسية الا كلمات قليلة . يدل على ذلك ما كتبه عن رحلته ( في مخطوطة لم تنشر ) وفي المجموعة التي ضم فيها عددا من الكلمات الفارسية بدون ترتيب ولا طريقة علمية ( .. مخطوطة في مكتبة ستراسبورغ الوطنية ) .

وليس ادل على ( خفة ) غوبينو من كتابه ( دراسة في المسماريات ) فرسائله الى شقيقته تدل على أن هذا الكتاب قد شغله سنوات عديدة أي من ١٨٥٥ الى ١٨٦٤ . كما تكشف هذه الرسائل عن المعين الذي استقى غوبينو علمه منه . فقد ذكر أنه الحق بخدمته ( منلا ) حبراً يهودياً يسكن في قصر المفوضية الفرنسية ويشتغل معه ( من رسالته الى اخته في ٢٠ أيار ١٨٦٢ : مخطوطة ستراسبورغ ٣٥٢٠ ) . وقد تبين أن جوهر علم غوبينو لايعدو أن يكون استفهامات وأسئلة يلقيها على امثال ( المنلا ) اليهودي المدعو عاذر الهمداني الذي « يجمع الى التبحر في علم التلمود معرفة عميقة بالنصوص العبرية ، كما أنه متمكن من علم « الاعداد » ... هكذا ، وكأن هؤلاء اليهود الفرس في عام ١٨٥٥ كانوا يستطيعون فهم التاريخ القديم ( بحيث يقوون على عون غوبينو على حل النقوش المسمارية ) .

وقد جعل غوبينو منطلقه في معالجة الخطوط المسمارية عدداً من المبادىء التي قررها بنفسه وهي:

أن اللغة المستعملة في النقوش المسمارية هي اللغة العربية ـ وأن هذه النقوش ، مهما كان موضعها ، أعلى الأرض المرصوفة ام على مصاريع الأبواب ، هي كلها نص واحد مع تغييرات جزئية تطول أو تقصر ـ وأن هذا النص قد يقرأ من اليسار الى اليمين ، أو من اليمين الى

اليسار دون اختلاف في الكلام أو المعنى — وأن اللفظة الواحدة يمكن ان يكون لها أربعة معان، وأحياناً خمسة معان ، لأن الألفاظ السامية ، في زعم غوبينو ذات تركيب هلامي غير مستقر — وأن النقوش المسمارية ، أياً كانت ، إنما هي في مجموعها عبارات سحرية وطلاسم تدخل فيها القيمة العددية للحروف العربية ( بحساب الجمل ) ، لما كان شائعاً من الايمان بالأرقام وسحرها — وأن كثرة الوثائق المسمارية مردها الى جو الرعب الذي كان الشرقيون يعيشون فيه والذي دفعهم الى تلمس الحماية والأمن في ظل الطلاسم المختلفة ، هذا الى أن الشرقيين ميالون بطبيعتهم الى الغوامض والأحاجي ( كالطلاسم والرقى وكتابات السحر ).

وعندما يقرأ الانسان هذه الصفحات الغريبة الطائشة التي يحتوي كل سطر منها على خطأ صريح أو رأي غير صحيح ، يتبين مدى الهوة التي يمكن أن يتردى فيها الرجل الذكي اذا كان متمسكاً بآرائه متعصباً لها ، قبل امعان النظر فيها بروية وتعمق ، ويدرك ما أثاره كتاب غوبينو عن المسماريات من الهزء والسخرية في نظر أهل الاختصاص.

وان نظريات غوبينو متخلفة جداً عن المعلومات التي كانت متوفرة حين صدور كتابه . وهي متخلفة بصورة خاصة عن دراسات رولنسون في ١٨٤٦ — ١٨٤٧ . ومع ذلك نراه يتمادى في الدفاع عنها ويثور على الهجمات التي وجهها اليه العالم ( أوبر ) ويشكو من الشكوى من مؤامرة زعم أنها حيكت ضده للحيلولة بينه وبين ( الصحيفة الآسيوية ) ، بل انه يفاخر بآرائه زاعماً أنه توصل اليها ببرهان يكاد يكون رياضياً في دقته .

وهكذا تبدو لنا تصاليف غوبينو مشحونة بالاخطاء من كل نوع . فطريقته مشكوك في صحتها ، ومصادر معرفته سطحية . هذا الى دعوى وحذلقة لاتتفيان في حجب ما في أسس علمه من ضعف ووهن .

ومع ذلك كله ، لايمكننا ابداً ان نهمل ما اضافه غوبينو الى معلوماتنا عن الشرق . وهو جدير بأن يحتل مكانه بين تلك الفئة التي اشاعت في فرنسا صورة جذابة عن آسيا . ولذلك صح القول عن « القصص الاسيوية » ( بأنها من أجمل ما كتب في الادب الفرنسي عن البلاد النائية الغريبة ) .

والسبب في ذلك هو ان غوبينو كان يحس بميل حقيقي الى الشرق وبخاصة الى بلاد فارس . فبعد أن خرج من ضباب فرانكفورت ، أحب أشد الحب بلاد مصر الملونة الزاهية ، والقاهرة « المدينة الرائعة » وأحب حتى البحر الاحمر ووحشته وقفاره . ولكنه فتن على الاخص بمشاهد بلاد الفرس « الرائعة بعظمتها ، ونبلها ، وجمالها الطبيعي » حتى بدا له « أن ليس في الدنيا أجمل من سماء ايران المترعة نجوماً ، البراقة ، الصافية ، الناعمة » .. وفي كل صفحة من كتابيه ( ثلاث سنوات في آسيا ) و( القصص الاسيوية ) ملاحظة بارعة او لوحة رائعة ، او لفتة طريفة عاجلة . وكلها تشهد بمعرفة الكاتب معرفة كاملة وحية بالعادات الفارسية . وفي الحقيقة أن غوبينو متنزه لايتعب ولايمل ، يرى ويري ،

ويتمتع ويمتع ، وهو مؤرخ متهكم ، قد يكون سطحياً بعض الاحيان ولكنه ممتع لماع في اكثر الاحيان . وهو يرى في اوروبا انحطاطاً متواصلا محتوما ، وحماقات كثيرة ، وشنائــع مختلفة ، وينظر في مقابل ذلك ، الى الشرق ، فيبدو له في كل يوم ، صورة مضيئة مشرقة ، ومعيناً للشوق والحنين الى الصبا والهوى .

وجماع القول ان غوبينو ليس مستشرقـا . وليس عالماً ، بقدر ما هو شاعر يائس . فان كتابه « العجالة في تمـايز العروق البشرية » بالنسبة لتاريخ صدوره في ١٨٥٥ ، يبدو ملحمة رومانتيكية كثيرة الشبه « باسطورة الاجيال » لفكتور هوغو ( ١٨٥٧ ) لكنها ملحمة مترعة بفلسفة يائسة ، لان الانسانية محكوم عليهـا بالانحطاط المحتوم نتيجة لاختلاط العروق وتمازج الدماء . لقد ضاع ضياعا نهائياً نقاء الجنس الاصيل المنحدر من هضبات الافغانستان ، ولم ينج من هذا الانحطاط العام الا فئة قليلة ، ولم تكن نجاتها الا مجرد صدفة لاندري كيف تفسر ، لكن هذه الفئة الناجية هي التي تحتفظ ببعض النبل في دنيا فاسدة متهافتة .

هذه الفلسفة المتعالية الحزينة انما تعبر في الحقيقة عن حياة ضائعة فاشلة . فغوبينو لم يعرف في حياته الا الاخفاق تلو الاخفاق : في محاولاتـه الأدبية ، في حياتـه الدبلوماسية ، في مطامحه المجمعية ، في حياته العائلية . في صبواته العاطفية . ان آثاره التي خلفها لايمكن أن تعتبر اسهاماً في سير العلم وانمـا هي حديث عاطفي غريب حول قدره القاتم الكئيب .

●



قلم التحرير

## مسرحية وقطعتان للراديو

### تاليف : صموئيل بيكيت

SAMUEL BECKETT

Play . And Toa Short pieces for radio



تكفي الصورة الفوتوغرافية عن العمل أثناء تنفيذه لتعريف الـكاتب : فعلى مسرح مظلم ترتفع ثلاثة قماقم رمادية تبرز من فتحتهـا ثلاثة رؤوس بشرية : احداها لرجل ، والاخريان لامرأتين . وبذلك يبتعد بيكيت تماماً عن كل ماتعلمنا أن نربطه بمعنى كلمة « الدراما » . ان و« يني» المدفون الىمنتصفه في مسرحية« الايام السعيدة » ، يبدو انكاراً للحدث المسرحي . لكن هذه الرؤوس لاتتحرك مطلقاً ، ووجوهها لاتعبر عنشيء ولا تحس بشيء . واخيرا يتحدث كراب بصعوبة الى صوته المسجل الذي يأتيه من الماضي . ويجب أن نشير الى أن هذه الرؤوس لاتخاطب احدا سوى بقعة الضوء المسلطة عليها ( احيـاناً تتـكلم في آن واحد واحيانا بشكل فردي ) كما ان واحدها لايشعر بوجود الرأسين الاخريين. واذا كانت مسرحية ( انتظار جودو ) تنكر تطوير المسرحية عن طريق جعل الفصل الثاني في جوهره تكرارا للفصل الاول ، فان هذه المسرحية تصل الى حدود كونها «مسرحية تكرارية تماما» بفضل وسائل الاخراج المسرحي .

ان بيكيت ينبذ بالتدريج كل تقاليد المسرحية المعروفة ليقدم رؤيا للحياة ترفض كل الافتراضات التي نبني عليها افكارنا عن المسرح . فالحياة( اذا استطعنا ان نستعمل هذه الـكلمة ) التي يهتم بها المؤلف موجودة في ( الصمت والظلام ) ،مادامت جميع وسائل التعبير يساء تفسيرها . والمؤلف يفعل ذلك ليصل الى تعرية كاملة . والنتيجة المنطقية لتقديم الاحداث بهذا الشـكل ان يكون المسرح

في النهاية مظلماً فارغاً ليس عليه سوى بقعة من النور الشاحب الغامض تتحرك من مكان الى مكان دون هدف .

لكننا لم نصل الى هذه النهاية بعد . ففي بداية المسرحية ثمة ظل لوضع ما . وبينما يتجه النور الى الرؤوس واحدة تلو الأخرى ، بملاحظة واعية ، فان الرؤوس تتحدث عن ماضيها ، وتبدو احدى المرأتين هادئة في حين أن الأخرى عاطفية معذبة . كانت المرأتان تتنافسان على حب الرجل الذي أكد لكل منهما — وكان يعني مايقول — أنه لايستطيع العيش بدونها . ثم يتم الضوء الى منتصف ما كان عليه من الاشعاع ، وتستبدل القوالب العاطفية بحديث قليل الدقة ، حين تتحدث الرؤوس عن وضعها الراهن . انه يحتمل أكثر من الماضي ، بالرغم من أنه لايوصلهم الى الراحة التي يبتغونها ، لأنهم — على الدوام — يقظون ببقعة الضوء المسلطة عليهم ، مع أنهم يبحثون عن حقيقة لايعرفونها . وفي النهاية يتساءل الرجل ما اذا كانت بقعة الضوء « مجرد عين . لايهم ... هل يراني أحد ؟!! » ثم تبدأ المسرحية من جديد ...

حين تتكلم الرؤوس عن حالتها الراهنة ، نتبين أن كل شخصية تعتقد ان الشخصين الآخرين يعيشان معاً في مكان ما . غير ان الغيرة قد افسحت مكانها الرحمة . فالرجل يحس ان ماضيه العاطفي كان « مجرد .. لعبة » ثم يتساءل « حين حدث كل هذا .. هل كان مجرد لعب ؟ » ثم ينتظرون جميعاً الصمت والظلام .

ويبدو ان كل تجاربنا ، عاطفية او غير عاطفية ، ليست سوى نوع من « اللعب » يعذبنا فيه اكتشاف الذات لاينتهي ، بحثاً عن حقيقة خفية ، بحثاً عن الشيء الذي نعرف جميعنا انه غير موجود في تجاربنا التي نعيشها .

ان سيطرة بيكيت على اللغة ، تظهر في كل ما يكتبه ، لكن خطوات تقدمه تتقاصر بحيث تختفي عن العيان وتبدو كل واحدة منها شبيهة بسابقتها ، وان كانت هذه المسرحية تمتاز بصفاء صورها ودقتها ، مع نقص في الفني والتركيب يجعلها اقرب الى الكتابة التقريرية .

اما المسرحيتان الاذاعيتان ، بالرغم من انهما اعمال صغيرة من حيث المفهوم والمعالجة ، فانهما توحيان بالشعور السابق نفسه . وسواء أقرأنا « كلمات وموسيقى » او « كاسكندو » فاننا سنجد في كل كلمة ونغم عبثاً يشبه وصف حالة او قصة . وأكثر ما يأمل به ابطال المسرحيتين هو ان ينفذوا

« من خلال الرغوة
الى الأعماق السفلى
حيث يسترقون النظر
الى ذلك النبع »

ولعل من الأفضل لبيكيت الا تقتصر موهبته على تقديم البحث الطويل عن « النبع » بقوى تتلاشى تدريجياً ، وبقبول متزايد للهزيمة ، وانما عليه ان يسن قوانينها ايضاً .

●

## العلم والسياسة

## تأليف : الفايكونت هيلشام

Viscount Hailsham

Science and politics

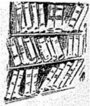
يقدم المؤلف نفسه في بداية الكتاب بقوله « أنا أول وزير للعلم في العالم وربما كنت الوزير الوحيد على حد علمي » . ثم يطرق موضوعه من احد جوانبه الحية ، فيدقق النظر في العالم الباحث وواجب الدولة نحوه . فهل هو نوع خاص من الناس او انه انسان عادي له طرق خاصة في اكتشاف العالم من حوله ؟ إن المؤلف يرفض مقولة وجود حضارتين احداهما علمية والاخرى أدبية ، بينما يتقبل القول بأن العالم تقتصر معارفه على الاشياء وكيف تعمل ، في حين ان صاحب الدراسات الانسانية تقتصر معارفه على الناس وكيف يعملون . وهو ينتقد المناهج العلمية في المدارس حين تعمل على حشو ذهن الطالب بالمعلومات . واذا كان من واجب المدارس ان تطلع الاطفال على أهمية العلم في حياتنا فمن واجبها أيضا ان تفتح النوافذ على الموضوعات الاخرى .

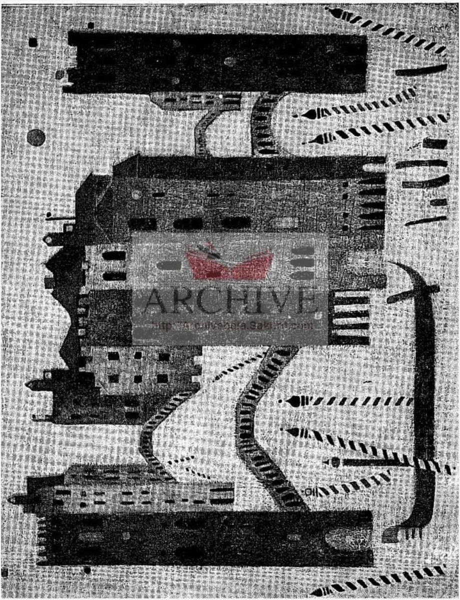
ان العالم الكبير مخلوق نادر ، واعداده صعب وليس بامكانك أن تأمر عالماً باختراع آلة معينة اكثر مما بامكانك أن تأمر اديبا ما بأن يكتب للمسرح مسرحية تفوق « هاملت » . وعلى هذا فان واجب الدولة يقتصر فقط على حماية العالم الموهوب والسماح لشخصيته بالتفتح . ويتلو ذلك ان تكف الدولة عن التخطيط للعلم . واكثر ماتستطيعه هو تشجيع الابحاث الاساسية التي تحتاج اليها في المنظمات العلمية التابعة للمؤسسات الصناعية والجامعية ويقول : « ان العلم بطبيعته صناعي . وحفنة قليلة من العلماء الذين يعلمون احتياجات اختصاصهم يستطيعون اذا كانوا على اتصال بالحكومة ان يحرروا انفسهم من الشعور بأن القرارات الحاسمة في مضمار البحث العلمي ، انما يتخذها رجال لاتؤهلهم ثقافتهم العلمية لذلك . فهل نيأس لكون العلم خاضعا لقرارات الهواة أم نظل معطلين في انتظار مجيء النابغة الذي يدير العمل ؟

ان ماتحتاج اليـــه أية أمة ترغب في دخول السباق العلمي هو جهاز وزاري فعال على رأسه وزير قادر على عزل الاسئلة الصحيحـــة حول احتياجات الامة عن بقية ملابساتها ، وقادر أيضا على ادارة المناقشات لاستخلاص النتائج العمليـة بالتعاون مع الاشخاص الرسميين وغير الرسميين ؛ كما أنه قادر على أن يقدم في مختلف المستويات ، الوسائل اللازمة للوصول الى نهايات حاسمة للمناقشات مع الاختصاصيين، ووضع كل ذلك موضع التنفيذ. فليس جهل الحـكام باحتياجات العلماء هو الذي يثير موضوع الصلة بين العلم والحكومة ؛ بل ان طبيعة العلم نفسه تجعله يتعارض احيانا مع اهداف الامة وفعالية الحكومة . لأن العلم انما يعنى بالحقيقة اولا وقبل كل شيء . وهذا مايجعله لايثير الاهتمام في حين ان الحكومـة تعنى بالقوة ، وتندفع في طلبها حيث وجدتها . »

والفقرة الاخيرة تدفع الـكاتب الى مناقشة مشكلة شديدة الاهمية حول مكان العلم من الحكومة التنفيذية . ان العـــالم ينتج سلعة تضطر الدولة الحديثة الى اقتنائها حرصا على سلامتها وثروتها وربما من اجل سعادة مواطنيها ايضا . لهذا يجب أن يتوغل العلم في كل دائرة في الدولة ، وكل فرع في الصناعة . ويقترح الـكاتب ان يكون لـكل دائرة في الدولة منظمة من العلماء، وهؤلاء يجعلون القرارات السياسية تتخذ على اسس علمية، وبذلك يزول التعارض بين احتياجات العلماء بعضهم مع بعض ، وبين العلم والسياسة عامة . ان المثل القائل « العالم الجيد هو سياسي رديء » لايدل الا على سوء الصلة بين الطرفين ، وينتج عنها سوء الفهم وسوء التوجيـــه الذي يؤدي الى كارثة سريعة .

●





## وثـائق الفـن

### الفنان

ولد لؤي كيالي في حلب عام ١٩٣٤ ثم سافر الى روما عام ١٩٥٧ لكي يدرس زخرفة الديكور وبعد عودته عام ١٩٦١ أقام معرضاً في صالة الفن الحديث تحت رعاية وزارة الثقافة والارشاد القومي . ثم اشترك في جميع المعارض الرسمية التي تقيمهـا الوزارة — معرض الربيع ومعرض الخريف — . كما اشترك في المعارض الدولية التي ساهمت فيها وزارة الثقافة ، مثل بينالي البندقية وبينالي سان باولو وبينالي الاسكندرية ، وقد اقام مؤخراً معرضاً لاعماله في ميلانو .



### اللوحة

اسلوب لؤي كيالي واقعي ، ولكنه يعتمد على اصول تكنيكية تجعل اعماله مشابهة لفن الفريسك القديم . اهتم لؤي بتصوير الوجوه والموضوعات الشعبية واللوحة المصورة في هذا العدد ، هي من مقتنيات وزارة الثقافة والارشاد القومي ( مديرية الفنون التشكيلية ) وقد استخدم فيها طريقة شائعة في اغفال المنظور ، كما تبين هذه اللوحة عـدم اهتمام لؤي بالألوان كثيرا واقتصار همه على التخطيط .

## شعراء وخلفاء (١)

### تأليف: الكاتب المهجري موسى كريم

تقديم وعرض الكاتب البرازيلي
سيزر سلفادور نائب ولاية سان باولو
— البرازيل



عندما نتحدث عن المدنية العربية يتبادر الى أذهاننا شيء اسطوري مدهش ولكنه لبعده يبدو كفردوس الله صعب المنـــال . ذلك أننا اذا استثنينا «الف ليلة وليلة» لانعرف مرجعاً ادبياً نستنطقه حقيقة ذلك العصر الذهبي مـــن تاريخ الانسانية . واذا نحن فتشنا مكاتب أدياننا لم نعثر الا على قدر يسير من المؤلفات ذات الطابع العلمي أو ما لايعـــدو الوصف السطحي « كجدول أسفار » لشاتوبريان و « رحلة في الشرق » للامرتين او ماهو أندر « كالمدنية العربية » لغوستاف ليبون .

واذا تعدينا نطاق الناشئين المحدود لانجد مايذكرنا بحياة ذلك الشعب العظيم سوى الصحراء حيـــث نتصور فارساً تعصف ببرنسه الرياح او قصوراً تكاد تكون من نسج الخيال تعكف فيها اميرات حالمات على تلاوة أقاصيص الحب والبطولة التي يبدو لنا فيها البدوي تسوطه ريح السموم في بحر مـــن الرمال لاساحل له ، أو هارون

(١) شعراء وخلفاء كتاب المؤلف الاستاذ موسى كريم صاحب مجلة ( الشرق ) باللغة البورتغالية .

الرشيد بمهابته وجلاله مغمض الطرف. وفي غفلة عن مشاغل ملكه المترامي لكي لا تفوته كلمة واحدة من حديث شهرزاد العذب الخلاب. وفي هذا الجو نذر من يعلم أين تبتدىء الحقيقة وأين ينتهي الخيال.

والراهن هو أن الحـوادث التي تحدد نشأة الأمة وأدوار نموها وتوثبها تتناوب فيها اليقظات والنقلات في أفق من البطولة الاسطورية، كومضات لم يخب بعد نورها.

ومن يطل بالفكر على العصر الجاهلي ويزيح الستار عن هاتيك القبائل في مسارحها ومضاربها ويتقصى أساليب تفكيرها وأخلاقها وعاداتها يجد شعباً فخوراً بقوميته مقدساً لحريته. وعلى تساهله وكرمه يُرى فردي النزعـة الى حد الغلو. وسكان الجزيرة العربية برغم ما يربط بينهم من وحدة الدم والتقاليد المشتركة مشتتون جغرافياً ومنقسمون سياسياً. الا انهم بمجموعهم يخضعون النظام القبلي.

وسيان أكانوا مخيمين في أطراف الصحراء المترامية او في دور دمشق الموصوفة بانهـا « الاعجوبة المكتوبة باصبع الله عـلى صفحة الارض» فان انشاد القصائد التي يتغنى فيها الشعراء ببوادر البطولة العربية جدير بأن يستثير نخوتهم واعتزازهم وينبض قلوبهم بايقاع عاطفي متسارع. ولا بدع ففي ذلك العهد كان الشعر عندهم اداة التعبير الوحيدة عن خلجات نفوسهم ومبلغ ثقافتهم كما كان الشاعر في وقت معـاً الامام والخطيب وبوق العشيرة ومؤرخها وعالمها.

ومـا أشبه عنترة الذي قيل فيه انه أشعر الفوارس وأفرس الشعراء بهوميروس شاعر الاغريق. من حيث استنطاقه أوتار قيثارته أناشيد الحب وأهازيج الوغى فتحس البلاد العربيـة بأسرها كأن أبياته الخالدة تيار عاطفي ينساب في عروقه ويحفز كيانها ونبوغها القومي الى التحويم فوق وسيع البحار وشاسع الأمصار.

وكان قد ولد في مكة في العام ٥٧٠ م من التاريخ المسيحي في أسرة هاشم من قبيلة قريش غلام سمي محمداً. ولم تنقض على هذا الحدث أعوام معدودة حتى أنكر أولئك الأقـوام آلهتهم وأصنامهم ليعتنقوا العقيدة التي قدر لها أن تقلب النظام السائد في ذلك العهد وقوامها « لا اله الا الله محمد رسول الله ».

ودوى في الشرق هتاف شعب يحدوه الظفر. انه لم يعد تلك الأمة الجوابة المكونة من بدو متمردين. بل هو اصبح دولة منتظمة ذات حدود ورعية وشرائع وحكومة. يتوج هذا كله مطلب أسمى وعقيدة واحدة شاملة.

ظهر محمد على مسرح الوجود يقتاد أتباعه المؤمنين وجنوده المدربين وقناته الحاذقين. وكان مـن شأن دعوته أن وسعت آفاق عصره الضيقة.

نصب كارليل في رواق أبطاله احدى عشرة شخصية وخص محمداً بفصل خالد اختتمه بهـذه العبارات:

« أمامنا شعب مكون من رعاة فقراء خاملي الذكر يهيمون منذ وجدوا في المجاهل

والقفار . ولكن قيض لهم بطل وني يأتيهم بشيراً فيؤمنون به ويشتهر امرهم في العالم بأســـره ويصبحون شعباً ذا اثر وخطر حتى انه في فسحة مئة سنةقبض باليد الواحدة على غرناطة وبالاخرى على دلهي . وزاده نور العبقرية استشفافاً وقيمة وظل نجمه يسطع وينير جانباً كبيراً من المعمور.

ولابدع فالايمان يحيي وينمي والأمة التي يعمر به قلبها تصبح ذات تاريخ وكلما عبت من ينبوعه الفياض اجترحت العجائب وازدانت بالمكرمات.

« وكأننا بهؤلاء العرب وهذا الرجل محمد وتلك المئة من السنين صاعقة انقضت على ذلك الصقع فأشعلت رماله الذكناء كما يشتعل البارود وامتد اللهيب من دلهي الى غرناطة . وما أصدق القول ان الرجل العظيم كالصاعقة تنقض مـــن السماء وكأنما الناس حزمة من الحطب تتوقع نزولها لتتحول الى نار آكلة » .



ذلك الشعب الذي كان حتى الأمس القريب اقرب الى البربرية يشع من عينيه وهج الصحراء بـــدأ قلبه يعمر بالايمان الذي يزحزح الجبال واصبح على وشك أن يضع أسس امبراطورية تمتد من الهند الى اسبانيا وتقوم على انقاض مجد الأعجام واليونان والرومان الداثر .

وحينما خفقت أعلام النبي ازدهاء بالنصر كانت تبدو اعجب ظواهر الكيان الاسلامي مؤذنة بتسود المدنية الجـــديدة بقوة المبادىء القومية اكثر منها بقوة السلاح .

لقد اجمع علماء التاريخ والاجتماع على ان الشرق كان على مدار التاريخ طريق الفتوحات الكبرى الذي سلكه الفرس واليونان والرومان ، وفيه وقف نابليون مطاولاً القرون الاربعين التي انقضت على بنـــاء الاهرام . ولكننا اذا فتشنا عن الآثار التي خلفها اولئـــك الفاتحون لنستدل منها عـلى معتقداتهم ولغاتهم وفنونهم لم نعثر الا على بضعة اطلال دارسة لاتعـــدو أن تكون ظلالاً بكماء لماض دفين . بعكس ذلك المدنية الاسلامية فقد تركت أجل الآثار وانطقها بكل مظاهر المدنية والتفوق في العجم وتركية وسورية ومراكش والجزائر وتونس والمغرب حتى الهند . وفي مصر الفراعنة الثابتة على الدهر والتي لم تكتف بمقاومة النفوذ الاغريقي والروماني بل فرضت على الفاتحين مدنيتها الدهرية — نرى في كل بقعة منها الآثار الناطقة بتفوق المـــدنية الاسلامية .

واليك بعض ماقاله نفر من اقطاب التاريخ والعلم والادب في العرب :

« ان الفتح العربي قد جلب معه الى حوض المتوسط مجرى فكرياً يترقرق فيه كل ماهو جميل وخلاب . وقد بلغ من شدة امتزاج الفرع بالاصل ان اصبح للمجرى الاصلي في بعض الاماكن طابع جديد » .

« اميل لودفيغ »

« ليس في التاريخ مثل يحمل على الاعجاب كالمقدرة التي امتاز بها الشعب العربي » .

« غوستاف ليبون »

« لولا الفتح العربي لتأخر النقدم العلمي في اوروبة عدة قرون» .

« ليبري »

ان المدنيـــة الاسلامية في آسيا الصغرى تستطيع ان تفاخر وتستثير اعجـــاب المفكرين برمزين للعظمة الاسطورية هما رجل ومدينة ، واعني بالرجل هارون الرشيد وبالمدينة بغداد . ان الخليفة العباسي العظيم وبطل « الف ليلة وليلة » الذائع الصيت اشتهر في جميع انحاء العالم المعروف في عهده وكانت بلاد التتر والصين والهند توفد الى بلاطه السفراء .

وبما يقوله المؤرخ « حتي » انه في مستهل القرن التاسع ساد المسرح العالمي عاملان خطيران هما شارلمان في الغرب وهارون في الشرق. وما من شك في ان هارون كان الاقوى ويسيطر على امة أعلى كعباً في مضار الثقافة بدليل أنه بينا كان الخلفاء يدرسون الفلسفة كان شارلمان ورجال بلاطه يتمرنون على كتابة اسمائهم .

وفي عهد هارون الرشيد (٧٠٦ – ٨٠٩) لم يكن قد انقضى على تأسيس بغداد اكثر من مئة عام ومع ذلك ارتفعت من بقعة جرداء الى مدينة ذات شأن عالمي واهمية دولية حتى اصبحت المنافسة الوحيدة لبيزنطية . وكانت ابهتهامساوقة لتقدم الامبراطورية التي ترأسها .

واذا نحن اخـــذنا برأي الاديب الساخر برناردشو وهو ان تفوق الشعوب يقاس بمقدار ماتستنزفه من « الصابون » وعلمنا ان بغداد كانت في ذلك العهد تضم واحدا وعشرين الفأمن الحمامات ، تبدى لنا سكان تلك العاصمة الزاهرة في مستوى فذ من الرقي الاجتماعي ، اذ هم كانوا بعكس اكثرية الغربيين على صلة دائمة بالماء ولا بدع فقد آمنوا منذ حداثتهم بقول الرسول : « النظافة من الايمان » .

لقد كانت بغداد عنوان الجمال الموشى ، او حلماً فنياً حققته عبقرية عنصر خلاق .

وبما يروى ان واحدا من خلفائها هددأحد امبراطرة القسطنطينية بشهر الحرب اذا هو أبى أن يبعث اليه احد الرياضيين الدائمي الصيت .

ان الهجرة العربية الى اسبانيا ولت مكتنفة بكثير من الذهب بهر لألاؤه الانسانية ، فما كان أشبهها بنيزك اخترق الفضاء في افق غسقي . ومن يتأمل لحظة صنيع الاسلام المدهش في شبه الجزيرة القشتالية لايسعه الا ان يشاطر تيوفيل غوتيه أسفه لتقلص ظل المغاربة عنها . وهاك ما قاله ذلك المفكر :

**« إني ماخلوت الى نفسي مرة الا أسفت لأن العرب لم يظلوا سادة اسبانيا إذ أنها باجلائهم عن ربوعهـــا منيت بخسارة لاتعوض » .**

وهذا قول لاغلو فيه بل هو محض اعتراف وجداني بحقيقة تاريخية .

ان مدنية الفاتحين كانت دون جدال أرقى من مدنية السكان الاصليين وما كانت التيجان الخمسة والعشرون التي كان يعتمرها ملوك القوط عندما احتل الفاتحون طليطلة لتساوي مجتمعة قولاذ سيف موسى بن نصير .

ان فتح افريقية البربرية كلف المحمديين معارك طاحنة دامت خمسين عاماً في حين ان اخضاع اسبانية تم لهم في بضعة اشهر .

ومما يقوله المؤرخ الثقة «حتي» بهذا الصدد :

« ان الحملة على اسبانية بالسرعة التي تحققت فيها وبالفوز التام الذي احرزته تعد من الاحداث التي لا ضريب لها في تواريخ الحروب في العصور الوسطى » .

ويضيف الى ماتقدم قوله : « ان الحقبة الاسلامية المجيدة في الغرب كانت ابلغ اثرا في مضمار الذكاء والثقافة منها في مضمار السياسة والحرب » .

والمجد الذي احرزوه كان بادي المعالم في جامعة قرطبة التي كانت اوفر مدن اوروبة ثقافة تليها جامعات اشبيلية وملقة وغرناطة . ولما كان منشئها عبد الرحمن الثالث كانت اقدم عهدا من الازهر في مصر والنظامية في بغداد وكان يؤمها الطلاب المسيحيون من اوروبا وآسيا وافريقيا .

اما المكاتب فقد كان اشهرها تلك التي انشأها الحكم في عاصمة الخلافة وقد احصي عدد ما كانت تضم من المجلدات باربعمائة الف .

ناهيك بالمكاتب الخاصة الممتازة . وهـذا النشاط الادبي في ذلك الزمن الخصيب مردود في رأي أشهر الرواة الى ان الاندلسيين كانوا تقريبا بمجموعهم يقرأون ويكتبون .

. واليوم وقد اوشكت أن تنقضي خمسة قرون على انحسار موجة الفتح تدل الاحصاءات في بلاد «السيد» ان النشاط الادبي قد انحط عن المستوى الرفيع . والادهى من ذلك ان تكون تلك الجناية قد ارتكبت ضد العرب بعد ان كانوا قد علموا اوروبة الاقطـاعية التساهل واحترام حرية الفكر .

وهنا نرى كما يقول القشتالي فيدل فرناندس :

« ظاهرة ذات اهمية كبرى يجب ان تستجلب الانتباه انظار فلاسفة التاريخ وهي ان حرية الفكر والبحث التي كلفت اوروبة الخرقة بعد قرون عديدة انهاراً من الدماء كانت تنعم برعاية الملوك المغاربة في غرناطة » .

واذا اعتبرنا بالآثار التي خلفها الفن المغربي إرثاً رائعاً في الاراضي الاسبانية بدا لنا كأن الزمن عينه قد ابقى عليها غير مجترىء على تشويه ذلك الجمال الخالد كجامع قرطبة باعمدته المرمرية الثمانمائة والستين ومصابيحه الفضية الثمانمائة التي يقول فيها تيوفيل غوتيه « انها من اعاجيب الآثار في العالم » . وقصر الحمراء وهو خلاصة الهندسة البنائية العربية وعنوان الفخامة والاناقة والجمال والكمال .

وتأتي بعد ذلك الزروع المنسقة كأنها قصائد منظومة بالنبت الاخضر تنساب بينهـا السواقي انسياب المعنى الرشيق في اللفظ الانيق وكأن خريرها العذب حنين الى الاصدقاء القدماء في ذلك العصر الذهبي من خلفاء واميرات وشعراء وفوارس وأقيال .

هي اسبانيا الاسلامية في القرن العاشر التي حسب قول ماسيه « تشع بجلال منقطع النظير » .

* * *

ان الاستاذ موسى كريم قد افادنا وسرح أبصارنا في ذلك « البستان المقفل » الذي كان الى عهد قريب المدنية العربية التي نسمع بها وتخفى عنا حقيقتها . وقد استطاع هذا المواطن الثقيف ان يضطلع بخدمة ممتازة لم يسبق للثقافة البرازيلية ان حظيت بمثلها فكل كتاب اصدره كان فتحاً

جديدا . انه لايألو جهدا في اطلاعنا على كل طريف معجب فاتحاً لنا آفاقاً جديدة نطل منها على الفن والجمال اللذين كانا دفينين في زوايا النسيان والجهل .

لقد ازاح موسى كريم الستار عن الشرق واظهر لنا عالماً عجيباً حتى ليمكن القول انه قد تجلى بشكل واحد من اولئك الامراء العظام في دمشق الذين كان يروقهم أن ينثروا على حشود المؤمنين قبضات من الدنانير .

ان مؤلفه الذي اجلّه النقد قد أحله منزلة سمياً لاينازعه فيها منازع وبفضله اصبح في الطليعة بين المستعربين من ادباء البرازيل .

لقد الفنا بين الفينة والفينة سماع العبارة المشمة الملوكة « ان هذا الكتاب او ذاك جاء يسد فراغاً » . وهي عبارة مطروقة تمليها المجاملة . ولكن هناك حالات وان تكن نادرة تأتي فيها هذه اللازمة المألوفة كالقفاز المحكم التفصيل . ومن هذا النوع الأخير مؤلف موسى كريم .

ما الذي كان في لغتنا القومية عن الثقافة العربية حتى طلع علينا هذا الكاتب المجيد بقسطه من الجهاد الادبي ؟ — لاشيء ! نعم ، لاشيء اذ لاشأن لمرويات الرواد لرتابتها وافتقارها الى الحيوية والتلوين وعجزها عن رسم طبيعة الارض فضلاً عن روحها . لذلك يعتبر مؤلف موسى كريم عن جدارة فصلاً جديداً تزدان به المكتبة الوطنية .

فمن واجبنا اذاً أن ننصفه ونعترف بجميله منوهين بالجهد العجيب الذي يبذله هذا العامل الأدبي النشيط والروائي العطري الذي يوسع الآفاق في مناطق عجز الفضول عن تبينها من خلال الاسطورة والخيال . ان كتبه بذاتها تغنيه عن كل مديح وتغمره بعطف وتقدير معاصريه وهي « خلفاء بغداد » ، « قصائد جبران » ، « مذكرات الامير امين ارسلان » ، « جدث في دمشق » ومؤلفه الاخير « شعراء وخلفاء » .

انها منتجات متعددة لمؤلف واحد . لم يُعْنَ موسى كريم بكتابة رسائل منسقة عن المدنية العربية ولكن يلاحظ في كل مؤلفاته الادبية الروح المتوثب عينه والخطوط الرئيسية لخطة مرسومة في نطاق واسع توصل الى الغاية السامية عينها . وقد تجافى موقف المعلم المرشد دون ان يتناول بالبحث والتحليل مواضيع سياسية وفلسفية تنزهاً منه عن المنجهية .

لقد اتحفنا هذا الكاتب الباولستاني المجيد بحقائق ووقائع التاريخ العربي الأخاذ ولا يسع القارىء عندما يأتي على مؤلفه الرائع الا أن يعترف بشيء قليل او كثير من الخجل بأنه الآن فقط اكتشف مدنية عظيمة .

ان موسى كريم يلقن القارىء امثولة دون ان يشعره بأن موقفه منه موقف الاستاذ .

وما كتابه هذا « شعراء وخلفاء » سوى مرآة صافية تنعكس على صفحتها صورة عالم مصغر ، برموز بالغة حد الاستهواء تجلو الحياة الاجتماعية والادبية والدينية عند العرب ،

وكم فيه من الحوادث المجهولة والصور الطريفة التي تتكشف لنا الآن باقتضاب اخاذ .

ان موسى كريم يرسم الملامح الانسانية كفنان عبقري انه يعلم ، ماهي الخطوط الجريئة

التي يجب أن تبدو بجلاء وتلك التي يضيرها الوضوح.

انه يعرّفنا فوراً بشخصيات الكتاب متجافياً الف والدوران والتفاصيل التافهة والاستفاضات المملة . حتى ليمكن القول ان الرسام يسير توّاً للاقاتنا مكتفياً بأن يلقي علينا السلام ويذكر لنا اسمه وسبب مجيئه .

لندن مثلاً من المتنبي ، ذلك الشاعر المحلق في سماء الالهام والذي يخضع له الوزن والقافية والصورة الفكرية خضوع الأرقاء .

ومن هو ؟ ان موسى يقول لنا منذ البداءة انه اعظم شعراء العربية في العصر الاسلامي . بعد ذلك يروي لنا شيئاً من غريب أطواره وطرفاً من حوادث حياته القلقة مستشهداً بمقاطيع من شعره تمور بالجمال ورقة التعبير وبراعة التصوير

أي شاعر سواه استطاع أن يشيد بشجاعة المحارب بمثل هذا البيت :

وقفت وما في الموت شك لواقف

كأنك في جفن الردى وهو نائم

ثم هو ينقلنا الى بلاط سيف الدولة امير حلب فنفاجيء المتنبي وهو ينشده قوله :

ألا ايها السيف الذي ليس مغمداً

ولا فيه مرتاب ولا منه عاصم

كان هذا الشاعر طموحاً لايشبع نهمه المجد الادبي وحده فادعى النبوة وجرت عليه دعواه هذه مناوأة خصومه . وها نحن نراه بعد ذلك طريداً في ظل عرش المغتصب كافور في مصر ينشد مفاخراً :

وما الدهر الا من رواة قصائدي

اذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

ولكنه لم يلبث أن خابت آماله بكافور فيمم وجهه شطر العراق وبلغ بغداد وشيراز.

وبينا هو يقطع في عودته الصحراء يصحبه ابنه وعبده تصدى له نفر من خصومه فآثر الموت على الهرب لرؤيته في موت الشاعر البطل أروع قصيدة يمكن أن تنظم في أي عصر وفي أية لغة . وهكذا أقدم ولقي حتفه محارباً .

وفي الصورة التي يرسلها لنا موسى كريم من هذا الشاعر الفذ دليل قاطع على قوة أسلوبه وبراعته في رسم الخطوط الرئيسية من ملامح الادباء حتى ان شخصية المتنبي كرجل وشاعر لتبدو لنا حية متوثبة .

وبالاسلوب عينه يرسم لنا موسى بقية الشخصيات وبينها المعري الشاعر الفيلسوف وهارون الرشيد الخليفة العظيم وأبا نواس شاعر الخمر وابن بطوطة ملك الرحالين وابن خلدون السابق والمجلي في علم الاجتماع .

في ( شعراء وخلفاء ) درس جليل يبدو لنا فيه موسى كريم عالماً ومحللاً لمشكلة من أكثر المشاكل الادبية اغراء في زماننا هذا وهي تأثير القرآن في اسلوب داتي في رائعته ( الاهزولة الالهية ) .

ان من يقرأ فصل ( محمد وداتي ) لايسعه الا أن يجزم بأنه افضل ما كتب في هذا الموضوع اذ هو يتناول فيه بالبحث كل ماقيل جدلا ونقاشاً واثباتاً ونفياً ويجيب على مايوردنه من تساؤل واحتمالات برأيه الخاص .

في هذه الصفحات نرى الى جانب الجمال الحسي الذي تمتاز به المؤلفات الفنية العقل الثاقب والفكر الخلاق والتأمل العميق . وكل هذه خصائص تبعث الحياة في مايبدعه الذكاء البشري .

فلنحي اذاً في شخص موسى كريم اول مستعرب ومنتصر بين كتابنا الوطنيين ، بل أمير الأدب البرازيلي .

# أغنيات للصمت

شعر : عبد الرحيم عمر
نشر دار الكاتب العربي – بيروت

نقد : محيي الدين صبحي

الجيل الذي شارف الثلاثين وتجاوزها عبر عن مأساته . امتلأ الشعر خيبة وضلالا ويأساً . وديوان « أغنيات للصمت » واحد من هذه الدواوين التي يرى الشاعر فيها نفسه وحيداً ضائعاً في سلالة من الضائعين اليائسين :

... ومصير جدك ينتظر :
الموت في الصحراء ، لاناع ولاباك عليك .
حتى ولامن قد يقص رواية الجيل الاسير على بنيك .

ومن الذي يدري :
فقد تسري ( رجاء ) كما سريت
لتعيش نفس الرحلة الجدباء ضائعة ،
وتمضي في المتاهات الموات كما مضيت

فليس الجد وحده قد ضاع ، ولاابناؤه ايضا ، بل احفاده واحفاد الاحفاد .. كل هؤلاء ينتظرهم هذا المصير الاسود ، تتلقفهم هذه الهوة السحيقة وما لهم عنها من محيص . قد يتملص الشاعر من مصيره . لكن محاولته الهروبية تفشل ، فيقف مع نفسه مناجياً :

المفر ? واين المفر ?
وفي كل صوب صليب وأسر !

ولايشمل هذا الموقف الشاعر ومجتمعه فقط ، بل يمتد حتى يشمل الشخصيات الاسطورية من امثال سندباد وشمشون ودليلة ، وابطال حكايا ألف ليلة ، والقرويين الذين يهاجرون هرباً من الظلم او من قصة حب فاشل :

شمشون جزت شعره دليله
وفاؤه وحبها خديعة وحيله

فلم يعد يخيفهم ولم يعد في عزمه عجائب البطولة ان نوعاً من العنة يغشى الكائنات في هذا الكتاب . ويجلل الذل جباه ابطاله وتعلو صفرة المرض لوحاته . ولكن بما انه خال من النبوءة

ولاتتجلى فيه رؤيا فان الموت لايشغل حيزا شعريا.

وبما ان المشاعر السلبية تؤدي الى الضياع على غير هدى ، واليس الى تمرد على قيم ، فان صرخات المقاومة الرعناء لاتوجه ضد شيء ولاضد احد ، انها مجرد صيحات في فراغ : ردود فعل سلبية لعدو مجهول :

اصرخ ، لعنتك ، صرخة الانسان

روعه هجوم الموت ، اسراباً من الاشباح ،

تسطو كالنسور ، تجفف الدمع المطل بناظريك

وتظل هذه الصرخات محاولات فردية يقوم بها الشاعر واصدقاؤه دون جدوى . ان من يسير دون ان يعرف اين يتجه ، لايصل الى مكان منشود . غير ان المشكلة في هذا الموقف العربي انه لايضع اللوم على نفسه وانما يحمل خيبته المؤكدة ، معنى للعالم ورمزا لفراغه وعبثه وسرابيته :

يا أخي الظمآن ، يامن يتمنى في أجاج الملح

ينبوعاً ليروى .

كل ما كان سراب

. . .

عبثاً كان سرانا ، عبثاً نجري وراء المستحيل

نحن احببنا ولكن دون جدوى !

انني اتأمل في هذه الالفاظ الزئبقية محاولاً ان اقبض على معنى لها . وايست محاولتي جهداً لايقوم على اساس . فأنا افترض ان هذا شعر يرمز الى شيء وراء الالفاظ . فمن البديهي ان ( الظمآن الذي يتمنى في اجاج الملح ينبوعاً ليروى ) صورة لانسان يتلهف الى شيء ولايجده ، فما هو هذا الشيء ؟ ان سياق القصيدة ومضمون الديوان بأكمله يصابان بالعي امام الاجابة على هذا السؤال . ويظل الديوان وصفاً لقافلة تسير على ضلال ، وتئن من فرط المشقة ، ويموت الناس فيها من اجل لاشيء ودون نتيجة ما :

حقباً من التاريخ قدمنا قرابين الخلاص

لكن سدى

فطريقنا المرجو ضيعناه ، لم يعرف قرابين الخلاص .

هذه هي القصائد الرمزية ( واستعمل هذا الاصطلاح لانني لم اجد غيره يحل في مكانه ) اما القصائد والابيات ذات المعنى الواقعي المحدد ، فانها هي الاخرى تنضح بالخيبة ايضاً ، وان كان السبب هذه المرة ظاهراً مفهوماً .

ففي قصيدة ( هارب من حلمه ) يقص الشاعر على انه كان قد غادر وطنه لولا اولاده . وفي قصيدة ( عائدون ياتشرين ) يذكر كيف ان العرب يملأون حناجرهم بهتافات العودة في كل مناسبة لذكرى احتلال فلسطين وتقسيمها ، لكن يمضي تشرين في إثر تشرين دون ان يعودوا ودون ان يحققوا شيئاً من امانيهم المنشودة . وكذلك في قصيدة ( اغنيات للصمت ) يكشف اللغز الذي يبدأ به حديثه عن الجدار فيقول :

بوركت ياجدار

فصمتك العميق صمت امتي العميق

الجرح في جبينها ، لم ينتزع

من صدرها شهقة آه

ويأسك المرير يأس امتي ...

←

ناجي

## شاعر الوجدان الذاتي

سلسلة مذاهب وشخصيات
– الدار القومية بالقاهرة –
تأليف : احمد عبد المعتصم بالله
٨٧ – صفحة . قطع كبير

### عرض ودراسة : عدنان الداعوق

في مقدمة ديوان « الطائر الجريح » آخر الانفاس الرقيقة التي نظمها الدكتور ابراهيم ناجي ، كتب الاستاذ الشاعر محمد عبد الغني حسن يقول :

« هذا هو آخر ما نظمه ناجي قبل ان يسكت الموت انفاسه ليرقد الرقدة الطويلة التي يستريح الجسم فيها بعد تعب الحياة :

ولقد مات الطبيب الشاعر ابراهيم ناجي في طبه ميتة جالينوس ، او ميتة راعي الضأن في سربه . كما قال شاعرنا القديم الحكيم ، ولكن الشعراء لا يموتون كما يموت الناس ، لان اصواتهم تأتي من وراء العالم البعيد في خلال الصمت الموحش ، فكأنها الاصداء التي يقول عنها ناجي :

صمت السهل ، ولكن اقبلت
من ثنايا السهل اصداء بعيدة

لقد عاش ناجي حياته حائراً معذباً . وعاش ظامئاً على كثرة الموارد حوله ، وجائعاً على وفرة الزاد عنده ، ومقيماً كالمسافر ، وثاوياً كالمهاجر .. بل عاش اكثر من ذلك :

فراشة حائمة على الجمال والصبا
تعرضت فاحترقت اغنية على الربى
تناثرت وبعثرت رمادها ريح الصبا

→

وتمضي المقارنة بين الجذار والامة ، بهذا الاسلوب الوسط بين الشعر والنثر ، متميزاً بالوزن والقافية . ان اسلوب القصيدة وطريقة ادائها عددان على الدوام ، بمضمونها وصورها . ولما كان هذا الديوان يحتوي على المعاني الادبية الشائعة فان اسلوبه وطريقة الاداء فيه يفقدان الطابع الشخصي لشاعر متميز ، بالاضافة الى بعض تأثرات واضحة بالبياتي وعبد الصبور . ان هذا الديوان الوافد من الاردن يدل على أن الموجة الجديدة في الشعر الحديث قد بدأت تأخذ مجراها في نفوس الجيل العربي الجديد كله .

نعم : لقد بعثرت الريح رماد تلك الفراشة الحائرة ، ولكن بقي من الوانها هذه الحزمة الفاتنة من الضوء والعطر والندى والرقة والصفاء ..

ان ناجي محب يترجم في رقة وعذوبة عن آلام المحبين وآمالهم ، وقد علمه الحب – على مافيه من صور الشقاء – ان يحب الناس والدنيا جميعاً ... فاتسع قلبه لكل طـــارق ، وابتسم ثغره لكل بارق ، وظل ذا كراً وهو يخاطب حبيبته في عزة المحب الكريم :

لست أنساك وقـــد علمتني
كيف يحيا رجل فوق الحياة

ان هذا الشاعر الذي لم ينس حبه لجدير ان يذكره الحب وان تذكره الحياة ...

يحاول الاستاذ احمد عبد المنعم بالله مؤلف « ناجي شاعر الوجدان الذاتي» ان يعطينا في كتابه صورة صادقة عن الشاعر محاولاً شرح كل ما اتصل بحياته. مبتدئاً بالشعر العربي قبل ناجي متناولا الشاعر العربي « محمود سامي البارودي » .. حيث ان كل قارىء لـــلأدب العربي الحديث يدرك ما لمحمود سامي البارودي من اياد بيضاء على القصيدة العربية فبعد ان ظل الشعر العربي يرزح طوال العصرين المملوكي والتركي تحت قيود البديع والمحسنات اللفظية وبعد ان كان هم الشعراء ان يتصيدوا تلـــك المحسنات وان ينظموا في تلك الاغراض التقليدية التي باتت من كثرة ما نظم فيها من اشعار ، نجـــد شاعر الثورة العربية محمود سامي البارودي ينهض بالشعر العربي نهضة كبرى فيعيد اليه ديباجته القديمـــة ايام المتنبي والبحتري وابي فراس ، ويخلص القصيدة العربية من الاغراض المبتذلة التي كانت تضع الشاعر في موضع المستجدي لعطاء الحـــكام ، ينافق ويداجي ويرائي في سبيل العطاء .

ولقد كان شعر البارودي مدرسة جديدة في الفتح الجديد امام الشعر الحديث ، تلي ذلك مدرسة شوقي التي تعد امتداداً لمدرسة البارودي التي شيد دعائمها ، ومع ان رواد هذه المدرسة وعلى رأسهم شوقي قد التقوا بالتجديد من غير عمد او تعمدوه ، نجد ان الطابع الغالب على هذه المدرسة وشعرائها من الذين نهجوا نهج شوقي من امثال حافظ ابراهيم واحمد نسيم واحمد محرم واحمد الكاشف ومحمد عبد المطلب ، كانوا ما زالوا يقولون الشعر في اغراضه التقليدية من مديح وهجاء ورثاء ووصف حتى ليمكننا ان نسمي هذه المدرسة مدرسة « الصياغـــة الموسيقية » .

ثم تأتي بعد ذلك مدرسة خليل مطران . ولعل اجدر ما يقال في منهجه قول الدكتور طه حسين في تحديد هذا التجديد بقوله :

« .. فطران ثائر على الشعر القديم ناهض مع المجددين ، وهو قد سلك طريق القدماء فلم تعجبه فأعرض عن الشعر ثم اضطر فعاد اليه

وحاول ان يعود اليه مجددا لا مقلـــدا ، وهو يعرض عليك في شعره شيئا من القديم لتتبين به مقدار ماوصل اليه من التجديد .

وأما المدرسة الثالثة فهي **جماعة الديوان.**

حيث حملت هذه الجماعة راية التجديد في مطلع القرن العشرين ووقفت في وجه حركة التقليد العاتية وراحت تحطم امارة شوقي الشعرية محاولة ازاحة شعراء التقليد من مكان الصدارة وكان اقطاب هذه الحركة - شكري والعقاد والمازني -

وكانت حركتهم النقدية في «الديوان» الذي اصدره العقاد والمازني هي اقوى حركة نقدية شهدها الشعر العربي الحديث .

وفي كتاب الديوان يصيح العقاد صيحته العاتية موجها الخطاب الى امير الشعراء شوقي حيث يقول :

« اعلم ايها الشاعر العظيم أن الشاعر من يشعر بجوهر الاشياء لامن يعـــددها ويحصي اشكالها والوانها ، وليست مزية الشاعر ان يقول لك عن الشيء ماذا يشبه وانما مزيته ان يقول ماهو ويكشف لك عن لبابه وصلة الحياة به » .

هذه الصيحة هي نفس تلك الصيحة التي جاءت في مقدمة الجزء الخامس لديوان شكري ، واخرى غيرها اطلقها المازني ثائرا على المفهوم القديم للشعر .

ثم تأتي بعد ذلك مدرسة المهجريين حيث كانت تتردد اصداء معركة ادبية قوامها الشعراء المهاجرون من ارض الشام الى الامريكيتين بحثا عن الحرية التي افتقدوها في وطنهم تحت نير الحكم العثماني ولم يكن غريبا ان ترتبط رغبتهم في تحرير وطنهم برغبتهم في تحرير الشعر العربي من القيود التي ظلت تثقله عبر قرون وقرون .

ويعلل الاستاذ عمر الدسوقي في - كتابــه « الادب الحديث » هذه النـــزعة الثورية لدى المهاجرين بأنهم ما ان هاجروا حتى شعروا بالحرية الواسعة ولاسيما حرية القول والعقيدة فانطلقوا على سجيتهم ... لقد كان ذلك اشبه برد فعل للكبت الشديد الذي عانوه في بلادهم وللحرمان المزري الذي دفعهم لترك الوطن الحبيب .

في الفصل الثاني يتعرض المؤلف حياة الشاعر ناجي ومولده وتأثير والده وثقافته وحنانه عليه .

فقد كان والده مثقفا واسع الاطلاع محبا للقراءة والشعر ، فنشأ في بيت يحـــترم الادب ويقدس الثقافة ، وحين كان ناجي في المدرسة الابتدائية كان يسمع من والده قصص ديكنز وكونان دويل وهاجارد يقصها على زوجتـــه واولاده وما كاد ناجي يحصل على الابتدائية حتى اهداه والده قصة دافيد كوبرفيلد لتشارلز ديكنز ، وبهذا زرع الأب في نفس ابنه روح الانسانية وعلمه التأمل والملاحظة ... واستطاع

بفضل هذه القصص وامثالها أن يحبب الأب ابنه في الأدب ويخلق منه شاعراً .

وما كاد ناجي يبلغ الثانية عشرة من عمره حتى بدأ في نظم أولى قصائده وحين لمح الأب اتجاه ابنه نحو الشعر اخذ ينمي فيه هذه الروح فبدأ يقدم له دواوين الشعراء من امثال شوقي والمتنبي وحافظ ابراهيم ومطران والشريف الرضي. وتبدأ موهبتـــه في التفتح نراه متأثراً بوضوح بمطران وشوقي والشريف الرضي .

وتشاء الظروف ان يلتقي ناجي بأستاذ له يتوسم فيـــه شيئاً لايعلمه جعله يؤمن بأن ناجي يستطيع أن يكون نابغة في الرياضيات ، فوجه الاستاذ كل الاهتمام الى ناجي حتى كان تأثـــير الأستاذ على تلميذه وعـــلى مستقبله كبيراً فغير التحاقه بالقسم الادبي ، والتحق بالقسم العلمي .. ولتقدمه وتفوقه دخل ناجي كلية الطب .

يقول الاستاذ احمد الصاوي محمد في مقدمة ديوان وراء الغمام : « يكاد يكون ديـــوان ناجي قصيدة واحدة . : وقصيدة حب » .

ويصفه الدكتور احمد زكي ابو شادي بأنه « شاعر اللهفة » ويصفه الدكتور محمد منـدور بقوله : « ناجي قصيدة غرام » .

من هذه الاقوال الثلاثة يفرد المؤلف الاستاذ احمد المعتصم بالله فصلاً خاصاً عن « ناجي شاعر الوجدان الذاتي » ليلقي ضوءاً ساطعاً على حياة ناجي العاطفية .

ولعل قصيدة « العـودة » تحكي قصة الحب الاول والأخير في حياة ناجي . . هـذا الحب الذي لم يكتب له النجاح والاستمرار فكان له اكبر الاثر في حياة ناجي وفي شعره ولسنا ندري امن حسن حظ الشعر العربي إم من سوئه هذا الغرام الفاشل الذي خلف اروع الأشعار التي تركها ناجي .

هـــذه الكعبة كنا طائفيها
والمصلين صباحـــاً ومساء
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها
كيف بالله رجعنـــا غرباء
دار احـــلامي وحبي لقيتنا
في جمود مثلما تلقى الجـــديد
انكرتنا وهي كانت ان رأتنا
يضحك النور الينا من جديد
وطني انت ولكني طريـــد
أبـــدي النفي في عالم بؤسي
فاذا عـــدت فللنجوى اعود
ثم امضي بعد ما افرغ كأسي

تلك هي قصيدة « العـودة » التي قال عنها الدكتور مندور : « انهـــا من روائع النغم الحـــديث » . بل هي رائعة من روائع الشعر العربي على الاطلاق يرجع الفضل في الهـــام الشاعر بها الى حبه الاول الكبير ، وسنقـدر هذا الحب الفاشل حق قدره اذا استعرضنا شعر ناجي ، فهذا الحب هو الملهم الاول لكل ماقاله ناجي من شعر الحب . . . وهل قـــال غير شعر الحب ؟

واذا كان ناجي هو شاعر التجربة الذاتية الذي قضى العمر كله في التعبير عنها ، فانه ايضاً كان يلمس بحكم ثقافته الواسعة ومشاعره الانسانية الفنية مافي تجارب الآخرين من عمق وانسانية

بل انه ليعطينا صورة رائعة لتجربة أحدى الراقصات في قصيدة « قلب راقصة » ولعل هذه القصيدة بالذات هي خير شاهد في هذا المجال لأن جدلاً كثيراً قد ثار حولها ...

ويتحدث مؤلف « ناجي شاعر الوجدان الذاتي » في فصل آخر من الكتاب عن الملامح الفنية في شعر ناجي ، فيورد قولا للدكتورة نعمات احمد فؤاد ، فيلقي هذا القول حزمة ضوئية على خصال الشاعر الفنية فتقول ؟ « يمتاز ناجي اول ما يمتاز بانه شاعر لايكتب الا مايتحرك له حسه ويفيض به خاطره والشعر عنده عاطفة ثارية تتشكل في الاسلوب الذي يلائمها والقالب الذي يتساوى معها . » أما ناجي نفسه فيعبر عن شعره بشكل آخر فيقول في حديث عن نفسه :

« الشعر عندي هو النافذة التي اطل منها على الحياة واشرف منها على الابد وما وراء الابد ، وهو الهواء الذي اتنفسه ، وهو البلسم الذي داويت به جراح نفسي عندما عز الأساة .. هذا هو شعري ... » ولعل أصدق وصف يمكن ان يوصف به شعر ناجي هو « الشعر المهموس » ذلك الشعر الذي ينساب الى النفس في هدوء ورقة في غير ما صخب ولا ضجيج ، فالشاعر لايقف على منصته ليخطب في سامعيه ، ولكنه يسر اليهم ويشاكيهم ويتسلل الى قلوبهم رقيقاً كالنسيم .

ولقد تناول النقاد على اختلاف مدارسهم شعر ناجي بالنقد والدراسة ويمكننا ان نستخلص في النهاية وبنظرة اخيرة الى الملامح الفنية في شعر ناجي نجد انه قد جدد الى حد بعيد في مضمون قصائده وجدد الى حد ما في شكلها . وقد أثرى ناجي لغتنا العربية بتجارب فنية رائعة صاغها لنا في قوالب ساحرة ولغة عذبة ، وبعض من هذه الميزات جعلت ناجي علماً من اعلام جيله ، جيل التجربة الذاتية والتعبير عن العاطفة والوجدان .

واذ تقترب نهاية ناجي نجده يصدم مرة ثانية بعد فشله في حبه الاول ، صدمة ثانية بعد قراءة مقال نقدي للدكتور طه حسين اثر صدور ديوانه « وراء الغمام » فيقول فيه قولا جارحاً ، وقرأ ناجي النقد بينما كان في لندن ، واسودت الدنيا في عينيه ولم يعد يبصر شيئاً فخرج الى الشارع وهام كالمشردين ، وبينما هو كذلك يطوف ويطوف تصدمه سيارة فتكسر ساقه فيضطر الدخول الى المستشفى وتجري له عملية ، ويشفى فيها ويعود الى الوطن وقد قرر ان يترك الشعر ، الا انه لم يترك الادب.. بل ظل ينتج وقلبه يفيض بالمشاعر الرقيقة الهائلة ، حتى أتته الصدمة الثالثة ، حين أخرج من عمله كطبيب في وزارة الاوقاف عام ١٩٥٢ ، . وهو مايزال في الخامسة والخمسين من عمره .

وكانت صحة الشاعر في تلك الفترة قد تدهورت فهو يبدد ليله في السهر ولا يعود الى منزله الامع الصباح ، ثم يخرج الى المقهى ظهراً ثم يذهب الى عيادته في المساء ... ومن ثم يبدأ حياة الليل وما فيها من سهر واحاديث وانفعالات ، وفي تلك الدوامة لم يكن الشاعر يفيق ليرعى صحته

←

## رسائل في حضارة البؤس

تأليف : ندرة اليازجي

## الكندي ، الفيلسوف الموسيقار

تأليف : مجدي المقبلي

### نقد عدنان بن ذريل

رسائل في حضارة البؤس ، أدب تأملي ، هادف ، في الانسان ، والحضارة ، يمزج التقرير بالمعيار ، والتغني بالمثـــال ، بوصف السقوط ، والتحذير من التردي .. وقد دبجتها يراعة الاستاذ ندره اليازجي ، بروح ناقدة ، فاحصة ، فأظهر محاذير المثالب ، وحدد سياج القاعدة ، كما دلل على الداء ، ووصف الدواء ..

والمذهب الانساني المؤمن ، القـــائم على أساس من الفضيلة ، والتقوى هو ، في الحقيقة ، محور هذه الرسائل ، وسياج قواعدها ، ومرتاد تجربتها ، وقد جعله المؤلف سبيله الى التغـــني بالمعرفة ، والتأمل ، والخير المطلق ، والانسان ، علاوة على انه صبغه بصبغة طبيعيـة ، مثالية ، ظلت تجنح به وراء المصطلحات ، والمظاهر ، حيث المبادىء ، والحقيقة ..

يرى المؤلف ان الحضارة تكمن في قلب النزيه ، الامين ، وفي ذلك يقول : ـ تكمن الحضارة في قلب الانسان الشجاع الذي تتمثل فيه الحكمة وتبرز فيه الفضائل . انها تكمن في الانسان الذي يخدم مجتمعه بوسيلة حقة ، هي الخدمة التي لامقابل لها .. ـ ص ٨٦ ، ومعنى ذلك انه حصر نظرته الى الحضارة ، في الانسان وعلى الخصوص فضائله ، وسموه !

→

العليلة ـ فقد كان عليلاً منذ طفولته ـ ولم يكن يهتم بأكل ولا بشرب بالاضافة الى انه مر بعد خروجه من وظيفته بأقسى ايام حياتـــه فمعاشه محدود وعملاؤه من المرضى لم يكن اغلبهم قد تعود ان يدفع اجراً للطبيب الانسان .

وفجأة ، جاءته النهاية في ٢٤ آذار سنة ١٩٥٣ وكان الشاعر الطبيب يعالج احد مرضاه وبينما يتسمع الى دقات قلب مريضه مات هو ، مات الطبيب الشاعر والانسان ، مات جسداً ولكنه مازال وسيظل ابدا روحاً هائمة في سماء الكون طالما تغنى به وانشد اعذب واشجن الحانه .

وأن صفحات الرسائل تمج بالتحليـــلات ، والأوصاف في الفضيلة الانسانية ، والسلوك القيم كما ان المسحة المثالية ظاهرة عليها ، ابتداء من الايمان بالطبيعة ، والتفنن بها ، يقول المؤلف:

ـ ان مانراه من فوضى وشقاء وتعاسة الناس يعود الى انهم تجاهلوا القوانين الطبيعية . . وبما ان الطبيعة لاتبرهن الا عن المثال ، لذلك فأن كل مبدأ طبيعي يعتبر مثاليا .. والانسان الذي تتعارض مفاهيمه والطبيعة يفنى ويموت ، وذلك لان القوانين الطبيعية تهدف للمثال اي الخير. ومن تجاهل المبادىء الكونية ينحرف ،ويصيبه التحول ، ويعتريه المرض .. ـ ص ٤٦

وقد لوحظ على هذه الرسائل انها لم تخرج عن دائرة الانسان ، او مثاليته، في حين ان من المعروف علميا ، اليوم ، ان الحضارة مستوى معين من التمدن الاجتماعي ، والرقي الانساني.. ولذلك نتساءل كيف أهمل المؤلف الجانب الاجتماعي ، المادي ، والواقعي ، الملموس ، في حيوات ظواهره ومؤسساتــه ، من تجمع ، وعمران ، وتنظيم ، وتخطيط ، وعــلوم ، وفنون ومقتنيات ، وصنائع ، وانجازات؛ انها في الحقيقة قطاعات اساسية ، وهامــة في الرصد الحضاري ، والانساني نفسه ..

يضاف الى ذلك ان هذه الرسائل يغلب عليها الحس التشاؤمي في وصف الواقع ؛ فحضارتنا في نظر المؤلف فاسدة ، مريضة ، مهددة بالفناء ، انهزامية ، وصولية ، والى ماهناك من اوصاف نجدها في تضاعيف الرسائل ؛ ولكن هذه الاوصاف في نظرنا مبالغ فيها ؛ وحقاً نحن لم نبلغ اليوم في نهضتنا ، وعمراننا الكمال ، ولكنا في مراحل تطور خيرة ، ومعطاءة ، لايلائمها الا الانصاف في الرصد ، والامانة في التقييم ..

وعلى كل حال ، تظل للمؤلف ميزة المبادرة الى الدعوة الى الحقيقة ، والخير ، والتغني بالانسان والانسانية ؛ وهو الذي ماينفك يقدم للقراء دراساته في المجتمع ، والاشتراكية ، والحضارة؛ وما احوجنـــا اليوم الى الايمان بالانسان ، وانسانيته ، وقيمته ، وفضيلته .

• • •

من حسنات نهضتنا الفنية الحديثة ، اهتمام الدارسين فيها ، بتاريخ الفنون العربيـــة ، ومدارسها ، واعلامها ؛ وقد صارت موضوعات الفنون العربية اليوم موضع العناية عندهم ، وموضع البحث ، والتمحيص ، ينقب عنها يوماً اثر يوم ، بعد ان كانت الدراسات فيها قليلة ، نادرة بيننا ، أو كانت وقفاً على المستشرقين .

والاستاذ مجدي العقيلي موسيقي بارع ، خدم فن الموسيقى ، تأليفاً ، وتلحيناً ؛ وقد درس الموسيقى في معاهد ايطالية ، والف مايقارب الاربعة عشرة كتابا ، كما لحن عشرات القصائد ، والموشحات ؛ واليوم هو يتحفنا بسلسلة اعلام الموسيقى العربية ، فيجلو صفحات مدارسها ، واعلامها ، مثل الكندي ، والفارابي ، والارموي وزرياب ، وغيرهم ..

والكندي اول دارس في الموسيقى العربية على طريقة الاغريق ؛ فهو من مدرسة شراح الاغريقيين ، الذين حرصوا على تطعيم الموسيقى

العربيـــة ، بالعلم الاغريقي ، دون ان يهملوا خصائصها الاصيلة ، ومكتسبات تجربتها الفنية ..

وقد اظهر المؤلف أسبقية الكندي ، في كثير من موضوعات الموسيقى ، مثل السلم ، او الايقاع ؛ ومعروف ان البحث الموسيقي في زمنه كان ينحصر في هذين الموضوعين الهامين ، وعلى الخصوص الايقاع ؛ ولم يكن اوسع فيه ليطرق المقامات المختلفة ، واستخراجها ؛ ومع ذلك تحدث المؤلف في مقام الباقي في سلم الكندي ، وعوده ، كما تحدث في فن الاصطحاب ، الهارموني ، الذي تعرض له الكندي ، واورد عليه مثالا ؛ لوطة زكريا يوسف ...

ومن ابرز موضوعات الكتاب ، بحث سلم الكندي ، وهو سلم الشراح الاول اصطنع فيه المؤلف الطريقة الحسابية ، باعتبار طول الوتر ٦٠ سم . ويتألف سلم الكندي من اثني عشر جزءاً صوتياً ، وبني على اساس اطوال الاوتار وركب على حسابه الخماسيات المتتالية ، ودونت اصواته بالرموز الأبجدية العربية ... واما اسماء اوتار عود الكنـــدي ، فكان يطلق على وتر المثيران ، البم ، وعلى وتر الدوكاه ـ المثلث ، وعلى وتر النوا ، المثنى ، وعلى وتر الماهور ، الزير ، وعلى وتر الماهور الحاد ، الزير الثاني .

وقد اظهر المؤلف ايضاً بالطريقة الحسابية حسابات السلم الفيثاغوري ، والسلم المعدل الغربي وتقسيات البعد الطنيني ، في عودي الكندي ، والفارابي ، والطبقة الصوتية في سلم الكندي ، كما وضع جدولا حديثاً باسماء النغمات الكندية ، وتحديد طبقاتها ...

ويمثل هذا التتبع ، والجهد ، بشرح نصوص الكندي الموسيقية ، واظهار حساباتها ، واظهارها بالطرق الحسابية الحديثة ، او الترقيمية الحديثة ايضاً ، بالنسبه للايقاع ، عمل المؤلف ، واستطاع اذ يجلو الكثير من المباريات العربية الاولى في الموسيقى .

وقد اعتمد المؤلف في ذلك كله على مصادر عدة ، ومختلفة ، عربية ، وغربية ، حرص على ان يحيل القاريء عليها ؛ ومنها مثلا ، مخطوطات الكندي ، الموسيقية ، التي حققهـــا ، ونشرها الاستاذ زكريا يوسف ، بعنوان : مؤلفات الكندي الموسيقية ، وغيرها .. والكتاب يسد متطلباً هاماً في المكتبة الموسيقية العربية .





# كتب جديدة

يقدمها قلم التحرير

## قصة الذرة ــ تأليف المهندس وجيه السمان :

صدر كتاب « قصة الذرة » عن وزارة الثقافة والارشاد القومي وقد نشرته دار « الفن الحديث العالمي » وهو من تأليف المهندس وجيه السمان ، والكتاب يسرد تاريخ الذرة وتطور مفهومها والاكتشافات التي حدثت في نطاقها ثم يذكر تطبيقاتها المختلفة : المدنية منها والعسكرية وبيان الوضع الجديد الذي نجم عن دخول الانسانية في عصر الذرة .

وقد راعى المؤلف فيه التبسيط الذي يلائم طبقة المتعلمين . وهم بالدرجة الاولى فئة الذين مروا بالشهادة الثانوية العلمية ، ولا يعني ذلك أن هذا الكتاب موجه الى هؤلاء وحدهم ، بل ان أكثر فصوله سهلة جداً لاتخرج عن سوية مايذاع يوميا في الصحف والاذاعات عن شؤون الذرة .

وهو ليس كتاب فيزياء ولا كيمياء . لذلك فان اكثر التجارب الاساسية التي ورد ذكرها فيه انما سيقت لضرورة التاريخ ولما يقتضيه المنطق في تسلسل الوقائع العلمية وفي استنتاجها من بعضها بعضا . كما هو شأن البنيان العلمي في جميع فروعه.

وقد اتبع المؤلف في انشاء هذا الكتاب المصطلحات العلمية الدارجة في سورية . سواء أكان ذلك في التعليم الثانوي أم في التعليم العالي. وهي لاتختلف كثيراً عن المصطلحات الدارجة في البلاد العربية الاخرى . وحاول أن يضع بعض

المصطلحات الدارجة في الصحف والاذاعات بشكل غير مناسب .

ان هذا الكتاب يساهم بتشويق الشبيبة العربية الى الاقبال على الدراسات الذرية ، كما يدفــع الحكومات العربية الى الاهتمام بشؤون الذرة وايفائها ما تستحق من عناية واهتمام .

ويقع الكتاب في ٤٩٥ صفحة من القطــع الكبير ويباع بـ ٤٧٥ ق.س .

## الصهيونية جريمة العصر الكبرى — تـأليف عبد اللطيف شرارة — دار المكشوف ـ بيروت

يلقي هذا الكتاب الضوء على جريمـة العصر الكبرى « الصهيونية » واغتصابها ارض فلسطين العربية . واصولها ودوافعها واهدافها ، والقائمين بتنفيذها ، والمشاركين في حدوثهـــا حتى اذا ظهرت الحقيقة واخذ العدل مجراه ورجع لـكل ذي حق حقه حلت الهزيمة النهائية بالصهيونية وانصارها .

ذلك بان أفضل حل لقضية فلسطين ان تستعيد الدول العربية ، المستقلة الاعضاء في جامعة الدول العربية ، استقلالها الصحيح في تنظيم شؤونها الداخلية . وتركيز كيانهــا على أســس علمية وتوطيد علاقات بعضهــا بالبعض الآخر على نحو يهدف الى خير الاسرة العربية والتخلص من رواسب الماضي ومنازعاته وحماقاته واخطائه .

بيد ان هذه الامور ، الاستقلال الصحيح ، التنظيم الداخلي ، التركيز العلمي ، التعاون المثمر ، الافادة من اخطاء الماضي ـ تحتاج بمجملهــا الى دراسات دقيقة . والخلوص الى مقررات نهائية ثابتة والسير قدماً في تنفيذها .

وقد جاء هذا الكتاب في قسمين : الاول شرح مجمل للازمة التي بدأت مع قيام الصهيونية ، والثاني محاولة وضع حل عربي لهذه الازمة .

وكان من الطبيعي ان يهتم الاستاذ عبد اللطيف شرارة بالخطوط الـكبرى في العرض ، دون تشديد على التفاصيل التاريخية ، وهي تفــاصيل مبثوثة في اكثر الكتب التي تناولت قضية فلسطين بمختلف اللغات .

ويقول المؤلف في مقدمته :

اما الحل فقد اضطررت ، في وضعه ، الى معالجة القضايا الفلسفية الكبرى على ضوء التجارب التاريخية ، ومقارنة الآراء الاجنبية بواقع الفكر العربي قديماً وحديثاً .

وقد سبق للكاتب ان نشر بعض فصول هذا الكتاب في المجلات والصحف ليرى مدى ما تلاقي من تفهم من جانب وقبول او رفض من جانب آخر . فأفاد من بعض « النصائح » ــ على حد تعبيره ــ وتدارك العديد من الأخطاء .

وهذا الكتاب ــ بعد ــ ليس سوى محاولة ترمي الى توضيح ما غمض وكشف ما استتر .

وقد اصدرت الكتـــاب دار المكشوف في بيروت ويقع في ٢٨٠ صفحة من القطع الكبير .

## « مي » اديبة الشرق والعروبة — تأليف محمد عبد الغني حسن ــ القاهرة

عرف الاستاذ محمد عبد الغني حسن بتتبعــه

لقصة « مي » منذ ولادتها وحلقاتها الفكريــة وآثارها . واحد كتبه عن مي بعنوان « مي » أدبية الشرق والعروبة » كتاب جديد بما اضاف اليــه من زيادات ومراجعات كثيرة ، وبما وسع فيه من ابواب جديدة استجابة لرأي ناقد وتوجيه موجه حتى لقد خرج بهــذا عن أن يكون طبعة معادة .

ان تقديم هذا الكتاب بعد اثنين وعشرين عاما من وفاة مي حيث استحدثت فيها امور وتغيرت معالم ، وتحقق فيها بعض ما كانت تمني به نفسهـا من احلام لنهضة النسوية والمرأة العربية ، ليدل دلالة واضحة على أن أفكار « مي » التي لم تكن تهضم في ذلك الحين لتبــدو الآن كم هي ناضجة وواعية ومدركة للأسس التي يبنى عليها المستقبل .

وقد ضم الكتاب عناوين مقسمة على اساس مراحل مي منذ ولادتها ونشأتها ثم نشاطهــا الفكري والاجتماعي فوفاتها وهي على التوالي : دراسات وملامح ــ احاديث عن مي ــ منتخبات من مي .

ولدت « مي » قبل مطلع القرن العشرين ببضع سنوات في الناصرة بفلسطين العربية وتوفيت في القاهرة عام ١٩٤١ .

وقد صدر هذا الكتاب عن دار « عالم الكتب » في القاهرة .

## لبيد بن ربيعــة العامري ــ تأليف يحيى الجبوري

وقع اختيار الاستاذ يحيى الجبوري على الشاعر لبيد بن ربيعة العامري ليكون موضوع هذه الدراسة لانه كان ممثلا للشعراء المخضرمين الذين عاشوا دهراً في الجاهلية وزمنا في الإسلام ويعــد لبيد من هؤلاء في الطليعة اذا استثنينا حسان بن ثابت شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام .

ولبيد شاعر من الفحول وهو من شعراء المعلقات البارزين وقد وضعه النقاد القدماء في المكانة اللائقة به واعتبره بعضهم افضل شعراء الجاهلية والاسلام واقلهم سقطاً ولغواً . ولبيد هذا ــ عدا خضرمته ــ مثل للقمة من اصحاب المعلقات فأهميته تقوم على انه البقية الباقية من شعراء الجودة والفصاحة والمذهبات ومع كل ذلك فان الدراسات الجامعية والادبية لم تضعه في المكانة اللائقة به . بــل صار منسياً عند الباحثين والكاتبين او كالمنسي اللهم الا القلة التي تناولته بالدراسة العاجلة المرتجلة وبأحكامها الواهمة .

ولم يكن لبيد من الشعراء الذين يمرون عبر الزمان ولا يخلفون غير ديوان شعر وبضعة اخبار ، بل كان رجلاً شاعراً فارساً كريماً من الاجواد وكان قــد آلى على نفسه ان يطعم ماهبت الصبا ، التزم بذلك في حياته الجاهلية وتمسك بسنته هذه في ظل الاسلام وقد صار مذكوراً بين الناس بخصال تفرد بها . فصارت أخباره ومآثره احاديث الناس سوقة وملوكاً وامراء وخلفــاء .

وقد صدر هذا الكتاب عن مطبعة المعارف بمساعدة وزارة المعارف في بغداد .

## قلعة طروادة التاريخية — للاستاذ محمد معروف الدواليبي

كتيب صغير يكشف عن الهجرات العربية القديمة منذ ماقبل التاريخ ومابعده ، وخاصة الكنعانيين الفينيقيين منهم : الى كل من شمالي افريقية واسبانية وفرنسة ، والى شبه جزيرة البلقان في تراقية واليونان وايطالية ، كمايكشف عن وصول الهجرات العربية القديمة عن طريق البحر الاسود بصورة خاصةالى كل من قفقاسية وبحر الخزر « قزوين » هذا من جهة . والى ترانسيلفانية وسلوفاكية واعالي بوهيمية في المانيا عن طريق مجرى الدانوب من جهة ثانية . واخيرا الى فرنسة والجزر البريطانية وايرلندة والدانارككة واسكنديناوة من جهة ثالثة .

وكل ذلك في طلب المعادن وخاصةالرصاص وللتجارة ونشر الحضارة . ويكشف هـذا الكتيب بصورة خاصة عن ان مدينة طروادة التاريخية على مدخل الدردنيل ماهي الا احدى ثلاث مدن عربيةقديمةعلى نهري النيل في مصر والسين في فرنسة وعلى مضيق الدردنيل في آسيةالصغرى ، وترجع جميعها في اصولها الى اجداد الكنعانيين الفينيقيين ، وانهـــا قد لعبت دورا اساسيا في ايصال هذه الهجرات الى اوروبة وبصورة خاصة الى اواسطها عن طريق مجرى الدانوب وان ظهور الحضارة الاوروبية في تاريخها القديم سواء في صورة بوادر حضارية صناعية في اعالي الدانوب واوروبة الوسطى ، او شكل قوي دولي في « ايتورية » من شمالي ايطالية ، واخيراً في اليونان من شبه جزيرة البلقان .

ما كل ذلك الا أثر من حركةالشعوب العربية القديمة وخاصةعن طريق طروادة . نحو اوروبة فيما قبل التاريخ وبعده .

**نشرت هذا الكتاب مكتبة لبنان في بيروت .**

تقديم قلم التحرير

- الاسلام ثورة دائمة ، حديث لوزير الاوقاف الجزائري
**المعرفة — الجزائر**

- الشعر بين الجمود والانطلاق بقلم مير بصري
**القلم — بغداد**

- ثورة الشكل وثورة المضمون في الشعر المنطلق
**مجلة الشعر — القاهرة**



## المعرفة — الجزائر

اصدرت مجلة « المعرفة » الجزائرية بمناسبة اجتيازها عامها الاول عدداً ممتازاً ضمنته العديد من المقالات والابحاث الدينية والفكرية والفلسفية والادبية وقد اشترك في تحريره الاساتذة : احمد توفيق المدني ، مالك بن بي ، صالح الحرفي ، حمزة بوكوشه ، الدكتور عبدالحميد سند الجندي ، جمال الدين بغدادي ، يوسف مروة ، عبدالقادر زبادية ، توفيق شاهين ، محمد العيد آل خليفة ، رياض الخطيب ، مفدى زكريا ، محمود صبحي ، حسن بغدادي ، سيد قطب ، عبد الله عبد الدايم « المقال منقول عن المعرفة السورية » عبدالرحمن الغرب . عدا مقالات ودراسات مختلفة قدمها قلم التحرير .

وتنقل فيما يلي الحديث الذي أدلى به السيد وزير الاوقاف في الحكومة الجزائرية الاستاذ احمد توفيق المدني الى صحيفة « لونيتا » الايطالية وترجمته « المعرفة الجزائرية » الى العربية :

**س : لقد اعلنتم فيما يتعلق ببرنامج طرابلس بان كل من ادعى ان الاسلام يتعارض مع الاشتراكية يجهل حقيقة الاسلام والاشتراكية معاً . فهل في امكانكم أن توضحوا النانظرة الجزائريين بصورة عامة الى الاسلام .**

ج : نحن نرى ان الاسلام ثورة متواصلة ومستمرة ضـــد جميع اشكال العبودية والظلم الاجتماعي والاقتصادي ، فالاسلام يقوم على اساس مبدأ المساواة بين جميع البشر ، دون النظر الى الدين او المعتقد او الجنس ، كما يقدس الحرية في جميع مظاهرها ، وعلى هذا فالاسلام لا يقر التفرقة بين المسلم وغير المسلم الا اذا قام هؤلاء بمحاربته وهو يهدف الى اقامة مجتمع انساني عالمي على اساس الآية الكريمة « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

**س : هل معنى هـذا ان الاسلام يفرض الامن لجميع الناس ؟**

ج ــ لاشك في ذلك ، وهناك مسألة يجب توضيحها ، وربما اختلطت على اذهان بعض الناس وهي الخلط بين الجهاد أي الحرب المقدسة التي فرضها الله على المسلمين لمقاومة العدوان ونشر رسالة الاسلام وبين الاعتداء ، فهؤلاء يجهلون او يتجاهلون بأن كتاب الله العزيز يحرم العدوان.. ومنذ اثني عشر قرنا ، قبل ظهور الاشتراكية الحديثة اعلن الاسلام انه ينشد السلم ويحارب العدوان ،

**س : ولكن الاسلام يقبل الملكية الخاصة .**

ج : نعم . فالاسلام يقر مبدأ الملكية الخاصة والوراثة وهذان المبدآن مقبولان في الحقيقة بالنسبة لكل الاموال الاستهلاكيـــة حتى من طرف الاشتراكية الحديثة . غير ان ميزة الاسلام في هذا الصدد انه لايقف عند هذين المبدأين ، فهو يمثل اول دين او مؤسسة دينية ومدنية ــ ان جاز هذا التعبير ــ نادت صراحة بالملكية الجماعية لوسائل الطاقة والانتاج الضروريين للحياة وهناك حديث شريف في هذا الموضوع بالذات « الناس شركاء في ثلاث : في الماء ، والكلأ ، والنار » فنص الحديث هنا يقول ان هذه الاشياء هي حق مشاع بين جميع الناس « ولم يقل جميع المسلمين فقط » ذلك ان هذه الاشياء كانت تمثل في ذلك العهد حاجيات العيش الضرورية في الجزيرة العربية ، وجميع الشراح يجمعون على ان قائمة الاملاك الجماعية هذه لاتختص بنوع معين من الاملاك . وانما تشمل جميع انواع الملكية التي تتعلق بها مصلحة الجماعة والمهم في الموضوع هو ان الاسلام لم يكتف بالدعوة الى هذه المبادىء فقط ، بل انه طبقها بصورة عملية ، فالرسول عليه الصلاة والسلام أمم بنفسه المراعي . وكذلك فعل عمر بن الخطـاب وغيره من الخلفاء عندما امموا عدة ملكيات خاصة لصالح الملكية الجماعية .

والاجتهادات الاسلامية التي تستلهم حلولها من روح الكتاب والسنة تنادي جميعها ــ وخاصة المذهب المالكي ــ باخضاع الملكية الخـــاصة

لمقتضيات المصلحة العامة للمسلمين ، او بالتالي تحديد الملكية الخاصة ، كما انه يجب تأميمها اذا تعلقت بها مصلحة الجماعة . واول هـــذه الاملاك التي اتخذوها مثلاً المناجم ، ففقهاء المالكية يعتبرون هذه الاملاك كباقي الاملاك المدفونة تحت الارض هي ملك للجميع .

**س : هل تعتقدون انــه بتحقيق الاشتراكية تطبق هـــذه المبادىء الاسلاميـة .**

ج : ان نظامنا الاشتراكي الذي نحن بصدد اقامته في الجزائر يختلف بطبيعة الحال عن النظم الاشتراكية المطبقة في الاتحاد السوفياتي والصين ويوغسلافيا . ذلك ان نظامنا الاشتراكي نظام جزائري ، اسلامي محض ، وانــه جاء وفقا للمعطيات الجزائرية ، ويستمد اصوله من القرآن والسنة ، ومن افعال وسيرة الخلفاء الراشدين والعلماء ، وهو فوق كل هذا صورة لثورتنا الشعبية وحسب هذه الاعتبارات فان اشتراكيتنا تحترم دائماً الملكية الخاصة التي هي ثمرة عرق الجبين وما اكتسب بطريقة شريفة كما انهـا لاتتعارض مع مبادىء الاسلام الاقتصادية التي هي مرنة للغاية . فاشتراكية الاسلام شاملة وعميقة . ونحن اليوم لانستطيع ان نصل الى الافكار التي نادى بها الامام علي بن ابي طالب « رض » الذي اراد توزيع المكتسبات اليومية او ابي ذر الغفاري الذي يعتبر الانسان مجرد وكيل للمال نيابة عن المجتمع

واذا كان هذا الموقف في ذلك العهد لم يعلن في صيغة الاشتراكية في عصرنا هذا فهو يؤكد الامكانيات الضخمة التي يتمتع بها الاسلام .

**س : هل تعتقدون بأن هذا النظام الجماعي الالهي قد ساعد على انتشار الاسلام بسرعة ، واستقراره .**

ج : لاشك في ذلك ، ولكن هناك ايضاً عناصر أخرى ساعدت على هذا فالاسلام كان راية الشعوب المضطهدة لمحاربة الامبريالية وفي نفس الوقت كان سلاحاً اساسياً ضد العنصرية ولكن هناك كثيراً من الديانات التي تزعم انها تحمل طابع العالمية ، وعليها لتحافظ على هذا الاعتبار ان تعلن معاداتها للعنصرية .

فالاسلام يحارب حقيقة التمييز العنصري والتمييز بين الشعوب ، وهكذا نرى في تاريخ الاسلام رجالا لاينحدرون من اصل عربي بل ينحدرون من اصل عجمي اوتركي او كردي مثل صلاح الدين الايوبي استطاعوا ان يتسلموا اعلى مسؤوليات القيادة في اقطار عربية ، وفي القرن الثالث الهجري الموافق للقرن الثامن الميلادي كان حاكم مصر افريقياً من اصـــل حبشي اسمه كافور الاخشيدي .

## القـلم — بغداد

صدر العدد الاول من مجلة « القلم » لصاحبها ومدير تحريرها الاستاذ خضر الولي وقد أسهم في تحرير هذا العدد كتاب من مختلف ارجاء الوطن العربي ولكن اكثرهم من العراق وسورية منهم الاساتذة : الاخطـــل الصغير ، محمد رضا

الشبيبي ، غادة السمان ، الدكتور متعب مناف السامرائي ، كمال نشأت ، ناجي القشطيني ، محمود الملاح ، مير بصري ، شفيق القياقجي ، حسين الظربقي ، فؤاد نوار ، عبدالحميدالكنين ، عدنان الداعوق ، يوسف يعقوب مسكوني ، محمد زهير الباشا ، غازي سعيد .

وتحت عنوان « الشعر بين الجمود والانطلاق » كتب الاستاذ مير بصري يقول : قال كارليل ان الافكار السامية نظماً كانت أم نثراً مستمدة من مصدر واحد . فكيف نقيد الشعر بالوزن والقافية ؟ نعم لابد من الموسيقى في الشعر لان الشعر في الاصل نوع من الغناء ولكن الموسيقى الشعرية ليست موسيقى الالفاظ ، بل هي خاصة من خواص المادة الاصلية بها تتجلى حركات الجواهر وبها تظهر عواطف الطبيعة وكل ماهو عميق في العالمين المادي والروحي وانجم اليها . الا ترى النفس في هيجانها تعمد الى الوزن على غير قصد منها ؟ واي كلام خال من نوع من الوزن الطبيعي ، اية لغة لاتنفرد بنوع من الغناء؟ الوزن سر الوجود ، والجماد يشارك الاحياء في هذا النظام . فليس الشعر هو الكلام المقفى الموزون بل هو الافكار الموزونة ، والشاعر الحقيقي من وصل الى هذا العمق ، الى ناموس الوجود ، الى الموسيقى الازلية فأبرزها للعالمين .

ان للامة العربية تراثاً ضخماً من الشعر قلما يدانيه تراث اية امة اخرى على وجه البسيطة ، وقد اتصلت اسبابه منذ اكثر من اربعة عشر قرنا وتجددت انغامه وتعددت على مر العصور . ولعل الاوزان العربية والقافية المتكررة في الشعر العمودي من اصعب قواعد النظم في اللغات العالمية وفي وسعي ان اشبه بحور الخليل بالقالب الذي يصب فيه الشعر صابينما لاتخرج الاوزان الافرنجية عن مقياس يقاس به الشعر . وهذا التشبيه يعطي القارىء فكرة عن الصعوبة التي يتجشمها الشاعر العربي لنظم افكاره ومشاعره ويفسر سبب خلو الشعر العربي القديم من الملاحم والمسرحيات والقصص المنظومة الطويلة كالالياذة والأوذيسة اليونانيتين والاناياد اللاتينية واضرابها وترى الشعراء الاقدمين يستعينون بالرجز في قصائدهم الطويلة ولاسيما الاراجيز التعليمية « ديدا كتيك » والقصصية كألفية ابن مالك ونظم كليلة ودمنة لسهولة هذا الوزن ويسر قافيته المزدوجة . وقد حاول الشعراء المتأخرون استخدام الشعر العمودي لنظم الملاحم كما فعل سليمان البستاني في ترجمة « الياذة » هوميروس وجميل صدقي الزهاوي في « ثورة في الجحيم » فجاءت اشعارهم مملة في رتوبها وصرامة موسيقاها وتفنن آخرون فمزجوا البحور والقوافي كما فعل شوقي في مسرحياته ، فأتوا بالطريف المعجز في الشعر العربي ، وذهب الشعراء المتأخرون الى ابعد من ذلك فتصرفوا في الاوزان العربية مداو قصرا وتفننوا في القوافي ترصيعا وتنويعا فكان لنا « مجدلية » سعيد عقل وامثالها من روائع الشعر الحديث .

ولاريب ان الموشحات الاندلسية كانت ابتكاراً لطيفا للتخفيف من صرامة الشعر العمودي وقوافيه

الجامدة الراتبة فأضفت على الشعر العربي لونا جديدا يمتاز بالخفة والسلاسة . وابتدع الشاعر اللبناني المعاصر الدكتور نقولا فياض فنا جديدا في التوشيح فمزج البحور المتقاربة في المقطوعة الواحدة واختزل المصاريع بين الحين والحين وعمد الى تنويع القافية او اقفالها وامثلة ذلك منشورة في ديوانه «رفيف الاقحوان» المطبوع سنة ١٩٥٠

والبحث في الشعر العربي الحديث من حيث الشكل والمبنى لايكون كاملا اذا لم نتطرق الى ذكر ماسمي بالشعر المرسل او المنثور ، وهو لون من الشعر ابدع فيه طائفة من شعراء المهجر بوجه خاص وفي مقدمتهم امين الريحاني وجبران . وقد ذكر الريحاني انه تأثر بطريقة والت ويتمان الشاعر الامريكي الشهير « ١٨١٩ ـ ١٨٩٢ » ونسج على منواله ، ولكن الحقيقة ان الشعر المنثور اقدم من الشعر المنظوم في مختلف اللغات وامثاله كثيرة في الآداب السومرية والبابلية والمصرية القديمة وغيرها . ولئن كان الشعر المنثور خاليا في معظم الاحوال من الوزن والقافية فان موسيقاه تقوم على التوازن بين الجمل المتناظرة المترادفة فيثير الترديد في ذهن القارىء او السامع شعور التأثر والانفعال ويمهد نفسه على ايقاع العبارات المنسجمة المتدفقة بالعاطفة المشبوبة . لذلك كان الابداع في الشعر المنثور أعسر منالا واصعب منه في الشعر المنظوم ، والسبب يرجع الى ان الوزن والروي يعينان على خلق الجو الشعري والتمهيد له في نفس القارىء في حين ان الشعر المنثور لايستعين بغير موسيقى التناظر والانسجام فلابد ان يكون شعرا خالصا مجردا من الشوائب لينفذ الى قلب القارىء ويمس منه وترا حساسا .

## الشعر ـ القاهرة

تحت عنوان « ثورة الشكل وثورة المضمون في الشعر المنطلق » نشرت مجلة « الشعر » بحثا للدكتور محمد النويهي تحدث فيه عن تلازم الثورة العربية في الفكر والعلم والسياسة . ثم خص بالحديث عن ثورة الشعر فيقول : في كل هذه الاجيال المتلاحقة التي كرر الشعراء فيها بعضهم بعضا ولاكوا نفس الافكار المعادة واتخذوا نفس المواقف التقليدية من تجارب الحياة وتعبير الانفعالات بلا تغيير ولا أصالة غلب عليهم الافتعال فحاولوا اخفاء ذلك بالطنين والرنين .

ثم يقول : هذا الشكل التقليدي قد ظل يستخدم الفا واربعمائة من السنين بل تزيد ، ولا شك انه في عصوره الاولى استطاع ان يحمل ذخرا عظيما من الروائع الصادقة . لكن امتداد الاجل به كانت نتيجته المحتومة انه استنفد ما كان باستطاعته ان يحمل وعمل بدوره على استمرار التقليد . لانه قد تم ارتباطه بالافكار التقليدية والمواقف التقليدية والطرق التقليدية في التعبير عن العواطف البشرية . وهو في اغلب ما استعمل من تاريخه المديد استعمل في حمل الكذب والافتعال .

ويقول الكاتب : ربما يرد بعضهم : لكن ألم يستطع هذا الشكل القديم أن يحمل بعض المضمونات الجديدة في شعرنا الحديث على أيدي شعراء مثل

البارودي وشوقي وحافظ ابراهيم ؟ ونحن نجيب: بلى قد استطاع . ولكن ماعجز عن حمله وتسبب في قتله كان اضعافا مضاعفة . أضف الى هذا أن ذلك الظرف كان ظرفا خاصا لايتكرر في عصرنا مرتين وهو ظرف الحركة الاحيائية التي بدأت بها نهضتنا الحديثة كما تبدأ بها كل النهضات . فبعد القرون المتوالية من الشعر الركيك اللغة الضعيف الاسلوب كان طبيعيا أن نلتفت أول ماتلتفت الى احياء الاسلوب القديم في متانة وصحة وخلو من الركاكة والتهافت. وكان هذا في حد ذاته انتصاراً من نوع ما على قرون الضعف والتفكك التي شهدت انحطاطنا عن مجدنا القديم .

وبعد أن يضرب الكاتب الامثلة المختلفة التي تؤيد رأيه هذا يقول : هـذا هو الشكل الذي اطاعه الشعراء منذ استوى الشعر العربي في بحوره الجاهلية في القرن السادس الميلادي ، والـذي ازدادوا به تقيداً وله عبودية منذ ان ضبط الخليل ابن أحمد هذه البحور في علم العروض في القرن الثامن الميلادي . لم يخرجوا عليه الا خروجا فرعيا هينا لم يعالج عيوبه معالجة اساسية الى أن نشأ الشعر الجديد ، الشعر المنطلق ، ونستطيع الآن أن ندرك مدى الانطلاق المبدئي الـذي تمكن منه هـذا الشعر . بمجرد هدمه لوحدة البيت وقيامه على التفعيلة نفسها وتنويعه لعدد التفاعيل من بيت الى بيت بحسب ما يمليه المضمون الفكري والعاطفي وما تحتاج اليه موسيقاه الداخلية في موجاتها المتعاقبة المرتبطة ارتباطـا عضويا حياً بتقلب المضمون . هذا الانطلاق الشكلي لم تكن اهميته الاخيرة فيه في حد ذاته ، بل كانت في مدى سماحه بانطـلاق المضمون الجديد . فقد فتح الطريق واسعاً امام الشعراء الجدد الى انطلاق مضمون فكري وعاطفي لم يشهد الشعر العربي له نظيرا من مئات السنين .

الى ان يقول : وبذلك استطاع الشعر العربي المرة الاولى منذ قرون ان يحقق نجاحا كبيرا في التخلص من القوالب المكررة والعبارات المأثورة.



قلم التحرير



## بحوث الشريف الرضي

كان هذا العدد من المعرفة في نهاية مراحل طبعه عندما انتهى مهرجان الشعر في اللاذقية لذلك سننشر في عدد قادم يلي عدد المسرح مباشرة ، مايصلنا من البحوث والقصائد التي القيت في المهرجان حول موضوع الشريف الرضي .

## اخبار متفرقة

● لاقت فرقة أمية للفنون الشعبية التابعة لوزارة الثقافة والارشاد القومي السورية . نجاحاً منقطع النظير في الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ، وفي كل المناطق التي زارتها في بلدان المغرب العربي الشقيق ، وقد حضر السيد رئيس الجمهورية الجزائرية احمد بن بله الحفلة الاولى وابدى اعجابه بالفرقة وبفكرة اوبريت « الام والوطن » التي قدمتها الفرقة على مسارح الجزائر وبلدان المغرب العربي الاخرى .

● اخذت المراكز الثقافية العربية تستعد لموسم الشتاء الفكري ، وقد وجهت كتب التكليف الى الادباء والمفكرين ليشتركوا في هذا الموسم بانتاجهم الادبي والعلمي والفكري والشعري.

● عادت مجلة « الضاد » الى الصدور بعد احتجابها فترة من الزمن . وصاحب المجلة هو الشاعر عبد الله يوركي حلاق قال في كلمة العودة : وهاهي « الضاد » تعود الى اصدقائها ومحبيها المنتشرين في اربعة اطراف المعمورة ، وكلها اعتزاز بعد الفكر الحر ، وبقداسة الكلمة النزيهة المعبرة بصدق وانسجام ، عن ادق المشاعر واسمى الاهداف والاساتذة الذين اشتركوا في عدد العودة هم : احمد الجندي ، جورج صيدح ، عبد

الرحيم الحمصي ، شريفة فتحي ، فتح الله الصقال ، سامي الكيالي ، علي امين ، فيليب جتي ، راجي الراعي ، وديع فلسطين ، وديع ديب ، نظير زيتون ، محمد عبد الغني حسن ، الدكتور ادوارد التوني ، رياض عبد الله حلاق ، وغيرهم .

كما عادت زميلتنا « الخمائل » التي يرأس تحريرها الاستاذ محيي الدين الدرويش وتصدر في حمص ، وقد حفلت اعدادها الاخيرة بالانتاج الفكري لعدد كبير من ادباء سورية .

● صدر للاستاذ وجيه بيضون مجموعة أقاصيص مترجمة وموضوعة ومقتبسة بعنوان « الصوت الخفي » وكان الرمز في العنوان هو صوت « الضمير » وحول هـذا الصوت تدور جميع مواضيع القصص .

● اقيم في المتحف الوطني بدمشق معرض صور وآثار الفنان الايطـالي الكبير « ميكل آنج » بمناسبة مرور اربعمائة عام على وفاته .

● اقامت جمعية اصدقاء الفن في قاعة المركز الثقافي العربي بدمشق معرضهـا الثالث وقد ضم اعمال اعضاء الجمعية الجديدة من لوحات مختلفـة تعبر عن أكثر المدارس الفنية .

● اقيم في الشهر المنصرم معرض الزخارف العربية الهندسية التي تميزت بالاصالة وبـدت بوضوح كتطور لفن الزخرفة البديـع الذي يعتبر احد عناصر الفنون العربية . والمعرض يضم العديـد من الاشكال والزخارف التي يمكن الاستفادة منها وادخالها في مجالاتنا الفنية التطبيقية ان في ميدان الحفر على النحـاس او في ميدان الطباعة على الاقمشة خاصة باننا اليوم نتادي بضرورة احياء فنوننا القديمة الاصيلة ووضعها الوضـع اللائق بها خاصة وأن وزارة الثقافـة والارشاد القومي قد اخذت على نفسها رعاية الفنون وبعث المدثور منها واحلاله المحل الـلائق واذا ما ضم المعرض هذه النماذج العديدة الرشيقة في خطوطها الرائعة في تكوينها البديعة في تطبيقها وما نماذج الصواني النحاسية المعروضة والمزدانة بالزخارف التي رسمها الفنان الا دليلاً على ما تقول .

● أقيم في المتحف الوطـني بدمشق وتحت رعاية السيد وزير الثقافة والارشاد القومي معرض الصور الفوتوغرافيـة التي قدمها الفنان مروان مسلماني في الشهر المنصرم ، وعرض فيه العديد من الصور التي أبانت وجـه بلدنا في مختلف الميادين الفنية والجمالية والاقتصادية والزراعية والطبيعية ...

وبالاضافة الى جمال الصور المعروضة فقد تجلت مقدرة الفنان الفائقة من الناحية الفنية التي ظهرت آثارها في كافة الصور ، فلوحة « أقمار » لوحة رائعة حقا ان في مضمونها أو طريقة التقاطها وقد استغرق تصويرها مايزيـد عن أربع ساعات دون أن يـترك الفنان جهاز التصوير ثانية واحـدة .

وكذلك لوحـة « الاصابع المكدودة » وأطلالة من بين الشموع والفراشة الآئبـة ، ولوحة الدنانير المبعثرة ... كلها في الحقيقة صور ان دلت على شيء فانها تدل على مابلغه هذا الفنان من مستوى رفيع وذوق مرهف .

وفي صور أشخاصه الطبـاع ملحوظ على

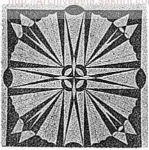
احساساتهم ومشاعرهم المختلفة ، ولم يغفل الفنان آثار بلاده التي عاش ويعيش بينها الساعات الطوال ليبرز أهم مواطن الجمال فيها . وفي بعض لوحاته نجد خطوط المدارس الفنية الحديثة كالتجريدية مثلاً .

.. وقد لقي المعرض اهتماماً كبيراً من جانب المسؤولين والجمهور الذي عرف مروان في معارضه العديدة السابقة .

## الاقلام في بغداد

صدرت في بغداد مجلة فكرية جديدة تحمل اسم « الاقلام » عن وزارة الثقافة والارشاد ، وقد جاء عددها الاول حافلاً بالبحوث الفكرية والمقالات الادبية الفنية وتتألف هيئة تحريرها من الاساتذة : عبد الكريم فرحان ، السيدة نازك الملائكة ، الدكتور مصطفى جواد ، الدكتور جميل سعيد ، الدكتور عبد الهادي محبوبة ، الدكتور احمد شاكر شلال ، الدكتور يوسف عز الدين ، خالد الشواف ، نعمان ماهر ، اما سكرتير تحريرها فهو الاستاذ عامر رشيد السامرائي والمعرفة ترحب بزميلتها الجديدة « الاقلام » .





## حول صفي الدين الحلي

## الى حارث طه الراوي

من يحيى الكيلاني
— الكويت



قرأت في العدد الثلاثين من مجلة المعرفة الغراء مقالاً للأستاذ الفاضل حارث طه الراوي بعنوان «صفي الدين سراج في ليل طويل» .

وكان محور المقدمة وسبب كتابة المقال كما يقول المؤلف ، ما قرأه للأستاذ الجليل المرحوم مارون عبود من أنه يعتبر صفي الدين من أصحاب الرؤوس الصغيرة .

ويعترف المؤلف أن صفي الدين لايمكن أن يكون من اصحاب الرؤوس الكبيرة إذا ماقورن بالمتنبي وابي تمام والبحتري وسواهم ، ولكنه ليس من اصحاب الرؤوس الصغيرة في عصره ... الخ .

وهنا أحب أن أبدي رأياً متواضعاً هو أن أستاذنا الجليل المرحوم مارون عبود لم يكن متحاملاً على صفي الدين لسبب أو لأسباب . ذلك أننا عندما ننظر إلى الأدب من خلال نظرة واسعة محيطة تشمل الأجيال لاننظر الى اديب من الأدباء او شاعر من الشعراء من حيث كونه الرأس الكبير في عصره وزمنه ، ولكننا ننظر اليه من خلال ما أضاف إلى التراث من صور جديدة ومن اساليب في التعبير فريدة : وبقدر مايضيفه الأديب إلى ثروة هذا التراث يعتبر رأساً كبيراً او صغيراً .

وابو تمام لم يكن أبا تمام بكل ما قاله ولكن

بهـذا الجزء الذي اضافه إلى التراث ، هذا الجزء هو الباقي الذي يتداوله اهل العلم والأدب ويدون في المختارات ، وما عداه فليس بـذي شأن إلا من حيث دراسة الشاعر ، شاعراً فرداً متميزاً عن غيره ، ولا يعتني به غير الباحثين .

وبهـذا الاعتبار لايكون صفي الدين اكثر من رأس صغير إن لم نقل اكثر من صغير .

والاستاذ مارون عبود لم يظـلم صفياً من ناحية اخرى . ذلك أن الدارس الأدبي عنـدما ينظر الى الحركة الأدبية في مجراهـا التاريخي العريض الطويل يصنع صنع الطوبوغرافي عندما يحدد نقاط الرصد — اذا كان هـذا التعبير صحيحاً — قبل رسم الخريطـة التي سيشرع في تخطيطها .

نقاط الرصد تتفاوت ارتفاعاً ، والرؤوس التي ينظر اليها الدارس تتفاوت قيمة وإضافـة للتراث . ومارون عبود رصد صفي الدين لالشيء من ذلك ولكن حتى تبقى السلسلةمتصلةالحلقات ، وحتى لاتكون فجوة ؟ وماذا يفيد الخط الباقي إذا كانت فيه نهايات عظمى وصغرى متتابعة . ان كلاً منها يحتاج الى حساب ، ودقة قبـل رسم النهاية .

ومن وجهـة نظر شخصية اقول لايهمنا اذا مرت فترة القرن السابع الهجري وما بعدها من غير رأس كبير . قـد يحز في نفسي ذلك من حيث كوني عربياً يحب هذا التراث ويقدسه ويتمنى ان تتماسك حلقاته على يد المبالغة ، ولكن هـذا لايؤثر بحال من الاحوال في حكمي على اديب من الادباء وتصنيفه في المكان الذي يستحقه على السلسلة الطويلة لا في العصر الذي عاش فيه .

وبعد ، فأنا لا انتقص من قـدر صفي الدين شاعراً أزهر به روض الشعر في زمانه ، ولكني ادفع تهمة التحامل عن فقيد النقدواستاذالاجيال .

واذا كان مارون عبود قد جعل بين صفي الدين وبين معاصره ابن نباته « بضع خطوات » ، فلن يغير من الامر شيئاً ان زاد الاستاذ حارث على هذه البضع ما يجعلها عشراً او عدداً مركباً .

. . .

وبقيت أشياء حول الشاعر ، ان محاولة الاستاذ حارث أن يخفف من أثر البديع في شعره بأنه مصيبة أبناء زمانه ، فلن تغير من نظرتنا الى الموضوع هذا قبلنا بها ، وان شاعراً له ديوان كامل « يفصل » عشرة دواوين مما يطبع في بيروت من شعر هذا الزمان لحري أن تجتمع فيه معائب الصناعة اللفظية ، والسبب واضح ، فالاكثار سبب المثار هذا اذا غضضنا الطرف عن بقية شعره . وأما مقدمة الشاعر عن ذم التكسب بالشعر فما شأننا بها وقد كذبها الشاعر بسلوكه الواضح ، ولو أنه لم يكتب هذه المقدمـة لشمله من الحكم ماشمل غيره ولأراح واستراح .

ونحن مـع الاستاذ الباحث في أن التضمين والتخميس مجردين ليسا ضعفاً في الشعر وليسا دلالة على ضعف الشاعر وبخاصة اذا أتى بالجديد البديع . فاذا كان لصفي الدين بعض ذلك — وهو حاصل ولاشك — فلا يدفع ذلك عنه أنـه

عاش كالطفيليات على نسغ الآخرين ، ولايخفف منه أن ادعينا له بأنه يمر بالتجربة نفسها ، لأننا كما اسلفت في اول هذا الرد ننظر اليه من خلال اضافته الى التراث ، وهو لم يضف شيئاً ، بل انه لو ضاف لكان ثم العجب لأن صفي الدين أتى في عصر تحجرت فيه القيم على أشكال أصنام سابقة ، اعتبرت مثلاً أعلى ، المجيد من يحتذي حذوها ، فلم يفكر أحد بسبقها بله التجاوز عليها ، وهذا لاينطبق على الشعر وحده بل على جميع مناحي التفكير ، ألم تكن تلك الايام عصر الحواشي والشروح وشروح الشروح وحواشي الحواشي ؟

ولذلك فان العجب كل العجب أن يشذ صفي الدين عن روح عصره ويكون رأساً شامخاً يطاول غيره .

اقول هذا واعترف أن قد مضى الزمان الذي يلاحق فيه الأديب من قبل مباحث الناقدين ليدلوا من أين سرق هذا ومن أين أخذ هذا ، لأسباب ليس أهمها أن التراث أصبح من الاتساع بحيث يتعذر ذلك على مريده ، ولو انه كشف شيئاً من ذلك بعد يسر أو عناء حسب الفكرة لقال له الجميع ماصنعت شيئاً ولحكى له البعض قصة حفظ الاحاديث الموضوعة . ثم اننا نعترف بأن التجربة الواحدة يمر بها الجميع ، ولكن طريقة التعبير عنها تختلف ، فالفكرة والاحساس ملك الأديب وحده واذا تناوله الناقدون فمن حيث الأداء ، أداء الفكرة والاحساس ، ومن حيث القيمة : قيمتها في الاطار العام . ولكننا مع ذلك نحب أن نشير الى ماوجده الأستاذ الباحث من الابتكار في قول الحلي .

متيم لاتهتدي عـــواده
الا بما تسمع من انينه

فأين قول شاعرنا : لولا مخاطبتي اياك لم ترني . ثم ألا يدخل هذا في باب المبالغة الممجوجة ؟ التي تذكرنا ببشار ؟ !

وماذا صنع بالقصيدة التي يعارض بها المتنبي ( المعرفة ص ٨٠ ـ ٨١ ) لم يكن ممدوحه أكثر من غيث وسيل وسيف وبحر مما استنفد معانيه السابقون السابقون ...

ولا ادري كيف تجاوز الاستاذ الباحث عن افتخار صفي الدين بين يدي مدحه لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قد يكون الفخر جميلاً في موضع وقلة أدب في موضع آخر .

ومع أن عاطفته في قصائده النبوية صادقة ، ولكنها تقصر عن كثير مما قيل في هذا الموضوع .

* * *

وأخيراً : لست أنتقص من قيمة بحث الأستاذ الراوي عن صفي الدين فقد أغنانا به وجال بنا في روضة من شعره لايمر بها الا الاستاذ البحاثة . ولست انتقص من قدر صفي الدين شاعراً بعينه في عصر بعينه يستحق الدراسة على هذا الاساس .

ولكني أنفي عن الاستاذ الجليل المرحوم مارون عبود تهمة التحامل ، ذلك أن قصدي أن نفرق بين نظرتنا الى شاعر عصر معين ونظرتنا الى شاعر يقف قمة في شبكة النقاط الراصدة . فليس كل شاعر مجيد في عصر أو مدينة أو قبيلة بقمة من قمم هذه الشبكة ، وبهذا المعنى لم يظلم صفي الدين ولم يتحامل عليه أحد .

# العرب بين الفتوح والتحرير

## الى سلامة عبيد

من سليم العموي ـ ابنان

في العدد (٣٠) من مجلة المعرفة مقال بعنوان (العرب بين الفتوح والتحرير) بقلم الاستاذ سلامة عبيد، تضمن جملة نقاط تسترعي الانتباه وتلفت النظر، وتثير بعض الملاحظات ولي وطيد الرجاء الا يضيق صدر (المعرفة) بنشر هذا التعقيب، مع شكري وتقديري.

تناول الاستاذ سلامة عبيد، الفتوحات الاسلامية العربية، وجزأها، حسب ظروفها واوضاعها فبعضها هذا (تحرير وفتوح معاً) وبعضها هناك (تحرير فقط) وبعضها الآخر (فتوح فحسب) وهو بهذه التجزئة انما يثير الغبار ـ من حيث يريد أولا يريد ـ حول دوافع الفتوحات واهدافها ولنستمع اليه اولاً، ونناقشه ثانياً

يقول الكاتب مشيراً الى فجر الاسلام..

(في رأيي ان هذه المرحلة من تاريخ العرب لا يصح ان تعتبر مرحلة فتوح بقدر ما هي مرحلة تحرير وفتوح معاً) ويتابع (لماذا نظل نعتبر الموجة المنطلقة من شبه الجزيرة موجة فتوح ونتناسى بلا مبالاة فاضحة انها موجة تحرير لابناء العمومة والخؤولة، واستعادة لسيادة عربية فوق ارض عربية) ويقول: (اما اذا سمحنا لانفسنا ان نعتبر العرب دخلاء على سورية والعراق، كانت كلمة «فتوح» هي الأولى)

(١) يبدو مما تقدم، ومن خلال المقال، ان الاستاذ عبيد، يريد بالفاتحين (الدخلاء) وبالفتح الاحتلال، والتملك عنوة، و (اقامة سيادة دخيلة) على من غلبوا على امرهم، فوق حطام سيادتهم، ولست ادري كيف استقام للاستاذ هذا الفهم لكلمة (الفتح) وكيف استساغ هذا التفسير، ونسي او تناسى النص الصريح الدلالة ومن ثم راح ينكر استعمال هذه الكلمة. وليس ادل على غلط هذا القول من شواهد اللغة والتاريخ والقرآن الكريم التي تقول: فتح البلاد، اي (غلب عليها وتملكها عنوة) والفتح ـ المصدر ـ هو النصر والظفر شبه الظفر بالبلاد بفتح الباب المغلق ويقول الله عز وجل: (انا فتحنا لك فتحاً مبينا) وهذه الآية الكريمة انما نزلت في فتح مكة والطائف وحنين وخيبر، او في فتح الحديبية على خلاف بين العلماء، وليس يهمنا امر هذا الخلاف بقليل او كثير، وانما يهمني ان أؤكد واذكر

الاستاذ عبيد بأن اهل مكة والطائف والحديبية وحنين وخيبر كانوا عربا وابناء ( عمومة وخؤولة ) وكانت ( ارضهم وسيادتهم عربية ) ومع ذلك سمي ، وبنص قرآني ، انتصار محمد وصحبه على الجاهلية ( فتحا ) وليس ( تحريراً ) ومن بعد الي ان أسأل الاستاذ عبيد : علام ( لا يصح ان تعتبر مرحلة فتوح ) ؟ ولم لا يكون ، كما زعمت فتح المسلمين لسورية والعراق ، وغيرهما ، فتحا ؟

(٢) ان ماذهب اليه الاستاذ سلامة عبيد ، من ان العرب في دخولهم سورية والعراق انما كانوا ( محررين لابناء العمومة والخؤولة ) هذا لا يخلو من التشكيك في دوافع الفتوحات الاسلامية واهدافها ، انه يوحي بأن وراء هذه الفتوحات عصبية وحمية قومية وليس فريضة دينية هو الجهاد في سبيل اعلاء كلمة الرحمن ونشر تعاليم القرآن وبث روح الاخاء بين بني الانسانية جميعا ، وجعلهم ( سواسية ) لا تفاضل بينهم بسبب الجنس واللغة واللون ، وانما ( بالتقوى ) فهل كان محمد عليه السلام وصحبه ، الذين جاهد تحت لوائهم العربي والاعجمي ، وقاتلوا في سبيل العقيدة ( ابناء العمومة والخؤولة ) عربا وعجما ، هل كانوا يرمون من وراء فتوحاتهم ، الى اقامة سيادة ما غير سيادة الاسلام فحسب ؟!!

وهل كان فتح المسلمين للشام والعراق ، وغيرهما يهدف الى تحرير قوم وتقويض سيادة واحلال اخرى محلها ، بسبب الجنس ؟!! ، لا اريد ان اجيب فالجواب حقيقة تاريخية صارخة ، لا تقبل الجدل ، يقرها كل مسلم عربي مخلص لدينه وعروبته .

(٣) وليت الاستاذ عبيد اكتفى بفهمه وتفسيره ، فله ان ينظر كما يحلو له وأن يعتقد مايشاء ، اما ان يذهب الى حد اتهام المؤرخين بأنهم ( يشوهون حقيقة التاريخ ويظلمونها ) فهذا ما لا يعقل . وهذا الفهم يقود الكاتب الى اضفاء الشرعية على ( حركات الاقوام المغلوبة ) يقول الكاتب : ( ... يجب أن نميز بين التحرير وبين الفتح . ومن ثم نميز بين حركات الشعوب المغلوبة لا على العصيان والتهديم والمجوسية فحسب بل على اساس من المشاعر القومية ) ويقول : ( ... حقيقة تاريخية نتجاهلها عمداً ، بل أن مؤرخينا يشوهونها ويظلمونها . وهي ان الاقوام المغلوبة ظلت تكافح من أجل استعادة سيادتها القومية على أرضها ومن حقنا كمؤرخين صادقين قوميين أن نمنحها شيئاً من الانصاف وأن نعيد اليها بعض اعتبارها فليست كل تلك الحركات سبة في جبين الدهر والتاريخ ، لأن في اعماقها بذور تحرر ، لا يجوز أن ننكرها أو نحقد عليها ) هكذا يبدو الكاتب مؤرخاً صادقاً وقومياً مخلصاً ومنصفاً للتاريخ لا حاقداً على حركات الردة وملتزماً بدقة التعبير عن الحقيقة التاريخية ! ! . أية ( سيادة ظلت الأقوام المغلوبة تكافح من أجل استعادتها ) غير سيادة الوثنية ؟ وأي اساس قامت عليه حركات اولئك القوم غير اساس الردة ؟ وأية ( بذور تحرر كانت في اعماقها ) غير بذور العصيان والتمرد ؟ او يكون هذا العصيان والتمرد ( تحرراً ) ! ! ؟ لا اعتقد ذلك اذ ليس ثمة سيادة قومية ( يتحررون )

منها . ان الاسلام ، كما قلت ، لم يقم اصلاً على اساس قومي ، ومن ثم لم يفرض سيادة قومية على اخرى ، ولم يبسط سلطان جنس على آخر ، وانما قام الاسلام ، اول ما قام ، على اساسه القويم وركنه الكبير الأول وهو التوحيد ومن ثم راح يوحد الانسانية ويجمع شتاتها ويهدم كل اسباب التنافر والتناحر ، من تحزب قبلي او تعصب قومي ، وما كان المسلمون ليميزوا بين هذا وذاك بسبب من الجنس او اللغة ، وانما تمثلوا بقوله تعالى : ( إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن اكرمكم عند الله اتقاكم ) .

ولست ادري كيف يعطف الاستاذ سلامة عبيد ، وبكرم حاتمي ، على حركات المرتدين والخارجين على الاسلام . ويمنحها ( الانصاف والاعتبار ) ولا ( ينكرها او يحقد عليها ) هل كان الاستاذ يعطف مثل هذا العطف ، لو كانوا عرباً وقاموا وشقوا العصا ، وخرجوا على العروبة واهدافها ؟ وهل كان ينظر إلى حركاتهم على انها ( تحرر ) ؟

ان الحرص على العروبة والاخلاص للقومية يقتضي الحرص على الاسلام والاخلاص له لقد اعز الله العروبة بالاسلام فما لنا لانعتز بالاسلام.

وفي الختام لايفوتني ان اشكر ، ثانيـــة ، مجلتنا الحبيبة ( المعرفة ) ان اتاحت لي هذا اللقاء مع الاخ الاستاذ سلامة عبيد والقراء .

## خطأ في العدد الماضي

وقع في العدد الماضي « ٣٢ » خطـــأ في صفحات مقال « الحب المثمر » ترجمـــة السيدة سلمى الخضراء الجيوسي . اذ وقع الخطأ على الشكل التالي :

صفحة رقم ٤١ تصحيحه ٤٢ وص ٤٢ تصحيحه ٤٣ و٤٣ تصحيحه ٤٤ و٤٤ تصحيحه ٤٥ و٤٥ تصحيحه رقم ٤١ .

أما قصة « المستقر » ترجمة السيدة هبـــة الوادي بهنسي فالخطأ على الشكل التالي :

ص٨٧ تصحيحه ٨٩ وص ٨٩ تصحيحه ٨٧ فيرجى الانتباه .

يقدمها
حسن
كمال



## تشيكو سلوفاكيا

### معرض رسوم الأطفال العالمي

قامت اللجنة التحضيرية لمعرض رسوم الاطفال العالمي وكذلك وزارة الثقافة والتربية واللجنة التشكيلية التابعة لمنظمة اليونسكو قامت جميعا باعداد أعظم معرض لرسوم الأطفال العالمي .

وقد افتتح المعرض في السادس من تشرين الاول وسيستمر حتى الثامن من تشرين الثاني وذلك في قصـــر المعارف في العاصمة براغ ، واستهدف منظموا المعرض تنمية الروح الخلاقة في الأجيال الصاعدة ، ولم يهـــتم المعرض الا بالأعمال ذات الطابع الشخصي الخلاق وقد قدمت الدول والمؤسسات المشتركة بين ٦٠ - ٨٠ لوحة ولم يحدد حد أدنى لأعمار الاطفال المشتركين وانما حدد الحد الأعلى فقط بسبعة عشر عاماً .

أما مساحات اللوحات فقـــد حددت على الشكل الآتي :

الحد الأدنى ٢٠ × ٣٠ سم

الحد الاعلى ٤٤ × ٤٥ سم

وهناك لجنة تحكيمية لها الحق بمنح ثلاث جوائز أولى وثانية وثالثة لافضل الاعمال التي تتحلى بالروح الخـــلاقة وثلاث جوائز اخرى مماثلة لأفضل المجموعات التي ساهمت في المعرض وللجنة الحق أن تمنح ثلاث جوائز اخرى للأعمال التي

تقترحها . ويرافق المعرض مؤتمر وطني للمربين الفنيين التشكيليين وبعض الضيوف الاجانب وتتناقش في امور التطور الفني ، الخلاق عند الاطفال .

وهكذا يهتم العالم اليوم بنشاط الاطفال الفني، اذ العناية بهذه اللبنات الناشئة كفيلة بأن تخلق للامة فنانين أكفاء في المستقبل قادرين على حمل الرسالة الفنية في تثقيف الجماهير .

## البندقية

### المعرض العالمي للفنون التشكيلية

تشهد مدينة البندقية اليوم أكبر تظاهرة فنية عرفتها هذا العام وذلك في المعرض العالمي للرسم والنحت الذي يقام فيها . وقد ساهم في هذا المعرض عدد كبير من الفنانين المنتمين الى عدد كبير من دول العالم وكانت المعروضات من التنوع بحيث أثارت الكثير من المناقشات الفنية العنيفة وطرحت العديد من المشاكل والأسئلة التي حل بعضها والبعض الآخر ما زال في مرحلة النقاش .

غير ان الشيء الواضح الذي تجلى في هذا المعرض هو عودة الكثير من الفنانين الى الشكل بعد أن عزفوا عنه طويلا ، وهذه النتيجة الأكيدة هي نتيجة طبيعية معقولة وتصديق لما كان يتنبأ به بعض المؤرخين بأن الاتجاهات الحديثة المغالية في الابتعاد عن الشكل ما هي الا موجة عارضة لا تلبث ان تهدأ وتعود الى الحال الطبيعي وهو الشكل ، الشكل المتطور المعقول وكنتيجة اولية يمكن القول ان الطريق نحو الشكل بدأ يأخذ مكانه من جديد في الفنون التشكيلية ولكن بأساليب وخطوط جديدة .

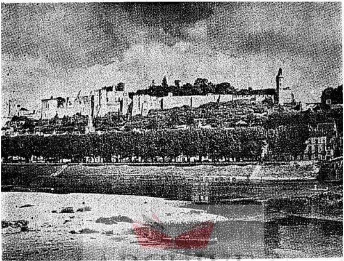
ومهما يكن من امر فان الأيام المقبلة والتظاهرات الفنية العالمية كفيلة بأن تنير السبيل امام الرأي العالمي الذي ينتظر ان يقول تاريخ الفن كلمته الحاسمة في الاتجاهات الحديثة .

## فرانسا

### صوت وضوء

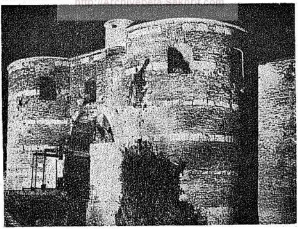
تحاول دول العالم المتقدمة ابراز آثارها القديمة باطار فني رائع وذلك باستخدام كافة الوسائل الكفيلة بتحقيق هذا الهدف وتعتبر فرانسا اليوم في مقدمة الدول التي تعنى بتراثها الحضاري القديم .

فخلال اشهر الصيف وحتى نهاية ايلول تضاء القصور والمباني الأثرية الهامة ليلا ويقوم الناس بزيارتها للتمتع بذلك الجو السحري ويرافق الضوء عادة صوت هاتف يروي قصة الأثر المضاء مع موسيقى حلوة ناعمة تلطف الجو الأمر الذي يجتذب الزوار من كافة انحاء العالم وكان « موكب الانجو الكبير » الذي اقيم في قصر آنجيه هذا الصيف اروع ما شهدت فرانسا من مهرجانات ضوئية صوتية فقد وضع فيه المختصون



احد القصور الافرنسية : شينون





جانب من قصر آنجو

خلاصة تجاربهم في هذا المجال فجاء المهرجان رائعاً جذابا أتاح للشاهدين زيارة المجموعة الثمينة من الرسوم الجدارية المضاءة والتي تحققت عام ١٣٨٠ من اجل لويس دو آنجو الاول . وكذلك المهرجان الذي اقيم في قصر شينون.

تلك هي احدى الوسائل التي تعرف الجمهور بتراثه القومي . ومنذ سنوات تفكر سورية القيام بمثل هذه الخطوات بالنسبة لآثارها الهامة خاصة مسرح بصرى ومدينة تدمر .

## باريس

### معرض الفنون اليدوية

لكل بلد تقاليده وفنونه وصناعاته اليدوية التي تعتبر أساسا لصناعته الحديثة ومن الجدير بالمسؤولين الحفاظ على تلك الثروات الفنية بكل ماأوتوا من قوة وسلطة ، وفي فرنسا أقيم في الشهر الماضي معرض كبير في غرفة التجارة الافرنسية في باريس أو قام بتنظيم هذا المعرض المركز الوطني للتجارة الخارجية برعاية وزارة الصناعة .

لقد مثل المعرض حوالي ٨٠٠٠ مادة صناعية فنية من مختلف انحاء فرنسا وجميعها من اعمال اصحاب المهن اليدوية وتشير المعروضات بوضوح الى القدرة الفنية التي يتمتع بها العامل في ميدان الصناعات اليدوية .

وأمام النجاح الرائع الذي حققه المعرض باجتذابه ٨ آلاف الزوار فقد تقرر عرضه في عدد من مدن فرنسا بعد أن منحت مكافآت عالية للعاملين في هذا السبيل .

ان بلداً كفرنسا لها ماضيها المجيد في ميدان الصناعات اليدوية الدقيقة يجدر بها القيام بمثل هذه التظاهرات الرائعة لما في ذلك من فائدة اكيدة للوطن والمواطنين .

## فيشي

### معرض الاتحاد النسائي الفني

يقام اليوم في فيشي اول مهرجان للاتحاد النسائي الفني وقد عرضت فيه ثلاثمائة عمل فني بين لوحة ونحت ينتمي اصحابها الى عشرين بلداً ، وقد لقيت هذه التظاهرة الفنية تشجيعاً كبيراً من مختلف الاوساط الرسمية والشعبية وما تزال تلاقي نجاحا كبيرا . وقد تشكلت لجنة تحكيمية لمنح جوائز رفيعة للمساهمات المبدعات والناقدات اللائي هيأن الجمهور فكريا لمثل هذه التظاهرات وفازت بالجوائز الكبرى الآتية :

جائزة الشرف الكبرى مونيك جوردو (باريس)
الجائزة الدولية الكبرى السيدة بالاسو (ايطاليا)
جائزة المعرض الكبرى جيزيل هالف (باريس)
جائزة التأليف جانيت آنفي (باريس)
جائزة النقد جنيف اكير (باريس)

ترجمة
متري
حارنة

## الامراض التي تصيب الانسان والحيوان على السواء

بين الامراض الحيوانية التي يبلغ عددها الاربعة والستين مرضاً مختلفاً ، ثلاثة وعشرون منها فقط تنتقل الى الانسان . وتعتبر هذه الامراض التي تنتقل الى الانسان اشد الامراض ايلاما واخطرها على حياة الانسان .

واول هذه الامراض مرض الجمرة Anthrax . لقد كان هذا المرض معروفاً منذ عام (١٦٥٨) وقد قتل (٦٠) الفاً من سكان اوروبا في تلك السنة وحدها . والمرض يعتبر خطراً اكثر مايكون على الجزارين والرعاة والموظفين البيطريين . وبين الامراض الفتاكة الاخرى الحمى المالطيـة التي تعرف طبياً باسم Brucellosis وهنالك مرض اخر يعرف باسم Leptospirosis وهو مرض ينتقل عن طريق الجرذان والكلاب ايضاً .

## اعظم عملية جراحية في العالم

قام الدكتور برتشويغ باجراء عمليات جراحية لمئات المرضى في خلال السبعة عشر عاماً الماضية قص فيها مختلف اعضائهم ولكن اعظم هذه الجراحات واجرأها واخطرها على الاطلاق كانت تلك التي اجراها في الحوض في محاولة لانقاذ حياة المرضى الميؤوس من شفائهم .

والدكتور برتشويغ جراح واختصاصي في امراض النساء . وكان قد قرر منذ سنة (١٩٣٤)

محاولة انقاذ حياة المرضى المصابين بالسرطان الميؤوس من شفائهم فقد كان متأكداً من ان هؤلاء المرضى يمكن اطالة اعمارهم بضع سنوات اذا اجريت لهم مثل هذه العمليات الجراحية. وقد بدأ فعلا في حالات سرطان المعدة، باقتطاع معظم المعدة ونصف النتوء الايسر (الفصي) من الكبد وجزء من البانكرياس، الطحال وجزء من جدار البطن. والجدير بالذكر انه من بين المائة مريض الاول من مرضاه الذين عالجهم عاش تسعة عشر منهم عشر سنوات اخرى ومن ضمنهم عامل عاد ليعمل طوال نهاره.

وكان اخطر هذه الحالات بين النساء بالطبع وكان السرطان قد انتشر بصورة مريعة الى مساحة واسعة من جسم الانسان من الرحم حتى الامعاء الغليظ والمثانة. وفي مثل هذه الحالات قرر الدكتور برنشويغ اجراء عمليات جريئة وخطرة ففي هذه العمليات يكتفي باقتطاع المهبل والرحم. وهذا يعني ايجاد مثانة اصطناعية تتصل بجزء من الامعاء الرفيعة وتوصل الحالب الى القولون حيث تفرغ البول والبراز الى كيس مبلول.

وبعد اجراء العديد من العمليات، وبما ان الامراض التي يصاب بها المرضى تكون مختلفة عادة تختلف العمليات طبقاً لذلك من حيث عدد الاعضاء المستأصلة وطول الامعاء الذي يستأصل.

والجدير بالذكر ان احد المرضى الذين اجريت لهم عمليات السرطان هذه واستؤصل فيها المستقيم والمثانة استطاع ان يقطع القارة الافريقية جيئة وذهاباً بعد ثماني سنوات من اجراء العملية. وهنالك امرأة تبلغ من العمر الخامسة والثلاثين استؤصل حوضها ولم يبق منه الا الجزء الاسفل، لاتزال تتمتع بحياة جنسية عادية.

واخطر العمليات الجراحية التي اجراها الجراح المذكور على امرأة فقدت معظم اعضائها الداخلية ومن ضمنها الكلية اليسرى وساقها اليسرى ولا تزال تعيش بسعادة بعد مرور ثماني سنوات على اجرائها.

ويقول الجراح الكبير بان عملياته تحقق الشفاء لعشرين بالمائة من المرضى الميؤوس من شفائهم ويرى ان عملية الاستئصال الوحشية ليست العلاج المطلوب الذي تتوق اليه النفوس، وهو يتطلع الى اليوم الذي سيريحه العلماء من ركوب هذا



الجراح برنشويغ يستعد لاجراء العملية



**الجراح برتشويغ اثناء قيامه بالعملية**

المركب الخشن بايجاد او اكتشاف العلاج الشافي للسرطان دون الحاجة الى جراحة من هذه الجراحات .

## مكافحة السل في الهند

يقدر الاطباء ان عدد المصابين بالسل في الهند من الرجال والنساء والاطفال يزيد على ستة ملايين . ويقدر عدد الذين يلقون حتفهم من جراء هذا الداء بمليون شخص كل سنة .

ويطلق الهنود على هذا الداء اسم « السعال الكبير » . ويرى هؤلاء الاطباء بان اعظم العوامل التي تؤدي الى هذا العدد الكبير من الضحايا يعود الى الخجل وخشية العار ذلك لأن الكثير من العائلات تخشى ان يعرف الناس باصابة احد افراد العائلة بهذا الداء فيحول ذلك دون اختلاط الناس بافرادها او الزواج منها . والواقع ان عامل الخجل والخوف هو الذي يحمل الكثيرين من المصابين بالسل على عدم مراجعة الطبيب . والناس اذ يعتقدون بان السل يعود الى سوء التغذية الناتجة عن الفقر المدقع ولهذا يتردد الشباب والشابات في الزواج من افراد هذه العائلات .

والواقع ان العوامل المؤدية الى اصابة هؤلاء بالسل اعمق من ذلك بكثير . ففي آلاف القرى الهندية التي يسكن فيها هؤلاء المرضى بالسل ، يعيشون في حالة من البؤس والفقر لاتصدق . وليس من المستغرب في كثير من مثل هذه الاماكن ان يصاب جميع افراد العائلة بالسل بدون استثناء . ويقول هؤلاء المرضى ان العلاج لايجديهم نفعاً . فاذا ما كتبت لهم الصحة ، فمن أين لهم الطعام المغذي ؟



ويرى الاخصائيون أن ازدياد عدد السكان هو احد اسباب الفقر ونقص المواد الغذائية الذي يؤدي حتما الى الاصابة بالامراض الصدرية المختلفة . فعلاج السل وغيره من الامراض يتطلب حلولا جذرية ابعد اثرا من علاج موقت ومحدود لايتناول علاج المشكلة الاساسية التي تعتبر رأس الداء والسبب في البلاء حسب رأيهم .

## الاضاءة الصناعية والصحة

يوالي الدكتور مارينوس وجكمان ، منذ عدة سنوات البحث في اثر الاضاءة الاصطناعية على صحة الانسان وعما اذا كانت هذه الاضاءة تلحق الضرر بجسم الانسان . وقد اثبتت

التجارب التي اجراها الدكتور جكمان استاذ النباتات الاستوائية في جامعة ميامي بان الاضاءة الاصطناعية تترك اثرها الضار في الخلايا الحية . وقد تبين ان اضواء الفلورسنت مضرة بخلايا جسم كل انسان ذلك لان الفلورسنت تبتعث الاشعة فوق البنفسجية . وقد اثبتت التجارب الطبية التي اجريت على اجسام عدد من الناس ان مثل هذه الاشعة قد تسبب بعض الاورام في جسم الانسان .

## تصوير القمر

منذ ان وجـــه غاليلو تلسكوبه البدائي البسيط الى الفضاء لسبرغوره . قبل ثلاثة قرون تغيرت نظرة الانسان الى الفضاء والعالم بصورة عجيبة . فقد تمكن الروس والاميركيون من تحقيق المعجزات في ميدان غزو الفضاء وسجلوا انتصارات فذة ستذكرها الاجيال القادمـــة .

وكان آخر هذه الانتصارات التي حققها العلم ماقامت به سفينة الفضاء الاميركية رينجر ( ٧ ) بعد سلسلة من التجارب الفاشلة التي تمت بهذا النوع من السفن الفضائيـــة طوال السنوات الثلاث الماضية .

زودت سفينة الفضاء هذه بستة كاميرات تلفزيونية وكانت عدساتها مصوبة الى كافة الاتجاهات ذات اليمين وذات الشمال والى الاعلى والى الاسفل بناء على الاوامر التي صدرت اليها من المحطات الارضية وذلك عندما كانت على بعد الف ومائتي ميل . وكانت اثنتان من هـــذه العدسات على زاوية واسعة لاخذ مناظر اوسع. اما الاخرى فكانت على زوايا ضيقة لاخذ تفاصيل اوفى . وقد بدأت الكاميرات الست عملهـــا لما كانت بعيدة عن القمر وقد ارسلت هذه السفينة عدداً واضحاً من الصور التي وزعت نسخ منها على جميع دول العالم تقريباً وكان عددها (٤٣١٦) صورة . وقد اخذت جميعها في خلال ( ١٧ ) دقيقة قبل ارتطامها بسطح القمر اذ كانت المركبة الفضائية تسير باتجاهه وبفضل جاذبيته بسرعة خمسة آلاف ميل في الساعة .

وكانت آخر صورة التقطتها المركبة الفضائية قبل ارتطامها بسطحه بمدة نصف ثانية وعندما كانت على ارتفاع نصف ميل عنه .

واستطاعت كاميرات التصوير التلفزيونية ان تصور من سطح القمر مامساحته مائة وثمانين الف ميل مربع . ولدى ارتطامها بسطح القمر اثارت



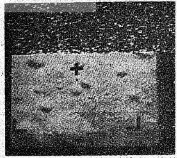

خريطة لسطح القمر تبـــين منطقة الهدف التي صورت

بسحابة تمكن العلماء على الارض من مشاهدتها بوضوح بواسطة التليسكوب. وطبعت هذه الصور على شريـــط سينمائي بحجم ( ٣٥ ) م وبطول تسعين قدماً .

وقد افاد بعض العلماء ممن يعملون ضمن نطاق برنامج ابوللو الفضائي ان هذه التجربة الناجحة كانت التجربة الثالثة عشرة فقد سبقها ( ١٢ ) تجربة فشلت جميعها ويقول هؤلاء ان الترتيبات قد وضعت لاطلاق المركبة الفضائية « رينجر (٨) » ولكن ربما كان ذلك الى بحر آخر من بحار القمر وبعد ذلك باشهر قلائل قليلة سيطلقون رينجر (٩) الى القمر قبل ارسال مركبة فضائية تحمل انساناً .

وبالرغم من المنجزات العلمية الباهرة التي تمت في الحصول على المعلومات العلمية الجديدة عن





آخر صورة التقطها رينجر وهو على بعد الف قـــدم وتبدو فيها فوهات البراكين واضحة

القمر لاتزال هنالك امور غامضة يسعى العلماء الى الى فك طلاسمها قبل المجازفة بارسال انسان ليأتينا بالخبر اليقين . ومن هذه الامور معرفة ما اذا كان القمر بارداً ام حاراً وهل فيه اثر للحياة ام هو عالم ميت .

لقد استطاع رينجر السابع ان يقترب من الجواب على هذه الاسئلة ولكن الاجوبة الصحيحة ستكون من المهمات التي ستوكل الى رينجر الثامن والتاسع وغيرهما من المراكب الفضائية التي ستطلق في المستقبل .

## مغنطيس قابل للانثناء

يعتقد معظم الناس بان المغنطيس يجب ان يكون دائماً من المعدن الصلب وبشكل حدوة الفرس دائماً . ان الامر ليس كذلك . فقد بدأت بعض المصانع تخرج الى الاسواق نوعاً جديداً من المغنطيس في شكل شريط مرن وقابل للانثناء طوله ( ١٨ ) انش ويمكن تقسيم الشريط الى قطع صغيرة من أي حجم بمقص او بسكين وتظل كل قطعة مهما كان حجمها صغيراً محتفظة بمغنطيسيتها. ويطلق على هذا النوع اسم كوروسيل (Koroseal). ويصنع من معجون لون حرادي يشتمل على جزئيات ممغنطة من فلزات الباريوم فرايت ( Dorium ferrite ) ويستخدم هذا النوع الجديد من المغنطيس في المكانس الكهربائية لالتقاط الابر والدبابيس والمواد المعدنية الاخرى. في تعليق ميزان الحرارة في البرادات وفي تعليق الخرائط في السيارات وغير ذلك .

## المواصلات تحت سطح الماء

توصل العلماء الى ايجاد نظام للمواصلات تحت سطح الماء ، جعل من الممكن الاستغناء عن اجهزة الاستقبال التي كانت تستعمل . ويعرف الجهاز الجديد الذي صنعته شركة بندكس باسم جهاز « ووترکم » Watercom .

وسوف يمكن هذا الجهـاز الغطاس من الاتصال برفاقه تحت سطح الماء ضمن مساحة مائة يارد . ويقوم الجهاز المذكور بتضخيم صوت المتحدث تحت سطح الماء .

ويشتمل الجهاز المذكور على مرسل الكتروني يتصل بجهاز الهواء الذي يحمله الغواص ، ومزود كذلك بكمامة توضع على الفم تمكن الغواص من التحدث بحرية ولا وسط من اجل هذه الغاية .

ويزود القارب المصاحب للغواصين بجهاز آخر من هذا النوع يشتمل على جهاز محول الطاقـة ( Tronsducer ) ومسماع مائـي ( Hydrophone ) متصلين بجانب القارب ويتدليان في الماء . وباستطاعة اي رجل في القارب بان يتحدث بواسطة هذا الجهاز مع جميع الغواصين ضمن دائرة قطرها ( ١٥٠ ) يرده : والمسماع المائي يمكن من في القارب من التقاط اي صوت من تحت سطح الماء .

## معلومات فذة عن الكواكب السيارة

لقد كشف عصر ارتياد الفضاء المعلومات الكثيرة الكثيرة عن الاسرار الكونية التي كانت مجهولة لدى علماء الفلك القدامى ، ولكن بالرغم من تقدم العلوم الفضائية وتطورها وبالرغم من تمكن الانسان سبر اغوار اسرار الفضـاء بالرحلات الاستكشافية التي قام بها الفضائيون من الروس والاميريكيين هنالك معلومات تحدرت الينا من علم الفلك القديم تعتبر صحيحة على ضوء المعلومات الفضائية الجديدة . وتنفق الدول الكبرى اليوم المبالغ الطائلة على كشف اسرار الفضاء ومحاولة غزو هذه الكواكب السيارة التي عرفها الانسان منذ القديم . فميزانية الابحاث الفضائية الاميريكية مثلا تبلغ خمسة بلايين وثلاثمائة وخمسين مليون دولار . فماذا يعرف الانسان عن الفضاء الذي يحيط بها ؟ واليك بعض المعلومات عن الكواكب السيارة المعروفة :

● يستغرق كوكب بلوتو ( ٢٤٨ ) سنة ليتم دورته حول الشمس لانه يبعد عنها بعداً شاسعاً ومداره واسع جداً وحركته بطيئة جداً بالنسبة للكواكب الاخرى . فلن يكون في مقدور الانسان اذا وصل اليه بان يحتفل بعيد ميلاده الا بعد ( ٢٨٤ ) سنة .

● كان كوكب نبتون اول كوكب من الكواكب السيارة تمكن علماء الفلك من تحديد موقعه بالضبط وذلك في عـــام ( ١٨٤٠ ) على يدي الفلكي الانجليزي ادامز والفلكي الفرنسي ليفريير .

● واقصر يوم في جميع الكواكب السيارة هو اليوم في المشتري . فطول النهار والليل معاً يبلغ عشر ساعات فقط ، اذ يستغرق عشر ساعات ليتم دورته حول محوره .

● والزهرة الكوكب الوحيد الذي لم يشاهد سطحه اي مخلوق بشري بأي جهاز من

الاجهزة العلمية . ذلك لان سطح الزهرة محاط بسحب داكنة طوال السنة .

وتشير المعلومات التي حصل عليها الكوكب الاصطناعي مارنير الثاني بان الحرارة على سطح الزهرة تبلغ ( ٨٠٠ ) درجه فهرنهايت الا ان درجة حرارة الجو المحيط بالزهرة بارد لايزيد على ( ٣٠ ) درجة فهرنهايت .

● ويواجه الانسان اعظم ضغط جوي في كوكب زحل فسمك جو زحل يبلغ ( ١٢ ) الف ميل ويزيد الضغط الجوي تبعا لذلك مئات المرات عنه في الارض . وجو زحل يتكون من غاز الميثين والاموتيا والهيدروجين .

## الرائحة الاصطناعية

تمكن العلماء من صنع امتعة من البلاستك تظهر وكأنها صنعت من الجلد حتى وان لهـا رائحة الجلد ايضا . فقد عمد الاخصائيون في صناعة البلاستك الى صنع سلع لاتشبه الاشياء الطبيعية من حيث مظهرها وشكلها فحسب بل من حيث رائحتها وذلك برشها بمواد كياوية تجعل الشاري يعتقد بانها سلع مصنوعة من الجلد حقا .

لقد ثبت بالاختبارات الطويلة ان الرائحة لها اهميتها عند المستهلكين لهذا اخذت المصانع تولي هذه الناحية اهتمامها البالغ . فقد زادت مبيعات المتاجر مثلا من جميع السلع التي اضيفت اليهـا الرائحة الاصلية وراجت رواجا هائلا . فقد بيعت كميات من عصير البرتقال عندما اضيفت رائحة البرتقال الطبيعية لهذا العصير .

وقد اتبـــع احد المتاجر المختصة بأدوات التواليت نفس الاسلوب في اجتذاب المشترين فقد عمـــدت الادارة الى رش الشارع امام المتجر المذكور بنوع من العطر لخداع الزبائن وحملهم على شراء الادوات التي يبيعها . وتستخدم المصانع اليوم الروائح الطبيعية في سلع اصطناعية عديدة لخداع المستهلكين وحملهم على الاعتقاد بان السلعة التي يشترونها تكاد تكون طبيعية .

## أثر الوراثة في طبيعة الطفل

كان الاعتقاد السائد لدى العلماء في الماضي بان يرث الطفل الكثير من طباع امه غير ان الكثير من علماء النفس يرون ان طباع الطفل تتأثر الى حد كبير بما تفعله الام اي بالبيئة التي يعيش فيها .

والمسألة التي تشغل بال الاخصائيين وعلمـــاء النفس هي كم مـــن طباع الطفل يعود لعوامل وراثية وكم منها للبيئة . وقـــد أجرى هؤلاء العلماء تجارب متعددة على اكثر من ثلاثمائة طفل ولدوا حديثاً وقد اثبتت هذه التجارب ان لكل طفل يولد سلوكه الطبيعي الخاص به الذي يحدد استجابته للبيئة التي يعيش فيها . وقد وجدوا ان الاطفال ليسوا جميعهم سواسية وانهم ثلاث فئات منهم الذين يستجيبون قليلا للبيئة وعوامل التربية بدرجة عالية ومنهم الذين يتجاوبون قليلا ومنهم الذين لايتجاوبون على الاطلاق . وقد وجد هؤلاء الاخصائيون بان لمعرفة هذه الفئات الثلاث اثرها في تربية الاطفال وطرق تنشئتهم .

# جولة الشهر

# مع تيارات الفكر العالمي

بقلم فؤاد الشايب

**نتناول في هذه الجولة فئة ثانية من المجتمعات الاسيوية والافريقية ـ فئة الدول ذات الحزب الواحد المعارضة لاسلوب الديموقراطية البرلمانية الغربية ـ سنطالع في بعض نماذجها، تبريراً لنظام الحزب الواحد وتقريراً في كيف يجب ان يمارس الحزب، صناعة الحكم.**



تناولنا في جولات سابقة، الملامح الثقافية والسياسية في بعض المجتمعات الأسيوية والافريقية، ذات الولاء للنظم الديموقراطية الغربية، اوهي تمارسها فعلا بشكل من الأشكال المنسوخة او المعدلة ممزوجة بالوان خفيفة من الاشتراكية الماركسية. واخترنا بورما، والهند وباكستان، والسنغال نماذج لهذه الفئة من الدول. سنتناول فيما يلي ووفقاً لمنهجنا المقرر في هذا البحث، الملامح الثقافية السياسية للفئة الثانية من المجتمعات التي ترفض النظام الديموقراطي البرلماني على الطراز الاوروبي الغربي، فكريا، وسياسيا، على الصعيد النظري والتطبيقي. لأن الديموقراطية ليس مظهرها الأوحد أو الأهم، تعدد الأحزاب ووجود

المعارضة ، كما هو مألوف – من جهة . وليست من جهة ثانية بالنظام الذي يلائم احوال مجتمع متخلف ، يجب ان يقهر التخلف بدءاً ، وقبل كل شيء .

وقبل أن نختار من هذه الفئة بعض نماذجها الافريقية لندرس افكارها السائدة وراء انظمة الحكم ، نبادر الى القول بأن هذه الدول ، مثل غانا وغينيا ، واندونوسيا وتنغانيكا ، ومالي ، ومعظم الدول المستقلة حديثاً ، وكانت مستعمرات فرنسية او انكليزية على الغالب ، انما تهمها الدول الغربية ، بأنها مجتمعات يسودها حكم الفرد ، والنظام الدكتاتوري ، وانها من جهة ثانية ، تستمد سلطانها من الاتكاء على معسكر الدول الشرقية ، وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي او هي تدين بالشيوعية ، وتستسلم لها ، في تعاملها الدولي . كما يجب أن يشار الى أن بعض هذه الدول التي لم تكن مستقلة يوم باندونغ عام ١٩٥٥ ولم تشارك فعلا في صياغة أفكار الحياد الايجابي وعدم الانحياز ، كانت بالواقع عوناً كبيراً لتطبيق دعوة عدم الانحياز ، بأن حررت ارضها من المرابطة العسكرية الأجنبية مهما كانت حججها ، وأصبحت من بعد ، تأكيداً لنجاح مبادىء باندونغ ، بينما تخلف سواها في مضمار التنفيذ ، وهي دول مؤسسة في المؤتمر الاول لعدم الانحياز ، فبقيت مرافقها وموانئها تحت وطأة القواعد العسكرية الأجنبية .

ولعله من نافل القول ، التأكيد بأن الدول الآسيوية والافريقية التي تحررت ، وقهرت الاستعمار ، خلال السنوات العشر التي مرت بين مؤتمري عدم الانحياز ، قد كذبت بواقع سيرها ، وبتطور تفكيرها السياسي أن تكون دولاً تدور حول محور أي معسكر ، شرقياً كان أم غربياً ، بل قد اكدت ، اكثر مما فعلت دول الفئة الاولى الموالية للنهج الديمقراطي الغربي ، أنها انما تعتز باستقلال ثقافي بله السياسي ، وتصر على أن تتمتع الشخصية الوطنية ، بكامل صفات الاستقلال . وسنرى أن انفصال هذه الفئة من الدول عن المصطلحات الثقافية والسياسية السائدة في اوروبة ، قد عزز تياراً فكرياً يتجه نحو ما أسميناه سابقاً بنزع الطابع

الغربي عن الشخصية الافريقية الآسيوية Desoccidentalisation De La Culture.

- سندرس بعض هذه النماذج في فئتين ايضاً . فئة الدول التي تعارض التقاليد البرلمانية الغربية دون نزوع واضح نحو الاشتراكية الماركسية . وتمثلها آراء مادبرا كيتا ، في مالي ، وجوليوس نيريره في تنغانيكا . وفئة ثانية تشترك مع الأولى في رفض البرلمانية الغربية ، مع نزوع واضح وقوي نحو احلال الاشتراكية ، في كثير من المواضع ، محل الديموقراطية الغربية ، وتمثلها افكار كل من سيكوتوره غينيا ، ونكروما ـ غانا ، وسوكارنو ـ أندونيسيا .

يمثل مادبرا كيتا وهو الساعد الأيمن لشقيقه الرئيس موديبو كيتا في افريقية مدرسة فكرية معتدلة ، غير فاقعة الألوان في اتجاهاتها السياسية والثقافية ، لكنها تقوم على فلسفة تبرر نظام الحزب الواحد الحاكم وممارسة الديموقراطية عن طريق هذا الحزب .

ولعل عقائدية مادبرا كيتا في رفض التعدد الحزبي ، كأسلوب ديموقراطي ، نابعة من تجربة السودان الفرنسي ـ مالي ـ في ممارسة ديموقراطية كاذبة ، كانت سبيل الاستعمار الوحيدة الى توظيف أعوانه في دستوت الحكم ، تحت قناع الشرعية . وقد جرت السودان الفرنسي اول انتخابات وطنية عام ١٩٤٥ خرج منها قادة الفكر فيه بقناعة تامة أن الحدود فاصلة وقاطعة بين دعوى الديموقراطية والحرية ، كما يريدها الغربيون ، وبين واقعها ، وان هؤلاء الغربيين قد قتلوا روحها ، وشنعوا فيها تشنيعاً ، في الحالات الافريقية ، عندما خرجوا من جلودهم كاستعماريين ، ليزعموا أنهم آخذون بيد الشعوب الملونة نحو ممارسة الحرية ، بالانتخابات التي يتحكم بها جهاز الادارة الاستعماري . ويبدو أنه كان من الذائع في افريقية ، اصطلاح اجراء انتخابات ( على الطريقة الجزائرية ) ، أي انتخابات مزورة ، عندما كان بعض المراقبين الفرنسيين انفسهم ، يطلعون على ضعة ممارستها ضد مبادئ التمثيل الحقيقي ، كانوا يحاولون من أن تنسب الى دواتهم ، وأن يمارسها الحكام الاستعماريون باسمها .

يضاف الى ذلك ، ان الانتخابات التي كان يمارسها القلة من السكان ، أصحاب الحق في الانتخاب ، في ظل ما يسمى بنظام الاستقلال الاداري Loi-cadre كانت حافزاً الى انعاش العصبيات الاقليمية والعرقيـــة ، والدينية ، لأن الادارة الاستعمارية ، الـــتي تمارس الحرية تحت اشرافها ، كانت تدعم هذه الجماعات على أسس تمثيلها لمصالح واعتبارات عصبية . وكان أول شرور ممارسة الحرية المزعومة أن طفقت تحفر في قاعدة الوحدة الوطنية .

فالأساس النظري الذي انطلق منه الزعيم السوداني مادبرا كيتا ، ضـــد الديموقراطية البرلمانيـــة ، هو بالواقع رد الفعل الافريقي ضد محاولات التزوير باسم الحرية ، ومحاولات التفرقة والبلقنة باسم تمثيل ارادة الشعوب ، فئات ، وطوائف وعروقاً .. !!

وقد فطن الافريقيون ، مؤخراً الى أن الاستعمار كان يزرع الولاء له ، في الغباء والجهل ، فغدا بعد تيقظ الشعوب ، واستقلال بعضها ، يركز على الولاء له في التفريق بين طوائف الشعب وقبائله ، وتمزيق وحدته الوطنية . ومن هنا نشأ الاقبال على نظام الحزب الواحد .

ثم إن ممارسة الديموقراطية البرلمانية ، كما جربها الاستعمار في مستعمراته السابقة ، قد اسفرت عن حركة بطيئة في تحقيق أسباب التقدم ، وغالباً ما عرقلت الممارسة طموح الفئات التقدمية التي قبلت التجربة البرلمانية كارهة ، وقد فرضتها الادارة الاستعمارية . وعندما انطوت المرحلة الانتقالية ، وشبت الشعوب الافريقية على الطوق ، وحـل الاستقلال الفعلي ، أثر الرفض العنيف ، بالثورة أو بالتمرد ، محل الاستقلال المرحلي ، كان التعبير الأقوى عن مقاومة الاستعمار وأساليبه ، هو الأخذ بنظام الحزب الواحد ، ليكون خوض معركة التخلف شعار شعب يتمسك بكل حرص بأسباب سيادته الحقة . أما وقد أصبحت حرب التخلف والتسريع في القضاء عليه هدفاً رئيسياً من أهداف توطيد السيادة الوطنية ، فقد اخضعت الشعوب الجديدة ، كل نظر ثقافي وسياسي ، لهذه الحاجة القارعة . وبذلك تخلصت من تقليد مفروض في أن أي تقدم

لا يستحق اسمـــه الا اذا اقترن بممارسة الحكم على الطراز الغربي ، طراز المستعمرين السابقين .

يقول مادرا كيتا في احد بحوثه ان افريقية على خلاف مع فرنسا في ظنها أن ممارسة شكل ما من أشكال الحكم ، هو الأساس في منطلق الشعوب نحـو تحقيق ذاتها . بل ان المنطلق هو حشد جميع القوى في سبيل التقـــدم . فالحرية في افريقية ليست مهددة ، الا بقدر مايغمرها التخلف ويحول دون نموها .

ثم، هل الديموقراطية ، تلازم حقاً بقيام الأحزاب المتعددة ؟ يجيب مادرا كيتا على هذا السؤال بقوله : جوابنا نحن : لا ! وعلة الرفض هنا أن المثقفين الافريقيين يؤكدون أن ثمة أشكالاً للديمقراطية غير ملتزمة بالأحزاب . لأن الاحزاب لا فائدة منها الا اذا مثلت مواقف أو شروطاً اجتماعية موصوفة ومشروعة .

فاذا زعم الحزبيون أن في افريقية طبقات اجتماعية متعارضة ، يجب تمثيلها كان جواب بعض المثقفين الافريقيين في الاتجاه الذي نوضحه هنـا ، أن ليس في افريقية طبقة تمثل وضعاً اقتصادياً متميزاً تميزاً حقيقاً بأن يمثله حزب سياسي ، مـع الاعتراف – كما يقول مادرا كيتا – بأن المجتمع الافريقي ليس مجتمعاً غير طبقي اطلاقاً . على أن الطبقية فيه ليست اقتصادية أو أن الفروق الطبقية لو وجدت فهي ، قصيرة الأطوال ، ضئيلة الأثر الاجتماعي . وهذا ما قال به ايضاً سنغور ونهرو ، وسواهما .

فاذا أخذنا التعارض بين الشعب من جهة ، وفئات الحكام من جهة أخرى ، أساساً للدراسة النظرية ، وجدنا أن القيادات الافريقية الجديدة ، التي حققت استقلال شعوبها ، انما نشأت بأبعد تقدير من جمـــاعة ( البورجوازية الصغيرة ) بالاصطلاح الفرنسي الاشتراكي – أي الجماعة التي لا تملك ، اكثر مما يملك المواطن العادي ، فليست ليتعارض فكرها السياسي أو الاجتماعي ، مع تفكير المواطن العادي ومصلحته . فاذا هي قادت نظام الحزب الواحـــد ، لا تعني قيادتها ، أنها فئة مفروضة على فئة ، أو حكم فوقي ، يتسلسل من أعلى الى أدنى .

كذلك فان الدين ، لن يكون مبرراً للتفرقة بين الافريقيين ، كما يقول ماديرا كيتا بسبب أنهم يحرصون على عدم زج الدين في السياسة . فاذا خيـــل لبعض المسيحيين الغربيين ، كما يصرحون بين حين وآخر أن يصوروا الاسلام خطراً كالشيوعية ، بادر الافريقي الى دحض هذا التخوف ، بوقائع الحياة المشتركة المألوفة عبر الأجيال . فان السبعين بالمئة المسلمين في مالي ، لم يفتئتوا على حقوق الاخرين من مسيحيـــين وانيميزيين animist — وعاشوا حقباً بسلام . وان يكن الدين قد أسيء فهمه وممارسته فيما غبر ، فان الافريقيين لحريصون على عدم اثارة الخصومات الدينية .

ويستشهد القائد ماديرا كيتا بجريدة فرنسية (: تيموانيـاج كريتيـــان ) Temoignage chretien (الشهادة المسيحية) حيث نشرت مقالاً تدعو فيه العشرة بالمئة من مسيحيي مالي « الى أن يلعبوا دورهم في توطيد الاستقلال،ويذكروا دائماً أنهم مسيحيون الى جانب الأكثرية المسلمة . » ويصف ماديرا كيتا هذه المقالة بأنها خطرة ويحذر من لهجتها الغريبة عن الشعور الافريقي ، لأنهـا تحاول أن توجد نعرة لاوجود لها ، مؤكداً أن لم يضم افريقي في دينـــه حتى الآن ، أمام الأكثرية المسلمة ، وان هـــذه الاكثرية على كل حال ليست وعاء اختيار القيـــادة الأفريقية ، بل الكفـاءة ، والصدق ، والولاء للحزب . وبهذا يتجلى ، حسن الاستعداد للمارسة الديموقراطية السوية .

وعلى هذا — يقول ماديرا كيتا — فلسنا اقتصاديا واجتماعيا ، في الوضـــع الانساني الذي يجعل منا مجتمعاً شبيهــــا بالمجتمع الفرنسي ، أو البلجيـــكي ، أو الايطالي . وليس بوسعنا أن نتحمل ترف انشاء حكومة جديدة كل ستة أشهر . بل ما هو غرض اساسي من أغراض الحياة والحكم في افريقية ، مكافحة التخلف ، والتجمع على النطاق الأفريقي الأوسع ، بالوحدة ، والتسريع في القضاء على التخلف . أما القضايا الفلسفية ، والايديولوجية ، والدينيـة ، التي تمزق غيرنا فهي لا تفرق فيما بيننا — كما يقول ماديرا كيتا — يبقى أن يعرف الافريقي كيف يضع جهاز الحكم في سبيل النهوض بالمستوى الثقـــافي

والاقتصادي والاجتماعي ، وكيف يتم هذا الاجزاء بشروط السرعة .

ان الحزب الواحد ،هو الأداة الصالحة لاجتياز مراحل التجربة الافريقية بسرعة ، وامان وحسن تسديد ، وبدلا من الحزب الواحد ، يريد بعض الافريقيين أن يوجدوا صيغة ( الحزب الموحد ) لأن العمل الحزبي ليس سوى تصفية جميع الاحزاب في منظمة حزبية واحدة ، عن رضى واختيار ، كما جرى في السودان الفرنسي ، وغينيا . ويقول مادبرا كيتا ان الحزبين الكبيرين عندما اعلنا اندماجهما في مؤسسة واحدة ، شعر الأهلون بأن عبئاً رازحاً قد ازيح عن صدورهم . وهو شعور ناشىء عن استيائهم عن تحزبهم وانتمائهم الى جانب دون آخر ، وعما يرافق هذا الانحياز من تصدع واندفاع عنيف ، كانوا لايجدون في ضمائرهم مايبرره . حتى اذا تخلصوا من الثنائية الحزبية ، كانوا يتساءلون لماذا لم يتم لهم هذا الأمر من قبل !.

ان الحزب الموحد ، هو الأداة الوحيدة الفعالة لحكم صالح مستقر . على أن ممارسة الحكم ، بهذه الأداة وحدها ، تجربة شديدة الخطر ، من حيث تماس الحكم بالديموقراطية والحرية . فكيف السبيل الى تطويع العمل الحزبي الموحد ، لضرورات الحرية ، والممارسة الديموقراطية اي حكم الشعب ؟!

يجيب مادبرا كيتا على هذا السؤال بأن الحزب الموحد ، اذا لم يكن منظما ، دقيق النظام ، ضامناً لاعضائه حرية الرأي والمقارعة من أجله ، انقلبت الحزبية الى أداة صلبة ، لا تلبث ان تتحطم بيد أصحابها فاذا بلغ المجتمعون من الاعضاء قراراً بالأكثرية ، وجب الأخذ به ، كرأي جماعي ، وفرضه بدءاً من القيادة العليا . وبهذا وحده يمارس الحزب حركة ديموقراطية ، جديرة بأن تضمن له البقاء واحترام جمهوره له . .

هذا من حيث حركة الحزب الداخلية . أما من حيث امتداده افقياً في حياة المجتمع ، فقد لزم أن يحل الشعب في كل منطقة انتخابية ، محل الحاكم التقليدي ، أي الزعيم الذي خلقه الاستعمار . ففي البدء يصار الى تجريد الحاكم الاقليمي من زعامته

ورده ثانيـــة الى الدولة موظفاً ادارياً ، خاضعاً لسلطة القانون ، والنظام العام . ثم في المرحلة التي تلي ، يوطد مبدأ المجلس الانتخابي في كل اقليم، بحيث يسمى الحاكم الاداري ، باقتراح من هـذا المجلس ثم يعملان من بعد متلازمين ، بل يغدو المجلس، بجانب الحاكم مستشاراً ودليلاً .

ان الحزب هو منظم هذه الديموقراطية اللامركزية. ومن اجل هذا أقيم مكتب سياسي في كل منطقة انتخابية ، على طراز تأليف المكتب السيـــاسي المركزي ، وامتد التنظيم السياسي الى اطراف المجتمع ، حتى القرية التي اقيمت فيها لجنة سياسة ، وهي هيئـة مصغرة عن المكتب السياسي في المركز والأقاليم . ولكي يضمن الحزب عدم نشوء الخصومة بـين مجلس القرية الانتخابي ، واللجنة السياسية ، وجب أن يعين للمجلس ، بالانتخاب ، عضواً رئيسياً من اعضائه ، ليكون بين اللجنة والمجلس اداة تنسيق ، وتوفيق .

فاذا تم تعيين رجال المكاتب السياسية من أعلى الى أدنى ، ورجال المجالس ، واللجان، بالاسلوب الديموقراطي، انتخاباً، كان ذلك ممارسة فعلية لحياة ديموقراطية توجب احترامها ، لاسيا عندما يكون من صلب الدستور الحزبي وتقاليده، حرية ابداء الرأي والجهر به والمنافحة من أجله ، حتى حدود الوحدات الحزبية جميعها .

— يتبع —

